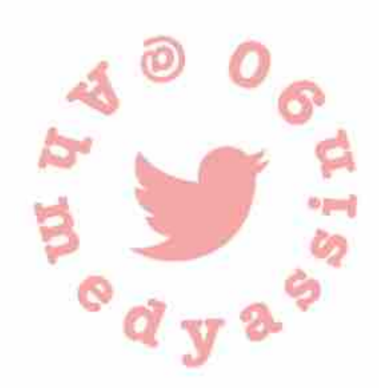

مارد
في الصين
@Ahmedyassin90
نقله إلى العربية
أيمن طباع
جيم روجرز
تصوير
أحمد ياسين
العبيكان
Obeikan



مارد في الصين


@Ahmedyassin90



مارد في الصين

جيم روجرز

نقله إلى العربية

أيمن طباع



Original Title
A BULL IN CHINA
INVESTING PROFITABLY IN THE WORLD'S GREATEST MARKET
JIM ROGERS

ISBN-13: 978-1-4000-6616-2

ISBN: 0 - 041 - 503 - 603 - 978
الطبعة العربية الأولى 1432هـ ـ 2011م

الناشر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة - عمارة الموسى للمكاتب
هاتف: 2937581/2937574، فاكس: 2937588 ص.ب: 67622 الرياض 11517

ح مكتبة العبيكان، 1431هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
روجرز، جيم
مارد في الصين./ جيم روجرز؛ أيمن الطباع.- الرياض 1431هـ
339ص: 14× 21سم
ردمك: 978 - 603 - 503 - 041 - 0
1 - الصين - الأحوال الاقتصادية أ. الطباع، أيمن (مترجم) ب. العنوان
رقم الإيداع: 8857 / 1431 ديوي: 330.951
ردمك: 978 - 603 - 503 - 041 - 0 رقم الإيداع: 8857 / 1431

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

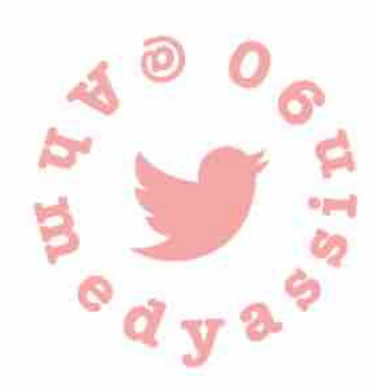
المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف: 4160018 /4654424 - فاكس: 4650129 ص. ب: 62807 الرياض 11595

لا تتطلع إلى نتائج سريعة التحقق، ولا تجري وراء الفرص الضيقة، إذا كنت تسعى وراء النتائج القريبة المنال، فلن تصل أبداً إلى مبتغاك المنشود، إذا أسلمت قيادك للفرص الصغيرة، فلن يكون بوسعك تحقيق الغايات الكبيرة.

- **كونفوشيوس «حكيم صيني»**

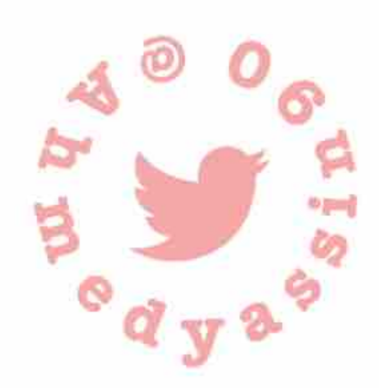
ليست الثورة حفل عشاء.

- **ماو زيدونغ**



@Ahmedyassin90

المحتويات


@Ahmedyassin90

المقدمة

اللحاق بالركب الصيني

لماذا الاستثمار في الصين؟

بعد الفراغ من قراءة هذا الكتاب، أتمنى أيها القارئ الكريم أن توافقني الرأي أن هذا البلد لا يزال يوفر فرصاً عظيمة للمستثمر الجاد في القرن القادم.

هذا بالضبط ما سبق وقلته لنفسي بالعودة إلى عام 1984، عندما سعيت لأكون القادم الأول في الغرب -وربما الشخص الأول من قبل- الذي يمتطي دراجة نارية ويجول بها في أنحاء الصين، في ذاك الوقت، كنت قد كونت ثروة كافية بوصفي أحد المؤسسين لصندوق استثمار عالمي يعرف بـ كوانتوم Quantum، مما ممكنني من الاستمتاع بمسكن في نيويورك والقيام بإحصاء الأرباح التي جنيتها، ولكن بالرغم من ذلك فقد كنت دائماً واحداً من أولئك الرأسماليين المغامرين الذين يفضلون تذوق طعم التحرك الحقيقي واستنشاق رائحته عوضاً عن الجلوس في غرفة الإدارة للقيام بمسح للرسومات واللوائح.

كان الهدف النهائي من وراء استبدالي لبزتي ذات القطع الثلاث بخوذة ولباس من الجلد أن أقوم بجولة حول العالم على دراجتي - لأنظر وألحظ

في الحين ذاته ما بوسعي من تغّيرات طرأت على مجتمعات واقتصاديات على قدر ما يسجله عداد المسافة المثبت على الدراجة، وبقدومي إلى سور الصين العظيم معتمداً على منظومتي الخاصة من العجلات، وقراءتي لواحد من أكبر الشرائح الإنسانية، أضفى عليَّ شعوراً بأن ما فعلته كان الهروب الأمثل من ضغط وزحمة وول ستريت Wall Street*.

وفي النهاية، استغرق الحصول على أذونات السماح المطلوبة من السلطات الصينية وقتاً أكثر، ووقفات بين الفينة والأخرى أكثر مما قضيته مسافراً لأعبر مسافة ثلاثة آلاف ميل من مدينة شنغهاي الساحلية حتى طريق كراكورام Karakoram السريع الذي يقع على حافة الحدود مع باكستان، وعلى ما أظن، فإنني احتجت لجميع تلك الوثائق الرسمية لأنه لم يسبق لأحد قبلي أن تجرأ على طلب شيء بمثل هذه الغرابة.

كانت رحلتي الطويلة أبعد ما تكون شبهاً بنزهة في مشرب للشاي. لقد تحولت الطرقات إلى رمال أو غارقة بالفيضانات، ولم تكن هناك علامات تحويلات الطرق من النوع الذي أعرفه لتدلني على وجهتي المقصودة، ونالت الصخور من عجلات دراجتي ففقدت هذه الأخيرة شكلها المصقول، أما قطع الغيار فقد كانت شبه معدومة، وكذلك المطاعم الصينية التي لا تتوافر فيها المواصفات اللازمة، وبالرغم من هذا فإن المآدب التي حظيت بها كانت لذيذة الطعم، وبعد أن نالت الرحلة من رقبتي التي تصلبت، عمد طبيب في إحدى البلدات الصغيرة إلى أن يجعل مني واحداً من حيوانات التجارب عندما عالجني بالإبر الصينية وقد

* كناية عن بورصة نيويورك - المترجم.

أوقفت من قبل رجال شرطة في أثناء السير مرات عديدة أكثر مما يفعل طائر الجوّاب الشهير بعدوه السريع عندما يشق طريقه بأمان لِيخلّف وراءه أمَّة من سائقي الجيل الأول، وتعرضت إلى نفاد الوقود وأنا ملاصق لقاعدة عسكرية سريّة، كان التوجه بالطلب إلى جيش التحرير الشعبي من أجل ليترين إضافيين من البنزين أمراً شاقاً، لكن بعض عناصر هذا الجيش قدّموا لي في النهاية قدراً ضئيلاً من المساعدة لكي أستمر في رحلتي، غير أن لساني انعقد عن الكلام في صالة بدائية للرقص تقع وسط حديقة بلدة صغيرة عندما طلب مني أحدهم أن أكون شريكه في رقصة تعتمد على خطوات بطيئة وأخرى سريعة، في ذاك الحين كان هناك القليل من الناس الذين يتحدّثون اللغة الإنكليزية للإفصاح عن أعمالهم، وكان الكلام يخرج من أفواههم أشبه بالهرولة، ولم يكن الناس المحليون واثقين بتصرفاتهم تجاه «شيطان أجنبي» أشيب الشعر جاء من ولاية آلاباما دون أن يصطحب معه آلة العزف المسماة بالبانجو، ولكن بوجه ملطخ بغبار الصحراء الواقعة بين الصين ومنغوليا.

ولكنني أصبت بما يشبه الرعشة عندما عدت إلى الصين بعد ذلك مرتين، الأولى عام 1990م على متن دراجة نارية، وبعد تسع سنين في سيارة فاخرة من طراز مرسيدس ضمن جولة غير عادية استمرت ثلاث سنوات قطعت فيها 152.000 فرسخ احتفالاً بقدوم القرن الحادي والعشرين للميلاد. في كل مرة كنت أعود فيها إلى أرضِ الصين كنت أشعر وكأنني قادم إلى بلد جديد لم أعهده من قبل. غير أنني رأيت كيف أن جميع افتراضاتي عن جمهورية الصين الشعبية ذات التبدل السريع كانت خاطئة تماماً. لقد استنتجت لاحقاً أنني والصينيين كنا على طريق

نقيض: الشعور الفردي الخالي من الإحساس الذي يعشق الانطلاق في الطرق الفسيحة، ويبجِّل الأسواق غير المنضبطة، في مقابل الشيوعيين الملتزمين فكر الجماعة في دولة تؤمن بالإلحاد.

وكانت آخر واقعة تلك التي أشعرتني بالطمأنينة في إحدى الليالي الأولى من رحلتي، فعندما ولجت إلى فندق يقع في الطرف الغربي البعيد المسلم، رأيت لافتة معلقة في الردهة كتب عليها «بيت الله». إلى جانب ذلك، عرفت أنه لو أعطى الناس الذين يحكمون الصين الفرصة لأمريكي متحرر مثلي يعمل بالتجارة وأن ينطلق دونما قيود لوجب حصول تحوّل رئيس في مسار الأمور.

لطالما تمنيت القول لو أني كنت كشافاً أبحث عن البدايات أو عن أسهم رخيصة الثمن أستثمرها في شركات واعدة، ويا ليتني أفضيت إلى أحد أتوسم فيه الاستماع لما أقول: إن هؤلاء الناس قد يكونون على عتبة تبوء واحد من الاقتصاديات المزدهرة عبر عشرين عاماً، في عام 1998، بدأ زعيم الصين الأعلى تنغ زياو بينغ في إعادة بعث تقاليد التجارة التي كانت محظورة عقوداً من الزمن بسبب الحروب والنزاعات الأهلية، والأفكار الشيوعية المتعسفة. ولهذا فقد وفرّت لي رحلاتي نظرة مذهلة ذات أساس متين عن «الطريق الرأسمالي» الذي بدأت الصين تسلكه، ولم تكن بعد أسواق البورصة الصينية مفتوحة لمزاولة العمل، لكن الأسواق الحقيقية -كتلك التي يبتاع فيها البشر السمك أو قطعة من الحرير- أظهرت لي كيف كان الفلاحون وقد بدؤوا في تذوق طعم ثمار سياسة رفع القيود والسماح بنشوء المشروعات الحرة، وجعلني التذبذب في أسعار أنواع الجُحً

«البطيخ» قبل أن تستقر عند المستوى الصحيح للعرض والطلب وطريقة المساومة التي كان يتبعها البائعون، جعلني أتمنى لو أنني قمت بشراء بعض عقود الجُحِّ الآجلة.

فجأة، بدأ الصينيون في رسم خطوط حياتهم المهنية ويضعون المخططات اللازمة لمواكبة حياة أفضل لأبنائهم، لقد انطلقت أخيراً روح المبادرة الكامنة واللافتة للنظر من عقالها لدى أمة يزيد تعدادها عن المليار نسمة، ولم يحدث لي من قبل أن شعرت بجو من الإثارة لدى سماعي صاحب مطعم جديد يجاهر مفتخراً بقدرته على سداد أجور عماله، أو أن أعود لأجد مدخرات مزارع وقد أعاد استثمارها في مصنع للسجاد تعود ملكيته إليه، أو مشاهدتي لأولاد في مقتبل العمر ممن حصلوا على المال من ألعاب الحظ التي تمارس على قارعة الطريق وقد تحولوا لجهة أعمال أكبر، أو رؤيتي لفلاح يحب الاقتناء ليصبح «ملك البساتين» بعد شرائه كامل كمية محصول التفاح المتاحة في منطقته، والذي جعل الأمر كله أكثر لفتاً للنظر الطريقة التي عاد فيها جميع الناس أينما كانوا للارتباط بالتقاليد التي ساعدت الصين قروناً خلت لتقود العالم في التجارة والعلوم والابتكار.

لا يسعني الادعاء بأن جميع عملياتي المظفرة قد منحتني «دوراً صينياً» حقيقياً، ربما مجرد موطئ قدم، ولا كنت في يوم من الأيام من أولئك ذوي العيون الحالمة المصابين بالدّوار بأن سيكون لي أكثر من مليار زبون؛ كل واضع يده في جيبه ليخرج ما فيه ويدفعه لي. ومنذ أمد ليس بالبعيد كعام 2004، عندما كانت أسعار الأسهم الصينية لا تزال في طور الركود بسبب

الأسعار المتهاوية لأسهم الشركات المملوكة من الدولة، وكذلك من كثرة القيود، تحدثت علناً وأعربت عن تشاؤمي في حينها حول الاستثمار إلى درجة أن البرنامج الذي كان يبث في قناة التلفاز الوطنية خارج العاصمة بيكين أخضع ملاحظاتي للرقابة.

ولا يزال لدي اعتقاد تملكته مبني على الخبرة والحدس وأكدته وقائع الأرقام ودفع بي إلى أن أدعو كل من يقرأ هذا الكتاب إلى أن يقفز ويحجز له مكاناً في رحلة تعود عليه بالربح الوفير، وبالتأكيد ستكون هناك محطات وعرة في هذه الرحلة، لكن قناعتي بأن أولئك الذين قُدر لهم المضي إلى آخر المطاف سيرون بأم أعينهم مكاسب جمّة على المدى البعيد، وفي الحقيقة، فإن تلك المحطات الوعرة المليئة بالحفر ستوفر أفضل فرص الشراء للمستثمرين وكلما كانت الحفر خشنة الحواف كان ذلك في مصلحة المستثمر.

ويمكن القول: إن إنجاز هذا الكتاب قد استغرق ثلاثة وعشرين عاماً من الوقت وخمسة عشر ألف ميل من الترحال، وأملي أن يستخدم الكتاب خريطةً لاستثمار العوائد في الصين، وكما يذهب المثل الصيني إلى القول: «إذا أردت معرفة الطريق أمامك فما عليك سوى سؤال الذين سبق أن قطعوه من قبل».

عندما ألقيت نظرة خاطفة من السماء على المدن الصينية، كانت فارغة وكئيبة وفيها القليل من الأبنية مدببة الرؤوس مشيّدة على الطراز السوفييتي، بحلول عام 1990، صارت هذه الأبنية محاصرة بروافع التشييد (كان لمدينة شنغهاي وحدها حصة الأسد من هذه الروافع من

بين مدن العالم)، وفي الوقت الحاضر لا يمكن مشاهدة هذا العدد من الروافع لأن قواعد محطة كهربائية حديثة كانت قد صُبّت، واليوم يستمتع العالم بمشاهدة ما سيتم رفعه من أبنية عالية على تلك القواعد، وأخيراً وبعد سنوات من الخطوات البطيئة، فإن الشيء ذاته يحدث لأسواق الأسهم في الصين.

منذ ما يقارب ثلاثة عقود خلت، ما زالت الصين البلد الأسرع نمواً في العالم، فبمعدل من الادخارات والاستثمار فاق نسبة 35% التي تخص تعداد سكانها البالغ ملياراً وثلاث مئة مليون نسمة، واحتياطات النقد الأجنبي التي هي الأعلى على وجه الكرة الأرضية، فإنه يمكن القول: إنها راسخة القدم ومؤهلة لأن تكون أهم دولة في مستقبل الجنس البشري.

وسأخطو خطوة أخرى إلى الأمام: فكما كان القرن التاسع عشر قرن إنكلترا، واختصت الولايات بالقرن العشرين، فإن القرن الحادي والعشرين سيكون من نصيب الصين لتضع قواعد اللعبة وتتفرد بالسيطرة، وقبل أن أخوض في عرض أسهم أول شركة فإن أفضل نصيحة أستطيع تقديمها لقارئ هذا الكتاب أن يقوم بتعليم أولاده أو أحفاده اللغة الصينية؛ لأنها ستكون أهم لغة على الإطلاق في أثناء حياتهم.

وبإلقاء نظرة على الصين في عالمنا الحاضر، يمكن أن أرى متسعاً فسيحاً من النمو أمام صناعتها، ويشمل ذلك الطاقة والكهرباء، السياحة والإعلام، الزراعة، البنية التحتية التقانة المتقدمة. وسأسلط الضوء على الأشياء التي يمكن أن تبدو «الدليل الذي لا لَبْسَ فيه» لأوضح لأولئك

الذين يريدون أن يضعوا جانباً الأحكام المشبعة ويتطلعوا إلى الاستثمار في المستقبل، كمستقبل شركة الهاتف إيه تي أند تي AT & T مايكروسوفت، وجنرال موتورز بانتظار جلاء ووضوح هذه الاستثمارات، ولا عجب كوني مقداماً عندما تحط الرحال بي عند هذا المتجر الصيني.

وفيما سآتي عليه، سأشرح بالتفصيل آليات شراء أسهم هذا الفيلق المتعاظم في الشركات التي تعرض أسهمها، وسأخوض في الوسائل المثلى لانتقاء أفضل الصفقات في كل من شنغهاي، شينزن، هونغ كونغ، أو حتى نيويورك وبوساطة أقرب سمسار للأسهم، في الظاهر وعلى السطح، هناك نظم وقيود كثيرة تحكم هذه البورصات الصينية التي تبدو مثبطة؛ لذلك سأعمد إلى توضيح الأسهم الصينية التي تبدو أول وهلة مثيرة للحيرة وهي التي تصنف بأسهم أ، ب، وسأعيد أبجدية أدوات التعامل التي تأتي في المقام الثاني لما يعرف على سبيل المثال (بوثائق الإيداع الأمريكية، وهي أسلوب متبع يوضح للشركات الأجنبية كيفية الدخول إلى الأسواق الأمريكية مما يسهل من ثم على الأمريكيين طريق الاستثمار في الصين)، وسأقول بتنقيط صيغة الضمير أنا عندما أقوم بتقويم التقدم المتسارع للصين في عرض الأسهم المصدرة أول مرة بغرض الاكتتاب عليها التي يصعب مقاومة الرغبة في شرائها، وفوق ذلك كله، فإنني أريد أن أقلل من عامل التهديد وأكون واثقاً بأنه عندما يتعلق الأمر بأموالك أيها القارئ الكريم، سأكون حريصاً على ألاَّ يضيع مثقال ذرة من المعلومات الضرورية لك وذلك بحكم ترجمتي لهذه المعلومات.

وفي السياق، سأعرض تحليلي لاقتصاد الصين وألخص الحركية التي تقف وراء العوائد والابتكار، وسأوضح سياسات الحكومة ذات الأهمية التي تؤثر في الصناعات المحلية والأسواق العالمية وذلك كما هي موضوعة في آخر خطة خمسية، التي أُرسيت قواعدها من حكام الصين، والتي تمثّل المسوَّدة الرئيسة للبلاد، وفي نيّتي أن أظهر لكل من المستثمرين الأفراد والمؤسسات السبيل للاستفادة من الظواهر الاقتصادية المتجلية التي يمكن فقط لأولئك المفتوحة عيونهم على الصين أن ينتهزوا فرصة إلقاء نظرة خاطفة عليها، وعندما أجد أن هناك ضرورة سأحلل إطار عمل منظمة التجارة العالمية التي ضمت الصين إلى عضويتها عام 2001، وفي كثير من الحالات فإن التغيرات الحاصلة في الأنظمة، وتخفيض الرسوم الجمركية، والوعود بانفتاح أكبر للأسواق على المنشآت الأجنبية ليست سوى البداية لصياغة المنافسة في حقول كالمصارف، والإعلام، والاتصالات الهاتفية. في عام 2001، حذّر بعض المتشددين من أن التخفيف من قيود كثيرة على التجارة قد يؤذي الاقتصاد المحلي، ولكن على العكس ظهر للعيان أن القواعد المتحررة المنظِّمة للصادرات والواردات لم تؤدِ إلا إلى فتح الأبواب أكثر من ذي قبل أمام الأعمال لكلا الطرفين، وحفّزت الابتكار ضمن صناعات الصين المبهمة.

وعبر «ملفات صينية» سهلة التناول - إذا صح القول - سأعرِّج على بعض المؤسسات الحديثة التي تتطاول في البنيان بالتزامن مع ظهور الصين الجديدة، وسأضع بين يدي القارئ رموز الأسهم، وطرق القراءة المهمة لمسارات الأرباح/الإيرادات، والأرضية ذات الصلة لكل منشأة،

هناك بعض الشركات التي تعد من الرواد الذين يقفون على أرض صلبة، وأخرى لا تزال تتلمس طريقها في الأسواق الناهضة، والكثير من هذه الشركات تظهر حتى هذا الحين أسساً غير واضحة، ولا يزال أمام العديد منها طريق طويل تمشي فيه، وجميعها تعد أمثلة وليست على سبيل انتقاء بعينة أو جملة من التوصيات، وسآتي أيضاً على ذكر الشركات الأجنبية التي استفادت كثيراً من توسع الصين الاقتصادي، لكنها لن تكون الشق الرئيس من الموضوع الذي سأعرضه، وسأعرِّف القارئ المشروعات التي تحمل في طياتها الأمل في تحقيق المكاسب التي لم يُسمع بأسمائها من قبل وقد يجد صعوبة في النطق بأسمائها، وجميعها تقريباً تظهر النتائج التي يمكن أن تتعاظم.

وعلى الوتيرة نفسها سأنظر إلى ما يحمله المستقبل في طياته عن طريق عمل مسح لتاريخ الصين، الحديث والقديم، بحثاً عن دلالات حول أهداف الصين والوسائل المعتمدة لبلوغ هذه الأهداف، لكنني لن أتهرَّب من اتخاذ نظرة قاسية على الأشراك المحتمل الوقوع فيها سواء انطوت على عوامل توتر السياسة الجغرافية أو التهديدات البيئية.

ليس المقصود بهذا الكتاب أن يكون دليلاً يوزع بالمجان على كل عابر سبيل، ويكون مضمونه مراهنات الأمس التي أُكِّدت نتائجها، ولن أعلن على الملأ عن أسهمي التي أمتلكها، ليس لأنني أعد هذا التصرف نوعاً من تضارب المصالح، ولكن لأن العالم لديه ما يكفيه من التابعين الذين لا يبصرون، وبدلاً من أن أضع بين يدي القارئ متى يستثمر وأين يقوم بذلك؛

لأن هذا متروك له، فإنني سوف أقدم إجابات عن كيف ولماذا، التي تساعد من يريد أن يمضي في ركب المسار الصيني النامي لدرجة تثير الإعجاب.

في كتابي السابق، «السلع الرائجة»، عرضت كيف أن الأرقام التي لم تنمّ على العرض والطلب الحقيقيين قد ضمنت سوقاً إيجابية مدة طويلة امتدت لعقدين من الزمن عبر شريحة كاملة من الاستثمارات لطالما أعرض عنها أكثر الناس. إن الاتجار بالسلع لهو - أيضاً - إحدى السبل العظيمة لجني الأرباح الناشئة عن التوسع في الصين، حيث إن الطلب المتزايد على كل شيء بدءاً من النحاس والنيكل إلى نبات الصويا والزيت سيظل متحكماً في اتجاه الأسعار لسنوات قادمة. وإن امتلاك أي قطعة من هذه الأشياء التي لا يستطيع اقتصاد الصين المتعاظم أن يتخلى عنها هو أمر مضمون للغاية دونما خوف من أداء الحكومة أو الإدارة أو أموال التقاعد، وإذا كنت تملك سلعاً بغرض البيع فإن الحكومة الصينية ستدفع لك ثمنها في الوقت المعلوم.

لكني في هذا الكتاب أود أن أعرض لطيف أوسع كثيراً من الخيارات المتوافرة لامتلاك حصة في مستقبل الصين، وكما عملت من أجل سوق السلع، فإنني أيها السادة أريد أن أشير نحو سوق آخر بدءاً من بدايته التي تمتد في رحلة طويلة نحو الصعود، بغض النظر عن العقبات التي تعترض طريق هذه الرحلة.

ولنفرض أنكم في حيرة من أمركم، فإن ثقتي ليست مبنية على حنيني لرحلاتي على الطرق في الماضي. وما لم تكونوا قد خلدتم إلى صومعة كالرهبان أو أمضيتم العقد الأخير من الزمان تحت صخرة نائية، فإنني

أفترض أنكم على دراية بأن انفتاح الصين على العالم قد أدى إلى أكبر انتعاش اقتصادي منذ الثورة الصناعية التي قامت في إنكلترا.

وقد علّق أحد أصدقائي الصينيين الذين عايشوا الأحداث على ذلك بقوله: «لقد ارتقت البلد عملياً من الحضيض المالي الذي كانت فيه، ففي عام 1980، وتماماً قبل بزوغ فجر الإصلاحات الاقتصادية، كان الناتج الإجمالي للفرد والمبني على القوة الشرائية لا يتجاوز 410 دولارات مقارنة بدخل الفرد في الولايات المتحدة الذي كان في ذاك الحين يصل إلى عتبة 12,230 دولاراً في السنة، وبينا تمتع الاقتصاد العالمي مدة طويلة من النمو بعد الحرب العالمية الثانية، كنّا نحن الصينيين نعيش في عزلة تامة داخل أبواب موصدة في محاولة لتطبيق اشتراكية وهمية، لم يكن هناك وجود للملكية الفردية حيث تعود الملكية برمتها إلى الدولة، ولا أثر للمشروعات الحرة نظراً إلى أن كل شيء يخضع للسيطرة المركزية، والمنافسة معدومة لأن الطعام والملبس وحتى زيت الطهي كان يوزع بالحصص بمقدار بالكاد يفي بمتطلبات العيش للفرد، صناعة الخدمات غير موجودة، حيث يتعين على المواطن دوماً أن يخدم الشعب، بدلاً من أن يخدم نفسه، لقد كان من المتعذّر تغيير المهن، أو الوظائف، أو رب العمل، أو حتى استحداث أي أمر جديد لأن العمل الموكل للفرد كان مقرراً سلفاً منذ فجر ولادته، أما الأسواق الرأسمالية فقد كانت تنعت بأنها مصدر للشر والآثام؛ ولذلك لم يكن هناك من خطوة أعجب من تلك التي نعيشها اليوم».

وبنسبة قاربت في المتوسط تسعة في المئة منذ بداية ثمانينيات القرن العشرين، فإن الاقتصاد الصيني كان يتضاعف مرتين في كل عشر سنوات ما عدا بضع إشارات ضئيلة تدل على التباطؤ.

وإذا ظل التنبؤ على حاله فإن الصين ستسبق الولايات المتحدة بوصفها الاقتصاد الأكبر في العالم في مدة تقدر ما بين عشرين إلى ثلاثين سنة من الآن، وإضافة إلى ما ذكر فإن الصين قد جذبت ما يقرب من سبعين بليوناً من الدولارات في شكل استثمارات خارجية في عام 2006، التي إذا أضيفت إلى فائض الميزان التجاري يصبح معها احتياطي القطع الأجنبي لدى بيكين أكثر من 1.3 ترليون وثلاثمئة ألف بليون من الدولارات (الأعلى في العالم الآن). في عقد مذهل من الزمان ازدادت قاعدة الصين الصناعية للسلع المعمرة بوتيرة وصلت إلى مئة ضعف.

لكن كل هذه الأرقام الضخمة هي البداية فقط، فالمكاتب الأنيقة في الأبراج الشاهقة وخطوط التجميع التي كانت حقولاً يزرع فيها الرُّزُّ لا تعني كثيراً بالمقارنة بإنجازات الصين التي تفوق القياس في السلوك الإنساني والوعي الدولي، والفرص السانحة لإحراز الاختراقات، لقد تغيرت التحية التقليدية السائدة في الأرياف من «ماذا كان طعامك اليوم؟» إلى «هل تصفحت شبكة المعلومات اليوم؟» إن المديرين الصينيين والمهندسين والفنانين والرياضيين والمصممين يمسكون اليوم بزمام المبادرة ويقودون العالم نحو «القرن الصيني».

حتى الآن، يذكرني هذا المكان بالكثير من واقع أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر، عندما صعدت الولايات المتحدة على خشبة المسرح العالمي بعد حرب أهلية واضطراب سياسي، كان هذا العهد يدعى ببارونات النهب، وتعاظمت فيه مدن جديدة كشيكاغو، واتسم بالاختراعات التِّقْنية الرائدة كالهاتف والمصباح الكهربائي وظهرت فيه الشركات الدولية العملاقة مثل

ستاندرد أويل Standard Oil في مجال النفط. لقد كان زمن التوسع غير المكبوح وقامت المنشآت الحرة وتكونت الصناعات الأساسية، وكذلك كان هناك الكثير من المخاوف التي تثير فزع المستثمرين: كاغتيال الرؤساء، وأعمال الشغب العرقية والقلاقل العمالية، والنضال الإنساني، والمقدار القليل من حقوق الإنسان، والعديد من الأزمات الاقتصادية، وانتشار ظاهرة الفساد في الحكومات ودور الأعمال، وهذا ما كانت عليه حال الصين في ذلك الوقت: شرق همجي في الصين يحاكي الغرب الأمريكي في الماضي. ولنتخيل كيف كان مستقبل أمريكا غامضاً في نظر العالم سنة 1908؛ فإن الصين تبدو في عالم اليوم قريبة الشبه بأمريكا الأمس، فوضوية ومفعمة بالتحديات، ولكن بإلقاء نظرة على اتجاه الاستثمارات الأمريكية ما بين 1908 و2007، يمنحني الكثير من الثقة بالصين في 2008. وفي حقيقة الأمر، انهار الاقتصاد الأمريكي عام 1907، وعمّت النشوة أصحاب النظرة السلبية. لكن حتى الذين أقدموا على شراء الأصول المنتجة بأغلى سعر في ذاك الوقت سارت بهم الحال من الأسوأ إلى الأحسن وسبقوا الآخرين بمسافات بعيدة.

ليس من طبعي ركوب الموجة السائدة لا سيما تلك الكبيرة، لقد كان ذلك عندما ابتعدت عن الحشد الذي حققت عبره أفضل استثماراتي، في وقت كتابتي لهذا المؤلَّف أظهرت الأسهم الصينية أداءً ملحوظاً قياساً إلى أدائها المتواضع الذي كان في القاع عام 2005. ففي حين تكون هناك فقاعة آخذة في التضخم ولها حضور في قطاعات معينة وربما نلحظ وقتها حصول بعض خطوات التصحيح الدرامية، فإننا نحتاج إلى تهيئة أنفسنا إلى أن فرصاً كثيرة وثمينة ستلوح في الأفق وستمتد لأمد طويل.

هل تريد أن يكون لك نصيب في النمو الذي تتمتع به الشركات التي تتخذ من عاصمة الصين بيكين مركزاً لها؟ أو هل لك رغبة في الحصول على الربح بسبب زيادة القوة الشرائية لأكبر شريحة طبقة متوسطة شهدها العالم حتى الآن؟ أو المشاركة في السلع الاستهلاكية الهائلة التي يمكن أن تنتجها الصين، أو ربما الفوز بقاعدة صلبة للتصدير الصناعي؟ أو تحب أن تكون لك حصة في المجهودات الصينية المبذولة لتطوير المدن والعقارات؟ أو تبذل جهداً في ابتكار أول نبيذ صيني المنشأ فائق الجودة؟ هل تريد المتاجرة بالعملات عندما يتاح لك هذا الخيار؟ أو لعلك تنوي الاستثمار في شركة صينية تتاجر في البضائع لكي تستفيد من حالتي العرض والطلب على السواء، أو في شركة زراعية تلقى الدعم حديثاً بفضل مساندة الحكومة لها، إن احتمالات الاستثمار لا نهاية لها مثلما هي حال الصين.

حان الوقت الآن لأن تخطب وِد الصين وتصبح جميع الأشياء صينية. سافر إلى هناك إذا كان بوسعك فعل ذلك، وإذا سبق لك أن تسلقت سور الصين العظيم، فارجع لترى بأم عينك التحولات الكبيرة، حتى وأنت في بلدك الذي تقطنه خذ بعض الدروس في اللغة الصينية ومن ثَمّ تعلم شيئاً عن الأدوية الصينية، بل اقرأ بعضاً من الكتب الكثيرة التي تصف الحياة في الصين المعاصرة، شاهد أفلامهم السينمائية، المهم هو أن يتطور لديك شعور واضح كيف يبدو العالم في عيون الصينيين وكيف يخطون مسار حياتهم. حاول أن تكتشف كيف ينفق الصينيون نقودهم التي يكسبونها بعرق جبينهم وأين يمكن أن يضعوها لِتنبت وتنمو.

إنني شخصياً من الذين يؤمنون بآفاق الصين الواسعة على المدى البعيد إلى درجة أنني استأجرت مربية صينية لتعتني بابنتي التي سميتها هابي Happy (السعادة)، التي ولدت عام 2003، وهي الآن من السعيدات اللائي يتكلمن لغة الماندرين. كما نصحت من قبل وسأسدي النصيحة ثانية: تخلصوا من الدولارات، علّموا أولادكم اللغة الصينية، وأقبلوا على شراء السلع.

ومن ثَمّ اعتمدوا على خبرتكم الذاتية وافتحوا أعينكم بفطنة بحثاً عن العلامات التجارية الصينية البارزة التي تنطوي على ميزة تنافسية، ولنفترض أنكم ممن يعملون في صيانة آليات النقل؛ لابد أن لديكم مقداراً كبيراً من المعلومات عن السيارات والمحركات والقيمة ذات الصلة لبعض النماذج أو التصميمات الإبداعية، ولذلك فإنني أقترح عمل مسح لصناعة السيارات الصينية لكي تجدوا شيئاً تؤمنون به، وإذا كنتم ممن يمارسون مهنة تزيين الشعر، فلعله يوجد لديكم إحساس نحو العلامات التجارية الخاصة بالأزياء، أو مستحضرات التجميل، فقط تذكروا: أنكم على دراية أكثر كثيراً بهذه الأشياء من سمسارة وول ستريت.

ولكي تحددوا مسار توجهكم نحو مواطن الثراء في الصين؛ فعليكم أن تستخدموا مشاعركم الخاصة، وتعتمدوا على مبادراتكم الشخصية. وربما وقعت عينكم على «الرقاقة الحمراء» الآتية التي ستصنع في الصين وستجد سوقاً مزدهرة لعقود قادمة، قوموا بعمل الحسابات ولا تعاملوا

الصين بأسلوب يختلف عن أي مكان في العالم، لا تدعوا الحذر يغادركم والتزموا ما تعرفونه من معلومات، إن قصص النجاح في الحياة تُحكى عن أناس يعرفون ماذا يريدون، ويظلون ملازمين العمل الذي يعرفونه ومن ثَمّ يستمرون في مراقبة الأداء بكل عناية، ما عليكم سوى أن تعرفوا ماذا تريدون حتى تصبحوا واحداً من أولئك العمالقة في الصين.

ودعني أؤكد: إن هذا ليس عبارة عن قائمة مفهرسة (كتالوج) يحتوي على نصائح مغرية أو حتى توصيات، لكنه يعبر عن استقصائي لما يحدث في عالم الأعمال في الصين، إن الشركات التي هي موضع البحث قد يحالفها التوفيق أو الإخفاق، لكن هناك بعض النقاط الفاتنة التي يمكن أن تعد بداية لما أعتقد أنه سيجعل من يقرأ كلماتي يتمكن من أداء واجبه بنفسه. وبالاعتماد على الغريزة ومعرفة الأرقام، لعل القارئ يكتشف شركات وصناعات صينية حتى وإن لم يكن هناك أي إشارة إليها بين هذه السطور.

عندما كان الجيل الذي عاصرته في طور النمو لطالما حذرنا آباؤنا من أن الصين تقع في المكان الذي ينتهي عنده شقنا لحفرة في الرمل؛ وكأن الصين كانت في الطرف الآخر من الكرة الأرضية، لا يزال هناك الكثير من «الخبراء» الذين يأكلون لقمة عيشهم بإخافتهم الناس من بلد كان إلى زمن غير بعيد عن الذاكرة عدونا الفكري «الإيديولوجي»، على الناس أن يتوخوا الحذر لكن خوفهم من المجهول والغريب لا يجوز أن يَحُولَ بينهم وبين أقدامهم من أجل اتخاذ خطوة إلى الأمام، ليس هذا هو الوقت الملائم الذي نضيعه بدفن رؤوسنا في الرمال.

منذ أن بدأت التخطيط لجولتي الأولى في الصين، سار العالم بخطىً متسارعة أكثر من أي وقت مضى، فالشعارات الشيوعية عفا عليها الزمن كقبّعات ماوتسي تونغ التي لم يعد لها أثر، حتى في فيتنام احتل النمو الاقتصادي الهائل المواقع التي كانت مسرحاً للمعارك، كذلك خرجت الهند من عزلتها ومن حالة الطوارئ التي كانت مفروضة في عهد أنديرا غاندي، وفي أقل من نصف الزمن الذي انقضى من حياتي، أصبح ثلاثة بلايين من البشر من أهل قارة آسية جزءاً من الاقتصاد العالمي، وفيما يخص عالم المال فقد تحول مركزه بنحو لافت للنظر إلى مكان آخر. ففي عام 2002، كانت حصة بورصة وول ستريت ثلاثة وعشرين إصداراً أولياً للأسهم من أصل أكبر خمسة وعشرين منها، أما في عام 2006، فقد تقلصت هذه الحصة إلى إصدار واحد فقط.

وأحياناً يتطلب السير في ركب البديهيات تغيّراً في أساس التفكير الذهني، لقد كان الناس لسنوات يحملقون في مؤشرات الصين، لكن القليلين منهم خارجها كان لديهم الاستعداد لتقبّل فكر ثاقب منطقي بعيد النظر، أو ربما كانوا قادرين على إسدال الستار عن راحة البال التي كانوا يشعرون بها لدى نظرتهم على جغرافية العالم من زاوية واحدة (وهي أن الولايات المتحدة هي المركز). ويمكنني القول: إنه على الأقل كان في استطاعة المستثمرين أن يحققوا نوعاً من تنويع استثماراتهم ويحصنوها بالحماية اللازمة من مستقبل ضعيف، ربما كان في انتظار الولايات المتحدة مثلما فعلت أنا شخصياً عندما وضعت أموالي في ثمانية وعشرين سوقاً أجنبياً للاستثمار، ربما كان الأمر كله ينتهي عند الحكمة

التي نطق بها حكيم الصين كونفوشيوس الذي أطلق تحذيراً منذ خمسة وعشرين قرناً مفاده: «إذا لم يأخذ المرء في حسبانه ما قد يحصل له في المستقبل البعيد فإنه لن يجد أمامه سوى الندامة التي تنتظره قريباً».

وتماماً مثلما فعلت في أسواق السلع، فإنني أتحدى جمعنا كله بأن نأخذ نظرة حادة ونرى ماذا ينتظرنا على مسافة لا تتعدى أنوفنا، ولم تكن الصين قريبة إلينا لهذا الحد من أي وقت مضى مثلما هي قريبة منا الكرة التي نلهو بها على الشاطئ أو الدثار الذي نجلس عليه قبالة البحر. وإذا كان أحد بحاجة إلى براهين أكثر، فليقم بإحصاء تقنيات منزله من الإلكترونيات إلى الملابس، ومن الكتب المطبوعة إلى الدمى، وليرى بأم عينه كم منها كتب عليها «صنع في الصين».

لماذا لا يكون للمرء نصيب في صنع بعض من هذه التقنيات؟ ويحضرني مثل صيني قديم آخر «هناك يوم تقضيه في تجفيف شباك صيد السمك وآخر تطرح فيه هذه الشباك في البحر لأجل الصيد».

حان الوقت الآن لكي تعد الشباك.

وأود أن أختم هذه المقدمة بملاحظة أخيرة عن توخي الحذر، إن الحكومة الصينية - وأنا لا أزال أكتب هذه السطور - ما زالت مستمرة في التصدي لأي مخاوف مصدرها فقاعة تلوح في الأفق، وهي في الوقت نفسه ليست واثقة بما سيجابهها في المستقبل القريب، ربما تنخفض أسعار الأسهم وتمنحنا هبوطاً ليّناً، مما يهيئ لنا فرصاً في حينها، على كل حال، لو أن فقاعة بدأت ملامحها في الظهور فإنني أنصح بمدة من التريث

قبل اتخاذ القرار، اقرؤوا هذا الكتاب وتعلموا منه أقصى قدر ممكن عن الأسواق الصينية، وتهيؤوا للحظة المناسبة التي يمكن أن تتحركوا فيها عندما يبدأ المسار في الصعود، وليكن الحظ حليف أولئك الذين جهزوا عقولهم وأنفسهم.



1

الاستثمار: من قبعات ماو
إلى قبعات السوق الصغير

سوقان للأوراق المالية أو ثلاثة إذا أضفنا إليهما سوق هونغ كونغ. خمسة أصناف من الأسهم، هذا إذا أغفلنا ذكر شهادات الإيداع الأمريكية ووسائل تمويل أخرى، أسهم بمقدورك شراؤها خارج الصين وأخرى لا تستطيع شراءها إذا كنت تعيش في هذا البلد؟ أسهم بقيم مختلفة في بورصات مختلفة، مثل أي شيء آخر في الصين، الشراء في ثروة الصين مليء بالتعقيدات أكثر مما يحتاج الأمر، لكنه أبسط كثيراً مما يبدو عليه عن بعد، وعملية الشراء تمشي بخطا تجعلها أكثر يسراً للمستثمرين الأجانب عبر السماسرة في الولايات المتحدة، البنوك الدولية وعبر شبكة المعلومات (الإنترنت).

لذلك لا تدع التفاصيل تحوّل انتباهك: فالسهم هو سهم، في شركة راسخة الأقدام تستحق أن يستثمر فيها، بغض النظر أين تكون أسهمها معروضة على لائحة واحدة في بورصات التعامل، لكن قبل أن تقرر كيف تستثمر، دعونا نراجع المسار الذي صيغت بموجبه بورصات الصين وأين يمكن فقط أن يكون اتجاهها في المستقبل.

كيف بدأت تعاملات الأسهم في الصين

تجاهلْ دببة الباندا أو أبنية المعابد الذهبية، في رحلتي الثالثة إلى الصين عام 1988م كان أول مَعْلم أردت مشاهدته منصة صغيرة للتجارة أنشئت حديثاً من قبل بنك الصين التجاري الصناعي، لم يكن هذا بعد سوقاً حقيقيةً للأوراق المالية، فمن دون أجهزة تلغرافية أو سماسرة، كان عدد الأسهم المتداولة في البداية متواضعاً وذلك أواخر عام 1986، ولا يكاد يتعدى ثلاثين سهماً في اليوم، وهو ما كان يمثل حصصاً لشركتين فقط وكان عملياً يُضْرَبُ لهذا موعد بين الأطراف المعنية لتنفيذ الصفقة. وبالرغم من أن شنغهاي احتضنت ذات يوم أغنى سوق للأوراق المالية في آسية، إلا أنه كان يلزمها سنتان كي تعود إلى ممارسة عملها من جديد على الوجه الصحيح؛ لكن هذا المكتب ذا المعالم غير الواضحة والقابع في عمارة صغيرة ذات الرصيف غير الممهد، والمكتظ بأكوام من أنابيب المياه، جعل العمل الرأسمالي يبدو لي أكثر وضوحاً من كل الشاشات العالمية الإلكترونية السريعة، هنا - وبكل أمانة للحق - كان البيع والشراء الذي يتم من فوق هذه المنصة الوحيدة والمكتظة يتسم بالأمانة والطيبة.

وعندما عرفت أين يقع المكان الذي ذكره له أحد موظفي الحكومة العابرين، لم أستطع مقاومة رغبتي في أن أنضم إلى ثلة ضئيلة العدد من الأنفس التي استجمعت شجاعتها، وانتظرت مثلهم بغية شراء شهادات أسهم مطبوعة على ورق حقيقي يتعدى قياسه شهادة دراستي الثانوية، لا يوجد شيء «افتراضي» هنا. فبمعاونة ترجماني، والقلة القليلة من الرجال المهذبين الطاعنين في السن والذين كانوا يصطفون في دور غير

منظم، وهم ممن عادت بهم الذكرى إلى الوراء لأيام البورصات القديمة قبل عام 1949، وهم بهذا كانوا يضيفون شيئاً من النشوة إلى أعمارهم المتقدمة، فقمت بتدوين طلب للشراء في سجل مفتوح تتولى إدارته سيدة مسكينة كادت أن تصاب بصدمة. لقد بدت خائفة من أن تستلم مني نقودي -بالعملة الصينية التي هي جيدة كغيرها من أوراق العملة- وتعيّن عليها أن تتشاور مع رؤسائها حيث إنني كنت أول «شبح أجنبي» يقف أمامها. حتى بعد أن وافقت على طلبي والتجهم باد على وجهها وباشرت بإتمام الصفقة، فإن شهادة الأسهم مع الكثير من إيصالات الورق المكربن الرقيق المقطع كان لابد لها من لصق الطوابع عليها ومهرها بالأختام التي برع الموظفون البيروقراطيون في استخدامها. وتبع ذلك الكثير من ارتطام حبات الخرز لآلة العد التي يستخدمها الأطفال للتعلم التي كانت موضوعة أعلى المنصة بحيث أجبرت على قولي لهم أن يزيحوها ويتمموا الصفقة قبل أن تتجه أسهمي نحو الارتفاع.

شعرت بالفخر عندما انتهت المعاملات الرسمية. فبالنظر إلى مستثمر متمكن كان الحصول على قطعة من تجربة الصين في الأسواق الحرة والتي كانت لا تزال في طور التبرعم -مثيراً أكثر من الإمساك بعصيّ الطعام. «أرجو أن نصبح كلنا أثرياء!» هذا ما قلته للسيدة القائمة على السجل، وذلك قبل عامين من افتتاح سوق الأوراق المالية الحقيقية في شنغهاي. كان الوميض في عيون السيدة وكأنه يشير إلى أنها قد فهمت مقولتي.

أتمنى لو أستطيع الادعاء بأن سهماً واحداً لمصرف مغمور يساوي الآن كل الشاي الموجود في شنغهاي. ليس لدي أدنى فكرة، ولا أريد أيضاً أن

أعرف. لقد وُضعت شهادة ملكية الأسهم هذه في إطار وعلقتها على حائط منزلي. ربما ستكون ذات قيمة أكثر من أي حصة سهمية بوصفها ستكون يوماً ما تحفة أثرية. على أي حال، لن أفرط فيها وأبيعها؛ لأنه وفقاً لما قيل لي فقد كنت أول أجنبي يشتري أسهماً من قبل. لكنني أستطيع تأكيد أن «تجربة» الصين في أسواق تداول الأوراق المالية مخملية أكثر. في الأعوام الاثني عشر الأولى، ارتفع عدد الشركات المدرجة على قوائم التداول من اثنتي عشرة شركة إلى ما يقرب من ألف وأربع مئة شركة، وكذلك ازداد عدد المستثمرين في البورصات الصينية من أربع مئة ألف إلى حد يكاد يصل إلى سبعة وستين مليوناً -وهذا الرقم كان قبل أن تبدأ الأمور في التحسن الملحوظ في نهاية عام 2005! فمنذ عام 1991 إلى 2005، حصلت الشركات على أموال تفوق 150 بليون دولار في السوقين الماليين مجتمعين. وبحلول شهر أيلول 2006، اندرجت في السوقين المذكورين 1377 شركة، بإجمالي سوق رأسمالي بلغ 400 بليون دولار.

وبالرغم من السنوات التي أهدرت بسبب السياسات غير المترابطة التي تُعَد نتيجة لقلة الخبرة والإيمان بآلية السوق فقد صارت سوق، شنغهاي (التي تأسست مرافقة لسوق مدينة شينزن Shenzhen المزدهرة التي تقع على الحدود الجنوبية للبلاد) ثاني أكبر سوق رأسمالي في قارة آسية، برقم تجاوز 500 بليون دولار، وهي في طريقها لأن تعود لاحتلال موقعها المرموق الذي سبق أن كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية.

وفي الحقيقة، فإن الصينيين كانوا دوماً رأسماليين منذ ذلك الحين. وإذا كان النظام الرأسمالي في حد ذاته واحداً من الابتكارات التي لا

يستطيع الصينيون الادعاء بأنهم كانوا السبّاقين إليها، فإنهم بالتأكيد يملكون الكثير من الممارسة في الأعمال الحرة الخاصة -وبمرور الزمن، فإنهم ربما يتقنونها على أكمل وجه. حتى في أيام الانحطاط الأخيرة لعرش أسرة كينغ (1644 - 1911) Qing عندما تَرَكَ الحكمُ الإقطاعي البائد - والذي كان على رأسه إمبراطورة من النبلاء طاعنة في السن - الصينَ لقمة سائغة للجيوش الغربية، بدأت بعض الشركات الصينية إصدار حصص سهمية للجمهور، وذلك بوصفها وسيلة لتعبئة الأموال بغرض التوسع. في أواخر العقد السابع من القرن التاسع عشر، نشأت في شنغهاي سوق لتداول الأوراق المالية. وظهرت في شهر حزيران (يونيو) عام -1866 وفقاً لصحيح إحدى الجرائد - لائحةٌ من ثلاث عشرة شركة، كان من ضمنها شركة هونغ كونغ وشنغهاي المصرفية (والمعروفة في يومنا هذا باسم HSBC* العالمية) وذلك في المكان المخصص «للأسهم» في الجريدة. (الجدير بالذكر أن بورصة نيويورك قد بدأت عام 1792، بعدد قليل من الشركات أيضاً).

كانت أول منشأة تجارية يتم تداول أسهمها قد تأسست في شنغهاي ويعود تاريخها إلى 1882. في عام 1891، وأثناء ازدهار أسهم المناجم، أنشأ رجال الأعمال الأوروبيون والأمريكيون رابطة شنغهاي لسماسرة الأسهم، وهي أول سوق لتداول الأوراق المالية في الصين، لجعل الأسهم في متناول الأجانب في هذا الموقع الدولي المزدهر. وبحلول عام 1914، سنّت حكومة الصين أول قانون منظم للأوراق المالية، وتأسست في

* اختصاراً لـ Hongkong and Shanghai Banking Corporation

حينها مكاتب في المدن الشمالية كتيانجين وبيكين. لكن سوق شنغهاي الرئيسة كانت هي المهيمنة منذ عام 1920، وازدهرت أثناء ثلاثينيات القرن العشرين عندما تحولت شنغهاي إلى ثلاث مناطق للنفوذ كانت من نصيب البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين، ووصلت إلى الذروة بحيث أُطلق عليها اسم «باريس الشرق». في عام 1937، وضع القصف والاحتلال اليابانيان نهاية لكل عمليات الاستثمار وحمّى المضاربات. وعندما حصلت محاولات لإقامة أسواق صغيرة في الأوقات التي عمّتها الفوضى قبل وبعد إحكام الحزب الشيوعي قبضته على البلاد في عام 1949، زال من الوجود كل ما يشبه امتلاك الأسهم أو الاتجار فيها مدة قاربت عقوداً ثلاثة، وحلَّ محله العمل الجماعي المبني على الشمولية والتحكم الاقتصادي والملكية العائدة لدولة ماوتسي تونغ الحاضرة في كل مكان.

وفي أثناء حقبة الثورة الثقافية التي سادها التعصب، تعرض المواطنون الصينيون للاضطهاد إذا قرؤوا روايات العالم الغربي أو مارسوا العزف على آلة البيانو. فهل يتخيل أحدٌ كم كان على من يمتلك حصة في آي بي إم أن ينقل بالمجرفة كمية من الوحل وذلك كفارة له عن هذا الفعل الشنيع؟ لقد كانت سنوات من العمل الإجباري بانتظار كل من يتمتم بأشياء تعد استفزازية مثل مكاتب السمسرة أو إصدارات الأسهم الأولية (هذا إذا كان أحد في الصين قد سمع بها من قبل). ولكن في شهر تموز (يوليو) من عام 1977، وبعد سنة على انقضاء عقد من الاضطراب والفتن التي جعلت الصين معزولة عن العالم وأكثر فقراً من أي وقت مضى، أعيد الاحترام إلى تينغ هيساو بينغ وهو نائب لزعيم الصين وجنرال في

الجيش الأحمر بعد أن كان خاضعاً للإقامة الجبرية، ورجع إلى مناصبه السابقة في الحزب الحاكم وبدأ يهمُّ بإعادة وضع البلاد على مسار من البراغماتية والإصلاح.

كان النظام الشيوعي كما رآه تينغ بوضوح يتهاوى في أرجاء العالم. فنظرة سريعة إلى العالم في ثمانينيات القرن العشرين كانت كافية لتؤكد أن البلدان التي تقر بالمنافسة، وتسمح بالمستوردات من المواد الخام ونصف المصنعة لقاء رسوم جمركية زهيدة، وتشجع الصادرات عبر تقويم واقعي للعملات تنعم بالرفاهية الاقتصادية والرخاء. لقد ألهمت «النمور الآسيوية» وهي كناية عن كوريا الجنوبية وتايوان وهونغ كونغ وسنغافورة تينغ ليتلفّظ بمقولته الشهيرة: «لا يهم لون الهِرّ إن كان أسود أو أبيض طالما ظل يصطاد الفئران». لقد بدا جلياً أن الهر هو الرأسمالية، والرخاء هو طريدته. في هذه الأثناء، كانت البلاد تحتاج لمقومات تعجز الحكومة وحدها أن توفرها لبناء وتوسيع قاعدتها. وكما قال تينغ علناً بعد تفكير وتأمل: «هل بعض الأشياء كالأوراق والأسواق المالية جيدة أم لا؟ هل هي خطرة؟ لا أجد مانعاً من تجريبها، لكن الأمر يجب أن يتم بعزم وإرادة».

كان هناك بعض الناس عازمين على خوض التجربة فوراً، ولاسيما بعد أن سمح تينغ للمزارعين الذين تحرروا من التزاماتهم الجماعية أن يبيعوا قدراً متواضعاً من محاصيلهم بهدف استعمال ناتج البيع لتحديث التجهيزات. حدث ذلك عام 1984، وهو العام الذي شهد أول جولة لي، ولا أستطيع القول سوى إنني شاهدت كماً عظيماً من المبادلات التجارية في أي شيء عدا قبعات ماوتسي تونغ القديمة. وقبل ذلك بسنوات قليلة

قامت بعض المعامل والمتاجر بجمع الأموال بالطرق القديمة مختبرة بذلك الحدود التي كان مسموحاً بها. بحلول عام 1986، رحّب تينغ هيساوبينغ بحفاوة برئيس بورصة نيويورك في قاعة الشعب الكبرى! كانت خطته الأصلية أن يقوم باختبار إصدار أسهم في مدينة شينزن، بوصفه أنْ سبق له تجريب كل وجه من وجوه النظام تقريباً. ازدهرت هذه القرية الصغيرة التي تقع على الحدود الجنوبية للصين مع هونغ كونغ وانقلبت إلى مدينة تنعم بالرخاء ويقطنها ستة ملايين من البشر بعد أن وقع عليها الاختيار لتكون أول «منطقة اقتصادية خاصة» في عام 1988، سُمِحَ لمصرف شينزن للتطوير والذي أبصر النور من رحم جمع لا يحصى من اتحادات التسليف، أن يبيع خمس مئة ألف سهم عادي -واستطاع بسرعة ونجاح أن يحصل في المقابل على عدة ملايين من الدولارات الأمريكية ودولار هونغ كونغ.

لكن لا يمكن نكران دور شنغهاي وهي النافذة السبّاقة للصين على الغرب منذ أواسط القرن التاسع عشر. حيث فتحت سوق شنغهاي أبوابها عام 1990 على عجالة بسبب الحاجة الملّحة لإيجاد مصادر للأموال في وقت قلّت فيه السيولة إثر السعي لكبح التضخم. انتظم الألوف في صف الانتظار لأيام من أجل شراء الأسهم، بالرغم من أنه كان لا يوجد سوى ثماني شركات مدرجة على القوائم. أما سوق شينزن فقد كانت تعمل في ذاك الوقت ولو أن انطلاقتها الرسمية حدثت بعد ستة أشهر. وإلى يومنا هذا تدعي كلتا البورصتين التميز بحجة أنها افتتحت قبل غيرها. وقد طُبّقت بعض القواعد المؤقتة على تداول الأسهم وإصدارها وتجارتها عام

1989 في كلتا البورصتين، كانت مستوحاة ومنقولة عن القواعد المنظمة للأسواق خارج الصين وتمت ترجمتها من لغتها الأصلية بقدر ما استطاع الصينيون ذلك.

أصابني الذهول منذ الوهلة الأولى من حيويتها عندما سنحت لي الفرصة أن ألقي نظرة خاطفة على المكان الهزيل الذي باشرت فيه السوق عملها حالياً في بودونغ وهي مدينة للمستقبل شيّدت فيها ناطحات السحاب على ضفاف نهر هوانغ بو القادم من القسم التاريخي للبلدة. هناك تسنى لي أن أرى كيف استفادت الصين من دراسة أسواق العالم الأخرى القائمة واستطاعت القيام بقفزة كبيرة نحو المستقبل تفوقت فيها على غيرها. اتسم البناء الجديد لسوق الأوراق في شنغهاي بالفخامة، وكانت أنشطة التعامل تتم وفق أحدث أساليب التقانة. لا وجود هنا للضوضاء أو الإزعاج الذي يحدثه المتعاملون يومياً عندما يتراكضون هنا وهناك كما يحدث في المدن «القديمة» المحاطة بالأسوار مثل مدينة نيويورك. في شنغهاي لا ترى إشارات الأيدي أو قصاصات الورق المرمية على الأرض، ولكن تجارة إلكترونية نقية بالكامل -التي تمتاز بسرعتها المتقدمة وكفايتها مقارنة بغيرها- ولنتذكر أن البناء الذي يحتضن سوق نيويورك للأوراق المالية شُيِّد عام 1903، في حين تقع بورصات الصين في أبنية ارتفعت عام 1990. ومن بين الذين يعود إليهم الفضل طالب صيني اسمه وانغ بومينغ Wang Boming الذي عاد إلى الصين بعد أن قضى خمس سنوات في بورصة نيويورك، وكتب فيما بعد تقريراً محفزاً ساعد على دفع قادة البلاد إلى اتخاذ هذه الخطوة الجريئة باتجاه الرأسمالية.

في البداية كان مفوضو السوق الذين مارسوا ضوابط متشددة على أنشطة الشركات يركزون بصفة رئيسة على دعم المنشآت الضخمة العائدة للدولة التي كان تداول أسهمها يتم في هونغ كونغ أو في نيويورك، حيث يتم العرض الأولي للأسهم. ولم يظهروا إلا قدراً ضئيلاً من التقدير للمسؤولية التي يتطلبها السوق الحر. وللغرابة لم يكن لدى الصين تشريعات منظمة للأوراق المالية إلا في عام 1999 - بعد تسع سنين من فتح أسواق الأوراق المالية لأبوابها. وبالرغم من فقدان مثل هذه الرقابة، فإن عدد المستثمرين الأفراد تجاوز رقم العشرة ملايين بنهاية عام 1994 - لم تكن رحلة الرفاهية تلك دون صدمات أو تراجعات. في البداية بدا وكأن السوق لا يمكن أن يتعثر. فمنذ البداية عام 1991، ارتفع مؤشر شنغهاي من مئة إلى مئتين وخمسين نقطة في أقل من سنة، ومن ثمّ وصل إلى 1200 أثناء الربع الأول من عام 1992، وبحلول أواسط العام 1992 صارت أسعار الأسهم تراوح بين 50 وضعف أرباحها السنوية وهو ما عُدَّ أمراً مفروغاً منه في بورصة شنغهاي بل بعض الإصدارات تطلعت إلى مضاعفات أعلى للربح.

ولكن في حزيران 1992، انحدرت سوق شنغهاي بأكثر من ستين بالمئة في مدة لم تتجاوز خمسة أشهر. وفي أيام قليلة من بلوغه القاع عاد السوق نحو الارتفاع، وفي مدة لم تتجاوز ثلاثة أشهر عاود مؤشر السوق الصعود من 400 نقطة إلى 1600. لكن في منتصف عام 1994، عاد المؤشر إلى مستوى 400 نقطة. في الأعوام ما بين 1993 و2001، عانى سوق شنغهاي واحداً وعشرين تدهوراً بلغ أكثر من عشرة بالمئة في شهر واحد. وأثناء العقد الأول من

التشغيل، بدا نمو السوق بالإجمال مدهشاً لكن الأمر كان مجرد وهم. فقد اكتوت الشركات من كثرة المال الذي وُلد بسبب إصدارات الأسهم الأولية. كانت مصارف الاستثمار مثل ميريل لينش Merrill Lynch تأتي بالأموال إلى الشركات على أطباق من الفضة وهي تصيح «نريد أن نستثمر!» بعيداً عن المغفلين اعتقد الصينيون أن ذلك كان شيئاً رائعاً وأخذوا الأموال ليبتاعوا السلع الكمالية كساعات الرولكس الشهيرة وسيارات الفراري Ferrari الفارهة. لقد جمعت شركات الاستثمار والصناديق العالمية وشركات الاستثمار المدعومة من الحكومة الصينية بلايين الدولارات لتطوير البنية التحتية الصينية التي كانت مطلباً ملحّاً: مطارات وطرقات سريعة وموانئ، وعلى وجه الخصوص محطات توليد الطاقة، ولكن هذه الصناديق ارتكبت الخطأ الفادح الذي وقعت فيه المصارف الأقدم في الماضي عندما استدانت أموالاً بآجال قصيرة وأقرضتها لآجال طويلة وفي عام 1999، انتهى الأمر ببعضهم إلى الإفلاس أو أُنقذ على يد الحكومة الصينية، مما أدى إلى إيذاء مصداقية مجتمع الأعمال الصيني. ما بين 2002 – 2001، تناثرت صناعة الأوراق المالية التي كانت حديثة العهد بنحو مفضوح. ومن المحتم، كما كانت الحال عليه في كل سوق استثماري عبر التاريخ، انتهز بعضهم هذه الفرصة وقفزوا فوق أولئك الذين لا يملكون المعرفة الكافية. إن هذا النوع من السلوك قديم قِدم الزمن وليست المشكلة في الصين وحدها.

في هذه المدة، كنت قد بدأت في انتقاء بعض الصفقات المحققة للمكاسب في الصين. ففي شهر أيار (مايو) 1999م وعلى سبيل المثال، كانت الأسهم من فئة B والمتاحة للأجانب في وضع لا تحسد عليه بعد

أن هبطت خمسة وثمانين في المئة من ذروة أسعارها. لقد أثار مثل هذا التناقض شهيتي حقاً واشتريت نزراً يسيراً. لكنني بقيت بعيداً عنها بعد ذلك إلى أواخر عام 2005.

أدركت أن آليات الاستثمار في الصين متخلفة وراء تطورها المفرط لأن هذه الآليات كانت إلى حد كبير تحت سيطرة منشآتنا البالية التي كانت تديرها الدولة، ومن ثمّ تفتقد إلى قيم واضحة، أو حقوق المسهمين، أو الشفافية في إعداد وإظهار الحسابات. بالطبع، كل سوق لتداول الأوراق المالية فيه أسهم لا تخضع للاتجار بسبب الملكية المتداخلة، والأسهم المملوكة من الحكومة، والملكية الخاصة. لكن بينما بلغت الأسهم غير المتداولة نسبة 14% في كل العالم كان 70% من قيمة أسهم الشركات المدرجة على قائمة التداول على هذا الأسلوب في عام 2002. وكان هناك ما نسبته فقط أحد عشر في المئة من الشركات خارج نطاق الحكومة تماماً.

وكان التخلص من هذا الأثر المفتّر وكيفية أسلوب علاجه بطريقة لا تمسّ مصلحة حاملي الأسهم الآخرين عائقاً رئيساً. وفي وجه الزيادة المفاجئة في أعداد الأسهم المعروضة للشراء، يكون كل مسوق عرضة لخطر الانهيار. كانت قناة الاستثمار في هونغ كونغ، وهي أول هيئة لتداول الأوراق المالية في القسم الآسيوي من المحيط الهادئ قد أُحدثت بالأصل كأداة في يد حكومة هونغ كونغ وذلك لعرض الأسهم التي سبق أن ابتاعتها بغية الحفاظ على استقرار السوق في أثناء الاضطراب المالي عام 1998. فمنذ إطلاق أنشطتها في تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1999 كان سوق

هونغ كونغ يشهد انخفاضاً في السوق كل ربع سنة عندما قامت الحكومة بعرض تلك الأسهم في السوق.

في عام 2001، ونتيجة لخطة خاطئة وُضعت من أجل التعامل بأسهم الصين المملوكة للدولة أطيح بالسوق وحدث تدهور فوري بلغت نسبته 45%. تعاظمت الريبة وازداد التوتر كلما عُرضت خطة جديدة -ثم تلاشى ذلك- وفقاً لإعادة احتساب قيمة هذا الطوفان من الأسهم الجديدة المعروضة للبيع. ولوحظ انخفاض يقرب من 30% بأرقام التداول في كل من بورصتي الصين بين عام 2001 و2004. ولا عجب إذاً أنه حتى عندما انطلق اقتصاد الصين بقوة دفع ذاتية فإن الأسهم ظلت في حالة سكون. كان هناك كم هائل بانتظار المشترين ولكن العديد من الأسهم ظلت مترنحة لافتقادها إلى خطط واضحة لدى عرضها للبيع.

في زيارتي للصين عام 2004، حللت ضيفاً في برنامج أجرى معي مقابلة على شاشة قناة الصين المركزية. وبدلاً من أن أقدم وجهة نظر وردية كما كان متوقعاً أو مطلوباً مني، فقد تنبأت بأن بورصات الصين - في حالة سكون ويطغى عليها مزاج الهروب منذ عام 2001، وأنها معرضة للهبوط إلى حد أبعد لمدة سنة أو نحو ذلك. وبمجرد أن تفوهت بهذا الرأي ظهر السخط والنقمة على وجوه ضيوف الحلقة الآخرين. وتنامى إلى سمعي فيما بعد أن الذين أنتجوا البرنامج أجّلوا عمداً بث الحلقة على الهواء. وبالرغم من ذلك فقد أذاعوا ملاحظاتي فيما بعد، بعد أن تلقى السوق لكمة كما توقعت سلفاً ومن ثم مضى نحو التعافي كما سبق وتنبأت.

أثناء الرحلة ذاتها، ألقيت محاضرة على مسمع طلاب كلية الأعمال في شنغهاي ضمن دائرة تلفازية مغلقة. وبعد أن نطقت بملاحظات مثبطة عطفاً على ما تكلمت عنه في البرنامج التلفازي، جرت مناقشة مع أستاذ اتهمني بتناول الأمر من زاوية فردية في محاولة مني لاستغلال الأسواق الصينية. وقد ظهر جليّاً كم كان هذا الأستاذ ساذجاً في معرفته عن الاستثمار عموماً، وبدا واضحاً مقدار ما يمكن أن يملك مستثمر واحد من قوة على وجه الخصوص. لكن نوعية من رد الفعل هذا لم تكن بالضرورة صينية، ولكن نتاجاً ثانوياً خاصاً من التشاؤم له صلة بآلة الدعاية المضللة. إنني معتاد على اتخاذ مواقف لا تروق للكثيرين عندما يتعلق الأمر بالسوق، وعلى سماع الاستهجان وعدم التصديق، بل الغيظ الذي ينتاب السماسرة والمحللين وموظفي السوق الرسميين تعبيراً عن رفضهم لآرائي، والذين يعتقدون في النهاية أن لهم حقاً مكتسباً في أن يكونوا متفائلين وقاموا بدورهم بتمرير هذا التفاؤل كرغوة الصابون لتنزلق بها أقدام زبائنهم. هناك مثل صيني آخر يقول: «ليس هناك من بائع للجُعّ يصيح عليه منادياً إنه مُرّ المذاق، ولا متاجر بالنبيذ يقول إن قوامها خفيف». إن السوق في قاموسهم يعني أنه دوماً في طور الصعود.

حتى حين يعمد مديرو السوق وموظفو الحكومة إلى الحديث بيأس، ينتابني شعور بأن الأمور لا يمكن أن تكون أسوأ مما هي عليه.

لقد أقدمت على شراء الأسهم دون وجل في خريف عام 2005، بعد أن تقدمت الحكومة الصينية بإصلاحات حاسمة. كان أهم ما يلفت النظر

في هذه الإصلاحات أنه وجب على الشركات التي كانت فيها حصص كبيرة مملوكة للدولة أن تعوض جمهور المستثمرين بأن تصدر لهم أسهماً إضافية في تلك الشركات. وبعد ذلك عاودت الشراء ثانية.

في منتصف عام 2006، كان أقل من 50% من الأسهم مملوكاً للدولة، وهو تحسن ملحوظ كما سبق إذا أُخذ في الحسبان أنه في كانون الثاني (يناير) 2002، امتلكت الدولة 78% من حقوق الملكية. وعبر مفاوضات وقرارات مدروسة، تحقق تقدم لا يستهان به، والحكومة الآن بكل وضوح ماضية في المسار الصحيح لكي تحقق هدفها المعلن بتعويم جميع الأسهم التي تكون قابلة للتداول.

بعد أن بدأت الأسهم في الصعود في صيف عام 2005، قفز مؤشر شنغهاي من ألف نقطة إلى أربعة آلاف في تموز 2007. لكن من الصعوبة بمكان القول: إن سوق الأسهم كان ينمّ عن القيمة الحقيقية للقطاع الخاص في الصين. وحتى بعد حقبة من حمّى التداول التي أصابت السوق، وتدفق ملايين المستثمرين الجدد في 2007 -في إشارة للثقة التي تفوق التشاؤم- بقي السوق صغير الحجم نسبياً بالقياس إلى دوره في الاقتصاد الأكبر (بحصوله على عشرة في المئة من رأس المال المطلوب لنمو الصين).

وأخيراً، ربما أسواق الصين الآن هي في أيد المهنيين المتمرسين. إن هيئة تنظيم الأوراق المالية في الصين وهي المنظومة المكافئة لهيئة الأوراق المالية زاخرة الآن بالمديرين الفطنين الذين يمتلكون معرفة فريدة بالأسواق والقوانين السائدة في البلدان الغربية. بالطبع، كل بورصة لها مشكلاتها

الخاصة. وسيكون هناك زلّات وهفوات لما سيأتي من الزمان، كحال أيّ من الأسواق الأخرى. فبوجود مقادير هائلة من الأموال في الساحة، لا بد أن تكون هناك إغراءات مصدرها الأبواب الخلفية ومناورات يقوم بها البعض. ولسنا في هذا الصدد نتكلم عن وحدة متطوعة لإطفاء الحرائق.

«عبور النهر مع الإحساس بأن الحجارة في القاع أمامك»، كانت العبارة التي وصف بها تينغ هيساو بينغ نبيّ الصين الذي شرّع جني الأرباح عملية الإصلاح الماضية في البلاد. اليوم أشرف عبور نهر الشكوك على نهايته.

عندما سافرت أول مرة إلى الصين، كان من غير المتصور التفكير في تأسيس بورصات تعمل بأتمتة إلكترونية، أو أن «شيطاناً أجنبياً» يتاح له قدراً ملحوظاً في الإسهام في عجلة تقدمها. الآن وبعد عقود من التجريب والخطأ، فإن أهم رمز من رموز الاقتصاد الحر -وأعني سوق تداول الأوراق المالية- قد أثبت قيمته بوصفه محركاً يدفع في اتجاه التكوين الضروري لرأس المال ومشاركة «جموع» الشعب في تكوين الثروة الجديدة. لا أعتقد أن كارل ماركس كان بوسعه رسم هذه الملامح على نحو أفضل.

حساء الأبجدية الصينية

إذا كنت تعتقد أن شراء الأسهم الصينية أمر تغلب عليه الحيرة، فليتك جربت إرسال بطاقة بريدية داخل الصين في ثمانينيات القرن العشرين. تقليدياً، لطالما تطلبت الصين الكثير من العمل الورقي لأداء أي عمل تقريباً. الهدف هو الرقابة - بدعوى عدم السماح لأي شيء بالإفلات من تحت الأنظار. تستند شرعية الحزب الشيوعي إلى الإمساك بالمصالح

المتباينة كلها ومقاطعات البلاد، لأجل الحفاظ على الاستقرار الذي سمح بنمو مثير للدَهَشِ.

لكن كيف تراقب أسواقاً حرة، وهي التي يلزمها في النهاية شيء من الحرية لكي تؤدي دورها وتمارس عملها؟ وكيف يمكنك الحصول على الأموال دون أن تدع فرجة ضئيلة للمصالح الخطأ وحتى المصالح الأجنبية التي لا بد أن تشق طريقها عبر اقتصادك المحلي؟

الإجابة عند الصينيين هي نظام «الأسهم المتعددة» الذي يسمح للشركات الصينية أن تعرض إصدارات مختلفة للمستثمرين المحليين والآخرين الأجانب. ليس لهذا النظام انتشار واسع ولكن لا بأس به، وهو تسوية تضمن استمرار قدوم المستثمرين، وفي الوقت نفسه يبقي على وظيفة الحارس الأمين على اقتصاد الحكومة لكي يؤدي مهمته ويشعر بالأمان. وحتى في استمرار كلاب الحراسة تلك في سكب الكلام المعسول عن بناء «اشتراكية بملامح صينية»، فإنهم أوجدوا سوقاً رأسمالية للأسهم بهيئة صينية مقررة تحاول عبر تجريب طبقات من التعقيدات أن تؤكد جاهدة أن عامة الشعب في الجمهورية الشعبية ستكون أول من يقطف ثمار انفتاح البلاد التي أصبح مستقبلها مرتبطاً بأداء الشركات.

لهذا سنرى كيف نقرأ نموذج أبجدية الحساء في الصين المعاصرة:

أسهم - A

وهي مدرجة على كل من بورصتي شينزن وشنغهاي. على المستوى الفردي، هذه الأسهم مخصصة للمستثمرين الصينيين المحليين فقط.

وهي بالعملة المحلية ولا يمكن أن تُشترى بالعملات الأجنبية. منذ شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2002، سُمِح (للمستثمرين الأجانب المؤهلين على شكل مؤسسات) مثل المصارف الكبيرة، شركات استثمار الأموال، وشركات الأوراق المالية التي لا تقل الأموال التي تديرها عن عشرة بلايين دولار أن تشتري إلى حد عشرة في المئة من حصص أي شركة (التي هي مقسومة بالعملة الصينية). وفي حين أن مثل هؤلاء المستثمرين سيكون لهم تأثير واضح في السوق برمته، فإن هذه الدعوة المتأخرة للانضمام إلى المأدبة لم تُعتمد إلا بعد أن شهدت أسعار الأسهم الصينية هبوطاً مضطرداً، غير أن حظر الشراء ظلّ سارياً على المستثمر العادي الآتي من خارج الصين. في الغالب تقوم المؤسسات الكبيرة بشراء هذه الأسهم. بَيد أن الأنظمة تتغير بسرعة، وربما يجد حملة الأسهم B أنفسهم يبادلون هذه الأخيرة بأسهم A عند نقطة ما، لذلك فإن كل هذه التصنيفات حَرية بأن تكون محط الأنظار وتؤخذ في الحسبان. عاجلاً أو آجلاً ستكون الأسواق الصينية متاحة للجميع، كما هو الوضع في الولايات المتحدة وأمم نامية أخرى.

أسهم - B

هذه الشريحة من الأسهم أحدثت أول مرة في منتصف التسعينيات المنصرمة بشرط أن تُباع فقط للأجانب الذين يستخدمون العملة الأجنبية. في ذلك التوقيت، انجذبت الشركات الصينية إلى الفكرة لأن حماسة الأجانب للاستثمار في الصين أدّت بهم إلى دفع مبلغ أعلى للسهم الواحد أكثر مما يجب دفعه من قبل أقرانهم المحليين. ولذلك بدأت فقاعة

في التشكل - لكنها فرقعت في النهاية، إلى أن بدأ الناس عملياً التخلص من أسهم B - وهي الأسهم التي بدأت في شرائها شهر أيار 1999.

في عام 2001، سمحت الحكومة الصينية للمواطنين أن يمتلكوا أسهم B إذا أظهروا مقدرة في فتح حسابات للأجانب. وهكذا تدفقت الأموال بكثرة من خارج الصين وشهد أكثر من ثلاثة أرباع الأسهم قفزات في السعر تجاوزت حدود العشرة في المئة المسموح بها يومياً التي كانت قد وُضعت من أجل تأسيس «أسواق مستتبة». وكان ذلك قبل أن يبدأ المشرفون على السوق بالشعور بالانزعاج عن كيفية إبطاء أسواق التعاملات المحمومة.

إن أسهم B مقوّمة بدولار هونغ كونغ في بورصة شينزن وبالدولار الأمريكي في بورصة شنغهاي. وعموماً يمكن القول: إن سوق الأسهم من فئة B كانت متأخرة كثيراً وراء الصنو الآخر وأقصد به سوق A . بالرغم من أن الشركة الواحدة التي تصدر كلا النوعين تعطي كلاً منهما حصة التصويت نفسها وحقوق توزيعات الأرباح. ومنذ عام 1993، إلى عام 2000، كانت أسعار أسهم فئة A أعلى بـ 420% في المتوسط عن أسعار أسهم فئة B في المقابل. وبقيت أسهم B مخصصة بشكل رئيس للمستثمرين الأجانب. كثير من الشركات لا تتكلف عناء إصدار أسهم فئة B تماماً مثلما لا يبدي الكثير من الصينيين رغبة في الاقتراب منها لأنها تظل موسومة إلى حد ما بأنها «أجنبية». ويحتمل أن يؤدي هذا الأمر إلى نشوء فرص في المستقبل حيث إن الكثير من أسهم فئة B قد تندمج في النهاية في سوق أسهم فئة A.

أسهم - H

إذا كانت معظم أسهم A متاحة فقط للمستثمرين الصينيين ومؤسسات الاستثمار الأجنبية المؤهلة، فإن هناك بديلاً في متناول اليد. إن العديد من أفضل الشركات الصينية من القائمة A قد فضلت في السابق أن تدرج أسهمها في الخارج بغية إمكانية حصولها على الوجاهة وجمع الأموال وهذا يعني في العادة أن تدرج على بورصة هونغ كونغ. أحياناً تستطيع بعض الشركات أن تبيع أسهمها بأسعار أفضل في أسواق التعاملات الأجنبية مقارنة بأسعار الداخل؛ وفي أوقات أخرى تستفيد بكل بساطة من الظهور للعيان. وبالرغم من أن إدراج الشركات الأجنبية على اللوائح أمر جرت العادة عليه في بلدان مثل جنوب إفريقيَّة وإسرائيل، فإن الشركات الصينية تعد صاحبة الرقم القياسي في هذا المضمار بدءاً من هونغ كونغ. إن الأسهم المدرجة خارج الصين متاحة بحرية تامة لجميع الأجانب. وأكبر صنف من هذه الأسهم هي فئة H المدرجة في سوق هونغ كونغ وبدولار هونغ كونغ (وهي قابلة للتحويل بالكامل إلى فئات أخرى). تشاينا موبيل China Mobile تشانيا يونيكوم China Unicom، شركة نفط الصين الوطنية لما وراء البحار CNOOC، ليجند Legend، كلها مكونات صينية رائدة ضمن مؤشر هانغ سينغ Hang Seng لبورصة هونغ كونغ.

قبل عام 1997، عندما كان مقرراً أن تعود هونغ كونغ للصين شرط أن تكون منطقة إدارية خاصة، كان الهدف الرئيس للمنشآت الصينية من الطبقة الأولى ولا سيمّا تلك المملوكة للدولة أن تحصّل إذناً بأن تصدر

أسهماً أولية. وبعد مفاوضات مع رئيس سوق أوراق هونغ كونغ زهاو رونجي Zhu Rongji الذي صار نائباً لرئيس الوزراء الصيني، أصبحت شركة تسينغ تاو للبيرة Tsingtao Beer أول من أدرجت أسهمها في هونغ كونغ عام 1993. وتبعها بوقت قصير العديد من أكبر شركات الصين التي تكنى بالرقائق الحمراء Red Chips التي تعني أن يبقى نسبة 30% منها على البر الصيني. وطرأ تحول ليس بالبعيد في إطار مؤسسات الصين الاستثمارية المحلية المؤهلة (من المهم الانتباه إلى عدم الخلط مع هيكل المستثمرين الأجانب الذي ذكر آنفاً) يسمح لمؤسسات ومصارف الصين الضخمة أن تستثمر إلى حد 50% خارج حدود الوطن مما أتاح جلب عدد أكثر من المشترين الكبار مما أفاد هونغ كونغ أيضاً. والآن أعلنت إدارة دولة الصين للمبادلات الخارجية عن إطار قيادي يسمح للقاطنين في البر الصيني أن يستثمروا مباشرة في هونغ كونغ، الأمر الذي سيؤدي في النهاية إلى استقدام كمّ هائل من رأس المال الموجود في البر الصيني لقاء أسهم مدرجة في هونغ كونغ.

إن اللوائح الأجنبية تعطي أيضاً الشركات الصينية حرية متاحة أكثر في ملكيتها تمكنها لاحقاً من أن تستخدمها في امتلاكها لشركات أخرى في المستقبل. في تشرين الأول (أكتوبر) 2006، أصبحت شركة المصرف العقاري الصينية الأولى بين أكبر أربعة مصارف مملوكة للدولة التي أدرجت أسهمها خارج البلاد على هذا النحو بإصدار أولي بلغ 9.2 بلايين دولار، عُرض الاكتتاب عليه في هونغ كونغ. واستطاع الأضخم من بين المصارف الأربعة وهو المصرف التجاري الصيني أن ينفذ صفقة إدراج بقيمة 21.9 بليون دولار أمريكي في كل من سوق هونغ كونغ وسوق شنغهاي

للأوراق المالية، وذلك في تشرين الأول 2006. في ذاك الوقت كان هذا الرقم أضخم إصدار أولي لتاريخه.

أسهم -S

وهي ترمز للأسهم التي تباع في بورصة سنغافورة. وبعيداً في جنوب شرق آسية هناك سنغافورة التي تنعم برخاء مفرط كما تعد من أكثر المتحمسين للرأسمالية التي يمثل الصينيون أكثرية سكانها، وقد حافظت على روابط متينة مع الصين. بحلول عام 2006، كانت ما نسبته 14% من الأسهم المدرجة في سوق سنغافورة عائدة لشركات صينية لكون سنغافورة جريئة في اجتذاب الإخوة في البر الصيني. ويضاف أن سنغافورة المزدهرة لديها الكثير من المال لكي تنفقه على شراء الأسهم متفوقة على غيرها من المستثمرين في البلدان الأخرى. وهناك أسهم عدد من المنشآت الرأسمالية التي تتخذ من سنغافورة مركزاً لها، وفي الوقت نفسه لها ملكيات ضخمة في الصين المدرجة في بورصة سنغافورة. جميع الأسهم من فئة S حرة من أي قيود وقابلة للتحويل مثلها مثل دولار سنغافورة.

أسهم - N ووثائق الإيداع الأمريكية

(American Depositary Receipts) ADR'S

وترمز إلى الشركات الصينية المدرجة مباشرة في سوق نيويورك أو ناسداك NASDAQ*. في عام 1999، أُدرجت تشانيا كوم China.com

* وهي الحروف الأولى من National Association of Securities Dealers Automated Quotation System الرابطة الوطنية لتجار الأوراق المالية ذات نظام التسعير التلقائي.

في ناسداك وتبعت في ذلك سينا.كوم Sina.Com التي سبقتها. تقليدياً لطالما حظي الإدراج في الولايات بشيء من الوجاهة وكان أحياناً يباع بأسعار أعلى. ولكن يميل الآسيويون إلى الدفع بأسعار أسهمهم إلى حد مرتفع جداً وصارت الإصدارات الأولية غالية الثمن لأنَّها تعرض في سوق الولايات المتحدة، ولذلك عانت الأسهم المدرجة هناك مدة من الزمن - وربما تتباطأ أكثر، ومرد الأمر إلى التشريعات الصينية التي استحدثت وهدفت إلى تشجيع الشركات لعرض أسهمها في الوطن الأم. ولكن وفق آخر تعداد، وصل عدد الشركات الصينية المدرجة على قائمة ناسداك إلى ثلاث وأربعين واثنتان وعشرون وفي بورصة نيويورك إلى اثنتين وعشرين، ويتوقع لها أن تصل قريباً إلى خمس وثلاثين.

هناك وسيلة أخرى تستطيع أي شركة صينية أن تعرض فيها أسهمها للبيع في الخارج وهو أن تبيع إصداراً أيضاً في سوق البر الصيني أو هونغ كونغ لمصرف مستثمر، الذي بدوره يمكن أن يقوم بدور الوسيط ويعمد إلى إعادة بيعها على شكل وثائق إيداع أمريكية في السوق الخارجية مقابل ما يعادلها من الطرح الأصلي. إنه لمن السهل أن نعثر على الشركات الصينية عبر وثائق الإيداع الأمريكية. بحلول عام 2006، كانت هناك وثائق إيداع لثلاث وثلاثين شركة صينية مدرجة ضمن مؤشر ناسداك -وهي نظام التداول الرئيس من فوق المنصة في أمريكة- بالإضافة إلى وثائق إيداع لست عشرة شركة يتم تداولها في سوق نيويورك للأوراق المالية.

أسهم - L

يوجد العديد من أسواق التداول العالمية التي تطمح لاجتذاب الاتجار والشهرة عبر ما يعرض من أسهم الشركات الصينية، وأعلنت بورصة

لندن في أواخر عام 2006 أنها ستوظف جهودها لاجتذاب لوائح عرض من الشركات الصينية - بالرغم من أنها ربما تكون قد تأثرت أيضاً بالأنظمة الجديدة التي أُقرت في الصين. ويوجد في لندن حتى الآن ست شركات، لكن هيئة الاستثمار البديلة والأصغر لطالما كانت مطمح آمال الشركات الصينية الراغبة في عرض أسهمها فيها التي بلغ عددها ستاً وأربعين شركة.

أسهم -J

في شهر نيسان (أبريل) 2007، أصبحت شركة آسية ميديا Asia Media Co,. (شركة آسية للإعلان)، وهي شركة مركزها العاصمة بيكين ومهمتها نشر برامج قنوات التلفاز، أول شركة تدرج أسهمها في بورصة طوكيو للشركات الجديدة. وتبعتها ناين يو Nine You وهي ممن يعمل في مجال تطوير ألعاب الحاسوب لتدرج في سوق أوساكا Osaka. ولهذا يمكن أن تصبح اليابان مكاناً آخر ترنو إليه الأبصار.

OTCBB* اللوحة الضوئية للأسهم المتداولة من فوق المنصة

هناك الآلاف من الشركات الأخرى المغمورة التي يبلغ سعر السهم الواحد لها بنساً واحداً والتي لا تتوافق مع متطلّبات الأسهم التي يمكن أن تندرج ضمن مؤشر ناسداك. يتم تداول أسهم هذه الشركات بطريقة منفردة. وغالباً ما يتم عرض سعرها مرة واحدة في اليوم على اللوحة الضوئية، ويشار إليها أحياناً بالصفحات ذات اللون الزهري. وهي نشرة يومية يتم تحجيمها من قبل مكتب التسعير الوطني National Quotation Bureau

* Over the Counter Bulletin Board .

وتحتوي الأسعار المعروضة لبيع الأسهم المتداولة من فوق المنصة في الولايات المتحدة Over the Counter. ويمكن الاتجار هناك بالكثير من الأسهم الصينية.

نظام التسعير المؤتمت ونظام الاتجار الإلكتروني الوطني STAQ & NET

بالإضافة إلى كل من سوقي التعامل في شينزن وشنغهاي هناك لدى الصين نظامان للتداول من فوق المنصة في أنحاء البلاد. النظام الأول هو صرح تجاري مؤتمت ويطلق عليه نظام التسعير المؤتمت لتجارة الأوراق المالية Securities Trading Automated Quotations System وهو وفق نموذج ناسداك في الولايات المتحدة. يأتي هذا النظام في المرتبة الأولى عالمياً من حيث الضخامة باعتباره أسلوباً تجارياً مؤتمتاً قياساً إلى غيره. أما الثاني وهو نظام الاتجار الإلكتروني الوطني National Electronic Trading System فيتم عبره تداول سنوات الخزينة الصينية والأسهم التي تملكها منشآت تابعة للدولة. وكلا النظامين سيكونان متاحين في النهاية لجميع المستثمرين.

ويمكن القول: إن نظرة على كل ما سبق عرضه في أنواع التداول تنبئ عن ملعب كبير يستحيل التحرك فيه، أو تخمة في أساليب التداول تصب جميعها عند نقطة نهاية واحدة. هناك بعض التجعدات الغريبة في هذا النظام. فالمستثمر الفردي محظور عليه أن يشتري أسهم ـ A لشركة مدرجة في الصين، لكن بإمكانه شراء أسهم من فئات -J، -N، -L، -H، -B، أو -S في الشركة ذاتها. ومما يدعو للطرافة أن المستثمرين الصينيين المحليين واقعون تحت وطأة المجازفة في سوق الصين الذي لا يزال قيد التطور كونهم يستطيعون فقط أن يستثمروا في وطنهم، في حين يملك معظم الأجانب

خيارات أكثر. وهذا هو السبب وراء حدوث تهافت على الشراء داخل الصين مما يضيف علامات كبيرة على أسعار الأسهم، في حين تظل أسعار الأسهم نفسها على حالها خارج الصين.

ولسنوات قليلة خلت، لم تكن الصين لتسمح لمواطنيها أن يبدلوا العملة المحلية بالعملات الأجنبية. لقد كانت العملة الأجنبية الوحيدة المسموح للمستثمرين المحليين حيازتها هي تلك التي يحصلون عليها بطريقة قانونية من أصدقائهم وأقربائهم الذين يعيشون في الخارج ويرسلونها لقاطني الداخل من المواطنين. وإضافة إلى ما سبق، فإن العديد من الشركات الصينية التي تحقق ربحية أعلى وعلى قدر من النضج أكثر من غيرها والمستوطنةِ في الصين ليست متاحة للمستثمرين المحليين؛ والسبب أنها مدرجة فقط في أسواق التداول الخارجية. وبينما يكون الصينيون القاطنون في البر الصيني هم الزبائن والمورّدون والمنتجون حتى هم عمال هذه الشركات، فإنه محرم عليهم الاستثمار في شركاتهم.

وأثناء عقد ونصف العقد من الزمن، تطورت بورصتا شينزن وشنغهاي بحيث أصبح لكلتيهما هوية متميزة، ونجد اليوم أن العديد من الشركات الضخمة المملوكة من الدولة مدرجة الآن في سوق شنغهاي. وهذا هو المكان الذي يمكن أن تجمع فيه مالاً وفيراً أو تحقق وجاهة عالية. تضم سوق شينزن بين جنباتها الشركات المصدرة للبضائع، والشراكات، والشركات المبتدئة، بما يجعل هذه السوق أشبه في الواقع بمكان للمراهنة. في الأساس كانت نية الحكومة متجهة لجعل شينزن الهيئة الرئيسة التي تكون المنافسة معها وللحفاظ على روابط وثيقة مع جارتها؛ ويقصد بذلك سوق هونغ

كونغ التي سبقتها في التأسيس وتفصل بينهما مسافة رحلة تتطلب نصف ساعة بقطار تحت الأرض ليعبر الحدود. ولكن منذ عام 1992، أضحت سوق شنغهاي تضج بالحركة والنشاط أضعاف سوق شينزن.

ومثله مثل اليابان، استند سوق الأوراق المالية للصين بثقل على القطاع الصناعي، معتمداً على شركات عديدة مهنتها الصناعة. واعتماداً على التصنيف المعياري العالمي لداو جونز، فقد استحوذ القطاع الصناعي حسب أرقام عام 2005 على نسبة 20% من مؤشر داو جونز الصيني، وبأكثر من توزيع مؤشر داو جونز العالمي بأحد عشر في المئة. وهناك قطاعات أخرى مرتبطة بالصناعة لها حضور ملحوظ في سوق الأوراق المالية للصين وإذا ما ضُمّ هذان الصنفان إلى بعضهما ألّفا معاً سبعين في المئة من رأس مال السوق. وعلى المستوى العالمي هذه القطاعات نفسها تمثّل فقط ما يقرب من 36 في المئة.

إن تشاينا موبيل وتشاينا كوم مدرجتان ويتم تداول أسهمها في سوق هونغ كونغ فقط. وكنتيجة متحصلة أُتخمت سوق هونغ كونغ بأسهم شركات الاتصالات (22.6 في المئة عام 2006)، في حين يمثّل قطاع الاتصالات في الداخل الصيني 0.2 في المئة من السوق. والشيء نفسه ينطبق على CNOOC ولينغو القابضة Lenovo Holdings، اللتين تقودان قطاع التقانة والطاقة حيث إنهما مدرجتان فقط في هونغ كونغ بنحو أحدث إخلالاً لتوازن تلك المجالات. بيد أنه ومع استحداث أنظمة جديدة واعتدال توازن السوق فقد أخذ تأثير تشاينا موبيل بالتقلص تدريجياً. في آخر تعداد، وصلت حصة الشركات الصينية الثماني والثلاثين التي تصدر أسهماً فئة – H إلى أعلى قليلاً من قيمة مؤشر هانغ سينغ.

في الوقت ذاته، حددت الحكومة الحصة المقررة من الأسهم الأولية المصدرة في كل سنة، واختارت الشركات المؤهلة حسب المقاطعات وتوزيع القطاعات، ولغاية عام 2001 كانت قد قررت مكان إدراج الأسهم الجديدة. (لا غرابة إذا كانت هذه السياسة قد أحدثت اضطراباً مرتبطاً بلوائح الإدراج الجديدة التي خُفضت عن عمد بحيث كان بعضها يتضاعف سبع عشرة مرة في اليوم الواحد!) وإلى الآن لم تتخلَّ الصين عن السيطرة برمّتها: إنها لا تزال البلد الوحيد الذي تمارس فيه الحكومة تحديد حجم كتلة أسهم السوق ومسار الإصدارات الحديثة. وهذا أحد الأسباب التي تدعو المستثمرين لينتهزوا الفرصة لشراء إصدارات الأسهم الأولية الجديدة. وكذلك وبموجب قوانين الصين الحالية، لا يسمح لأي شركة أن تدرج في سوق الأوراق المالية إلا بعد أن تثبت ربحيتها ثلاث سنوات متتالية وهي سياسة أشد تحفظاً من تلك التي تمارس في الولايات المتحدة.

في عام 2006، أوقف – فعلياً – مفوضو الدولة عمليات إصدار الأسهم الأولية جميعها، على أمل أن أي انخفاض في أسعار الأسهم سيدفع بالطلب إلى أعلى في سوق كان آنذاك يعد ضعيفاً. وعندما عاد مفوضو هيئة الأوراق المالية إلى السماح بالإصدارات الأولية في حزيران (يونيو) 2006، تقدمت خمس وستون شركة بطلباتها من أجل السماح لها بإصدارات أولية وذلك في سوقي شينزن وشنغهاي. في عام 2006، وبتعداد شمل جميع الأسواق الخارجية حيث تدرج الشركات الصينية أسهمها، قامت ست وثمانون شركة بإصدارات أولية للأسهم واستطاعت جمع 43 بليون دولار أمريكي. ومما يثير الدهش، أن المعدل الذي قفزت إليه الأسعار في أول يوم بلغ

78.27 في المئة وذلك عام 2006؛ وللأشهر الأربعة الأولى من عام 2007، وصل المعدل إلى 106.90 في المئة.

ويعد هذا الأمر مغرياً للغاية، ولكن بالطبع كان هناك العديد من الأسهم متوافر فقط في الأسواق الثانوية. إن وجهة نظري - عموماً - أن يبقى المرء بعيداً عندما يكون وضع السوق محموماً ويعود بعد حين للبحث عن الإصدارات الأولية عندما يتراجع الازدهار. لم أكن في يوم ما ممن يهرعون لشراء الأسهم فوراً؛ إن التوقيت الذي أختاره ليس بهذه البراعة. إنني أفضل أن أنتظر زمناً عندما تصبح الإصدارات الأولية مبعثاً للسأم أو حتى يتم استبعادها من الإصدار.

ليس هناك من مزية خاصة أو خطر لأي فئة من الأسهم ينصح بامتلاكها ما عدا بالطبع إذا وجدت السهم نفسه عند سعر شراء أقل. إن الأسعار تتذبذب وتتأرجح: فمثلاً في بواكير 2007، كانت أسعار الأسهم فئة A تقارب ضعف مثيلتها من فئة B وثلاثة أضعاف فئة -H- لهذا فمن المؤكد أن الأمر يستأهل أن يظل المرء فاتحاً عينه. وكانت الفقاعة أكبر على أرض البر الصيني حيث إن الصينيين لم يكن بإمكانهم الاستثمار إلا في بلدهم. ولقد كان لسكان هونغ كونغ الأكثر حظوظاً خيارات أكثر في مجالات يمكن أن يضعوا فيها أموالهم، وبخلاف أبناء عمومتهم على الطرف الآخر من البلاد فقد رأوا فقاعات أكثر قليلاً في زمنهم. وكما أسلفت فإن الكثير من الأسهم المعروضة في هونغ كونغ وفي البر الصيني متماثلة تماماً باستثناء مكان إدراجها. إن اقتطاعات الأسعار في هونغ كونغ قد تتلاشى قريباً. وبالمنظور نفسه يمكن أن نشهد ارتفاعاً في أسعار

الأسهم الصينية التي تحدثنا عنها مقارنة بذات الأسعار الأقل لكون الأموال الموجودة في الصين ستسعى للخروج طلباً للأسهم الصينية في هونغ كونغ وأخيراً في أي مكان توجد فيه.

ولا يغيب عن البال: أنه بالنظر إلى نظام مقسم هكذا فإن قيم الشركات ليس لها ارتباط واضح بالمكاسب أو حتى بالإيرادات المتوقعة في الصين. إن القيم قد تتجه نحو الهبوط أو الارتفاع اعتماداً على مجموعات مختلفة من المستثمرين أو ترتيبات وظروف متباينة. لكن لا ضرورة للرهبة فلا يزال هناك الكثير من اختيارات الأسهم، التي تنتظر مشتريها، متوافرة لأي صنف من المستثمرين من الفئة B الصينية الموجودة في بورصات هونغ كونغ، نيويورك، سنغافورة، لندن، اليابان.

استبدال الأساليب الحديثة بتلك القديمة

إن قواعد الأسهم الصينية هي نتاج سنوات عديدة من التجارب والأخطاء التي ارتكبت من قبل الموظفين البيروقراطيين الذين يعلمون أو لا يعلمون ما هو الأمثل في حقيقة الأمر للأسواق الحرة. ولا يمكن لأحد أن يدير سوقاً للتداول بخلط الأمور عن عمد، ولا بد أن تتجه القواعد والأسهم إلى الخضوع لمعايير معتمدة.

وكما تندفع الصين بقوة للأمام، يمكن للتوقعات أن تصبح قديمة العهد بطلوع صباح اليوم الآتي. لكن يبدو أن تعويم أسهم الشركات العائدة للدولة، وهو أول عقبة في وجه عملية إصلاح أسواق الأسهم قد تم تخطيها. إن القضاء على ملكية الدولة سيحوِّل بورصات الصين إلى

أسواق حرة بالمعنى الحقيقي. ولن يؤثر ذلك في سيولة السوق بل يتعداه إلى الحد من احتمالات سوء إدارة الشركات والفساد. وستكون الشركات مسؤولة عن أدائها تجاه المستثمرين الأفراد، مما يسمح بتقويم أكثر دقة للقيمة التي تختزنها أسهم أي شركة.

أما العقبة الكبيرة التي تأتي في المقام الثاني فتتمثل في إعادة هيكلة نظام تقسيم الحصص السهمية بأسلوب يشجع على توفير المعاملة المتكافئة لرأس المال الأجنبي أو بالقضاء على النظام برمته؛ هذا النظام الذي أنشئ في الأصل لمنع الأجانب المجرمين من استغلال الاقتصاد الرأسمالي حديث العهد، وهذا المانع صار له اليوم دور غاية في الأهمية - خاصة أن الصينيين أنفسهم هم أكبر المضاربين. لابد من إزالة جميع العقبات من أمام عمليات الشراء الأجنبية بحيث يكون هناك حقل ممهد للجميع. ليس هناك من سبب للصين بعد الآن يبعث على الخوف لتفتح أسواقها. وبالدوران إلى الطرف المقابل، تتحرك بعض المنشآت الصينية نحو شراء أسهم في الخارج وإبراز عروض تتمثلك بموجبها شركات أمريكية وأخرى أوربية. وفصل الخطاب، إذا أراد الصينيون الحصول على حق تحريك رأسمالهم نحو الخارج بحرية، فعليهم بالمقابل أن يمنحوا مثل تلك الحرية للأجانب. أما المفوضون القائمون على النظام في البر الصيني فإنهم قد بدؤوا فعلاً في أخذ تلك الحقيقة في الحسبان. وتأخذ هيئة مؤسسات الاستثمار الأجنبية المؤهلة بسماحها لمؤسسات الاستثمار الخارجية التي هي ثاني عنصر مؤثر في السوق منحى توسعياً (ربما بزيادة حصة الدخول الأولى المقررة بعشرة بلايين دولار لتصبح أربعين بليون دولار بنهاية عام 2007).

ويعقب ذلك وجوب وضع حل لمشكلة الأسهم «من الدرجة الثانية» وهي فئة B. أما كيفية التنفيذ بأقل المنغصات فيأتي على رأس أولويات نظام التسعير المؤتمت لتجارة الأوراق المالية. واحد من التوجهات سيكون بوضع أنماط للشركات المملوكة من الدولة بحيث يتم تعويض المسهمين الذين يكوِّنون أقلية، على نحو ما حصل لأسهم فئة A. التوجه الثاني وهو الأبسط يكمن في التخلص من سوق أسهم فئة B كلها عن طريق تحويل حصص فئة B إلى فئة A. وهذا يعني أن كل الأسهم ستكون متاحة لجميع شرائح المستثمرين، كما هي الحال في كل الأسواق الرئيسة الأخرى. ومن المعلوم أنه أُعلن عن النيّة لإزالة جميع الحواجز في وجه مؤسسات الاستثمار الراغبة في شراء أسهم فئة A، مما يفتح الباب أمام التأثير الأجنبي أكثر فأكثر. ويمكن القول: إن هذه علاقة جيدة.

في شهر آذار (مارس) 2007، أعلنت هو زياوليان Hu Xiaolian التي هي على رأس الإدارة الحكومية للأسواق المالية SAFE أن إدارتها تمعن النظر في خطة مبادلة بين أسهم فئة A وأسهم فئة H في سوق هونغ كونغ بسبب الهوة المتعاظمة بين الفئتين. وإذا شُرع في تطبيق هذه الخطة فسيتم ربط الأسواق في كل من هونغ كونغ والبر الصيني بنحو أوثق، وذلك فيما يخص الأسعار والتنسيق بوجه عام. إن هذا التبادل يعني إمكانية البيع والشراء في أماكن متعددة، وإعمال قيمة أمان أخرى حتى يعيد الطلب المتوازن الأسعار إلى درجة التساوي.

وبالتطلع إلى الأمام، فإنه يبدو واقعاً لا محالة تقريباً، إنه آجل وليس عاجلاً، سيأتي اليوم الذي تندمج فيه بورصتا الصين المتنافستان

(شنغهاي وشينزن) في سوق وطنية واحدة بحيث يستطيع المستثمرون في الصين التكلم بصوت واحد. وبينما يستمر عدد الشركات المدرجة في سوق شنغهاي في الازدياد، يبدو أن سوق شينزن قد فقد جاذبيته لدى الشركات منذ عام 2000. وبالعودة لعام 2000، قطع عمدة شنغهاي وآخرون كُثر عهداً على أنفسهم بأنه سيتم اندماج السوقين في وقت مبكر، لكن ذلك لم يحدث قط. وستضاف لوحة ثانية مهمتها نشر الأسعار لتخدم الشركات الناشئة، وهذه اللوحة تشبه سوق ناسداك ولكن بشكل مُصغّر، ويفترض أن توضع في الخدمة في بورصة شينزن. وإذا ظلت التقانة على ما هي عليه، فإن جهاز حاسوب ضخم واحد يبدو كأنه هو الحل في المستقبل المنظور. إن هذا هو الذي حدث في بلدان أخرى عديدة: فأستراليا كان فيها سبع بورصات لأكثر من مئة عام إلى أن اتحدت في واحدة، وكان لدى هونغ كونغ أربعة أسواق ما بين أعوام 1969، و1986. وأوروبة أيضاً في طور اتخاذ مثل تلك الخطوة أو على الأقل نحو تركيز أكثر بسبب انبثاق اليورو كعملة موحدة.

عندما وطئت قدماي أرض الصين أول مرة عام 1984، كان لا يزال هناك عملتان في التداول العملة غير القابلة للتحويل وتسمى رينمينبي Renminbi أو (نقود الشعب) (والعملة القابلة للتحويل) وهي مخصصة للغرباء الذين هم بحاجة إلى شراء أصناف من البضائع تباع في محالّ خاصة لا يستطيع المواطن الصيني العادي الدخول إليها. أما الآن فيعدّ ذلك كله من الماضي الغابر. حتى إلى وقت قريب كان هناك أسعار منفصلة وأحياناً أثمان خارجية في كل مكان متاحة للأجانب الراغبين

في الشراء. ولقد اختفى الكثير من هذه الترتيبات الآن بسبب تقلّص الفارق في الإيرادات بحيث أضحى هامشاً ضيقاً لا يستحق السعي من أجله. دون أدنى ريبة سيثبت هذان التوجهان المتّبعان للاستثمار كم هما مسببان للعنت وغير ضروريين في آن واحد، وآمل أن يحدث ذلك بسرعة. ومما يضاف قوله: إن هذا النظام وُضِعَ من أجل ثني الأجانب بعيداً عن المضاربة. لكن المستثمرين الصينيين يتداولون أسهماً من فئة A (التي هي بحوزتهم بنسبة 500 في المئة في السنة مقابل نسبة 200 في المئة لأسهم فئة B في السنة)، وهم بذلك يقومون ببيع أسهمهم بسرعة دوران أكثر.

وقد ذهب هذا كله يداً بيد مع العقبة الأخيرة: التعويم الكامل لعملة الشعب Renminbi. إن أهم شيء يجب أن يحدث هو أن تصير عملة الصين قابلة للتحويل كلها، بحيث تنعدم القيم النسبية ويتم تحويل الأموال بسهولة. كيف لي أن أجزم أنّ في هذا مكسباً لسوق الأسهم؟ بعد إعلان الحكومة الصينية رفع سعر تحويل العملة Renminbi بواقع 2 في المئة في الحادي والعشرين في شهر تموز (يوليو) 2005، انتعش مؤشر شنغهاي لأسهم فئة A بواقع 15 في المئة وصعد مؤشر أسهم فئة B عالياً بنسبة مذهلة وصلت إلى 25 في المئة.

ولقد أعاد بعض الخبراء تأكيد أن عملة رينمينبي Renminbi كانت مقيّمة بخمسة عشر في المئة أقل من سعرها العادل وربما أكثر - وإلى الآن، سمحت الحكومة الصينية بتعويم منضبط بنسبة 7 في المئة يسري مفعوله من بداية عام 2007. وهو، وإن يكن غير كاف، يفوق ما كان متوقعاً منذ سنوات خلت. حتى إذا تضاعفت عملة الصين مرتين أمام الدولار

الأمريكي، فسيظل للصين فائض في الميزان التجاري مع الولايات المتحدة. لقد ارتفع الينُّ الياباني 400 في المئة أمام الدولار على مدى عقود عدةٍ من الزمن، ومع ذلك ظل الميزان التجاري مع الولايات المتحدة في مصلحتها.

لكن يظل التعويم المنضبط خطوة أولى فقط من تحرك الحكومة الصينية نحو تحرير كامل للعملة. وفي نهاية المطاف سيكون لذلك أثر إيجابي في أسعار أسهم الشركات الصينية لأن أرباحها ستكون مقيّمة بالعملة المحلية Renminbi، وستكون قيمة العملة أكثر مقابل العملات الأخرى (كما هي حال أسهم الشركات). وبالطبع، ستكون كلفة المواد الخام التي تستوردها الشركات وتدفع ثمنها بالدولار أقل مما هي عليه. وهذا سيزيد في مقدار الأرباح أيضاً.

بينما تتجه الولايات المتحدة إلى اتهام الصين باعتماد سعر منخفض لعملتها على نحو مقصود بغية تشجيع الصادرات (وهي بذلك تسهم في توسيع العجز التجاري)، فإنه من غير المعقول أن تعمد الصين إلى هذا الأمر على حساب مصلحتها الذاتية؛ ولأن سعراً للعملة منخفضاً بأسلوب اصطناعي يسبب زيادة عن المطلوب في تدفق القطع الأجنبي، الذي يؤدي بدوره إلى فقاعات مالية بسبب المضاربات.

إن فقاعة المضاربة في العقارات هي مثال رئيس. فإذا كانت النقود لا ترتفع قيمتها أو تظل مقيدة الحركة حسبما تشاء، فإن الملكيات العقارية تقوم بهذا الدور، وقد دفع المضاربون بأسعار العقارات عالياً جداً للصينيين في المدن الرئيسة مثل بيكين وشنغهاي وشينزن. وطالما ظلت عملة الشعب أقل من قيمتها، فإن سوق العقار سيظل مغرياً للأجانب. في

شهر أيار (مايو) 2006، نقلت صحيفة وول ستريت جورنال أن متوسط سعر الشقة في بيكين يبلغ ثلاثة عشر ضعفاً من متوسط الأجر لساكني المدينة المحليين.

بيد أن قادة الصين كانوا متوجسين خوفاً جعل عملتهم معوّمة كلها، مفترضين أن المواطنين سيقومون بتهريب أموالهم إلى خارج البلاد مما يؤدي بالعملة المحلية إلى الانهيار. وهناك هاجس آخر من أن سعراً عالياً للعملة قياساً إلى غيرها قد يبطّئ تدفق الاستثمارات الخارجية. وغني عن القول: إن هذه المخاوف مغروسة في ذهنية الحرس القديم للصين.

وحيث إنه قد يكون هناك بعض الآثار المؤقتة الناشئة عن قابلية حرية تحويل العملة كلها، فإن السوق سيجد بسرعة طريقة للوصول إلى مستواه الصحيح، تماماً كما حدث مع اليورو والدولار. ولو نظرنا إلى الوراء قليلاً إلى الحقبة التي اتسمت بارتفاع سعر الينّ الياباني في النصف الثاني من عقد ثمانينيات القرن العشرين، لوجدنا أن سوق الأسهم الياباني قد شهد صعوداً ملحوظاً في السيولة مما دفع بأسعار العقارات والأسهم إلى الأعلى. وهذا قاد أيضاً إلى توسع في الاستثمارات الأجنبية من قبل الشركات اليابانية، بما في ذلك قواعد إنتاج جديدة في الولايات المتحدة وجنوب شرق آسية بهدف كبح جماح الارتفاع في تكاليف التصنيع. وركبت المنشآت اليابانية موجة واسعة النطاق من عمليات شراء أبنية المكاتب، والفنادق، وعقارات أخرى ما وراء البحار أسهمت كلها في تضخيم الميزان التجاري لليابان. وبالمثل، إذا رفعت الصين الصمام عن عملتها فإنها

ستسمح لنفسها أن تصبح لاعباً عالمياً في دنيا الأعمال بنحو لم يسبق له مثيل. وإذا أضفنا أن بلداً سيستضيف الألعاب الأولمبية عام 2008* ومعرض شنغهاي الدولي عام 2010، فإنه لا يحتاج إلى أن يضع قيوداً على عملته.

وفي أيامنا هذه، يبدو أن المسؤولين الأمريكيين، والقائمين على أنظمة تداول الأسهم الصينية وكبار الاقتصاديين في الحكومة يتحدثون كلهم بصوت واحد. فكل إنسان يريد مقداراً أكبر من استثمارات الأموال التبادلية Mutual Funds، وأموال المؤشرات Index Funds، وكذلك الاستثمار الذي تقوم به المؤسسات. والظاهر أن ما يشبه أموال المؤشرات المستقبلية التي نوقشت بعناية لسنوات خلت ستبصر النور أخيراً. أما قروض السندات للشركات الصينية فلا تزال عند مستوى خجول. إن عشرة في المئة فقط من منشآت الصين يستخدم هذه الأنواع من التمويل الذاتي -وطريق الحصول عليها لا تزال وعرة للغاية بسبب زمن الانتظار الطويل- مقارنة بنسبة ثمانين في المئة من الشركات الأمريكية التي تلجأ إلى مثل هذا الأسلوب في الولايات المتحدة. في عام 2005، بلغ إجمالي رأس المال المتحصل عليه لقاء قروض سندات الشركات في أمريكا ستة أمثال ونصف ما تم الحصول عليه من سوق الأسهم. وبالمقارنة فإن كمية المال التي جمعت عبر السنوات التي أصدرتها الشركات الصينية بعد سنة من هذا التاريخ بلغت أقل من نصف قيمة الأسهم في سوق الأوراق المالية.

---

* تم تأليف الكتاب قبل الحدث الأولمبي، وكلنا نعلم أن الألعاب قد أقيمت في الصين صيف عام 2008 (المترجم).

وهناك أيضاً مناقشة مفتوحة ملأى بالاقتراحات من أجل إلغاء الحد اليومي الأقصى المسموح به من تذبذب الأسعار وهي إشارة أخرى جيدة إلى سوق أكثر نضوجاً. إن الاتجاه الواضح يسير في منح خيارات أكثر للمستثمرين ودخولاً مباشراً إلى السوق أكثر من ذي قبل. وعموماً، كلما حدثت توترات بين القيادة المركزية في الصين وبين النظام الاقتصادي غير الموجه المتبع، كان حل هذه التوترات في مصلحة زيادة الرفاهية والانفتاح. في الحقيقة، لقد قابلت عدداً كثيراً من رجال الأعمال الذين أعربوا عن تفضيلهم للصين على غيرها من بلدان «السوق الحرة» لممارسة أنشطة العمل التي لا تعاقب أو تفرض الضرائب على المنشأة على عكس ما يحدث في الولايات المتحدة والبلدان الغربية.

وعلى المدى البعيد سيكون للإصلاحات والتدابير المتخذة أثراً إيجابياً في أسعار الأسهم وفي قيمة العملة. وسيأتي اليوم الذي يصبح فيه شراء أسهم الشركات الصينية سهلاً بمقدار يماثل مكالمة هاتفية لسمسارك أو ضغط أزرار فأرة الحاسوب لديك حتى تثبت طلباً وأنت في لندن أو فرانكفورت. وينتابني الشك في أن يطول الزمن حتى قدوم ذلك اليوم.

2

المجازفة: النجاح المحفوف بالمخاطر

باللغة الصينية كلمة «أزمات» مركبة من صفتين، الأولى تشير إلى «المخاطرة». والثانية ترمز «للفرصة».

قد تتعرض الصين لأزمات عديدة في الزمن القادم. وبصفتي مستثمراً فإنني بحاجة إلى أن أتفحّص عن كثب مكامن الأخطار المحتملة والمخاوف التي يمكن أن تثيرها، والحلول التي تتطلبها وأن تتوافر لها أفضل الحظوظ لكي تخلق قيمة جديدة.

صدّق أو لا تصدّق، فإنني لا أغامر عندما يأتي الأمر إلى الاستثمار. فالبهجة في أن أعيش على الحافّة لم تكن يوماً جزءاً من تركيبتي. وينطبق الشيء ذاته على شراء الأسهم في الصين، بالرغم من أن أهل هذا البلد هم من بين أكبر المقامرين على وجه الأرض. إذا كنت تريد أداء واجبك، اشترِ بسعر رخيص ثم انتظر وكن صبوراً، ولا بد أن تأتي اللحظة التي تتجول فيها وتجني هذا الكوم المتراكم من المال في الزاوية التي لا يعيرها أحد انتباهاً.

وبمعايير يومنا المقبولة، فإن الصين من أكثر الأماكن التي تتمتع نسبياً بالأمان. لقد صنفت مجموعة (خدمات الأخطار السياسية)، وهي مؤسسة تعنى بتحليل عامل المخاطرة في الاستثمار، الصينَ بوصفها بلداً

«قليل الأخطار» منذ عام 2001. وفي عام 2006، وباستخدام عوامل مثل إجمالي الدين الخارجي نسبةً إلى إجمالي الناتج المحلي، والدين كنسبة من البضائع والخدمات المصدّرة، والسيولة العالمية واستقرار سعر الصرف، فقد كانت درجة علامة الصين 47.5 على مقياس يصل إلى الخمسين. وحصلت اليابان على علامة 46، وهبطت علامة الولايات المتحدة إلى 30.5. في الواقع، عُدَّت الولايات المتحدة أكثر خطورة من الصين منذ عام 2001. وكان هذا قبل وقوع اعتداءات الحادي عشر من أيلول.

ويبقى أنه لا يوجد شيء يمكن الجزم به عندما تصارع لتتجاوز التراجعات في السوق وتخرج منه سالماً أو لتستغلّ أوقات التحسن فيه. لذا فإن تقويم التهديدات وتوقع وجود انزلاقات هو أمر أساسي -عندما تكون نظرتك للعالم بوجه خاص. إن عدم ثبات الأمور في الصين واحتمالات انحرافها نحو الأسوأ كثيرة بقدر ما يحويه هذا البلد من بشر.

إن قائمة من الأخطار لابد أن تحتوي الآتي: نزاعات عسكرية محتملة (لا سيما مع تايوان)، عدم استقرار سياسي (إذا خَسِرَ الحزب الشيوعي أو حاد عن شرعيته)، الحركات الانفصالية (في الغرب المسلم البعيد أو في التيبت)، قلاقل اجتماعية عامة (بين جيل الشباب المهمش، الفلاحين المظلومين، أو بسبب تعاظم الأفكار الديموقراطية لدى الطبقة الوسطى)، اتساع الفجوات بين الفقراء والأغنياء، أو بين المدينة والقرية (وهو شعار متكرر في العديد من فصول هذا الكتاب)؛ اضطرابات عمالية (ومع عدم وجود تمثيل للاتحادات العمالية خاصة)؛ شحّ الموارد الطبيعية (بدءاً بالماء والنفط)، مخاطر البيئة (التلوث، التصحر)،

الأوبئة الكامنة (الإيدز، سارز، وإنفلونزا الطيور)، الزلازل (الأرضية أو المائية) التي تسبب الخراب الشامل للأبنية التي تفتقر إلى قواعد متينة (ومرة ثانية الأرضية أو المالية)، الممارسات الإدارية الخاطئة والفساد والتكاليف الكبيرة للفساد غير الخاضع للمراقبة بوجه عام، نمو تأثير العصابات الإجرامية، الصفقات الازدواجية الداخلية والإساءة. احتمال انهيار النظام المصرفي بسبب القروض السيئة، أو انهيار نظام الضمان الاجتماعي بسبب زيادة عبء الرعاية للمواطنين الطاعنين في السن مع تناقص عدد الأطفال، فقاعات الاستثمار والهيجان والتقلبات والسياسات النقدية المتسرعة والحماية الزائدة، الإغراق المفرط أو الشح في رأسمال المستخدم، تجبُّر القيادة وعدم كفايتها، تنامي الشعور الوطني، فقدان التفكير الإبداعي.

هل يبدو هذا مألوفاً؟ إن الكثير من المخاطر تنشأ في كل مكان، بما في ذلك الولايات المتحدة. هناك الكثير من الهواجس التي يمكن أن تبقيك ساهراً الليالي بسبب القلق، حتى لو لم تكن نائب رئيس الوزراء أو المدير العام لمكتب الحزب. لكن لا داعي للاحتياط من احتمالات جميع هذه الأخطار.

في المحصلة، لا يجبُ على الصين أن تكون خالية تماماً من الأخطاء حتى تنتج الشركات الأكثر ربحية في العالم. وليس هناك حاجة لسكانها ليصلوا إلى مستوى دخل الأفراد في الولايات المتحدة ليتهافتوا على شراء سلع ومنتجات الأسواق. حتى لو نما اقتصاد الصين بنسبة 4 – 3 في المئة فقط -الذي قد يعد طويلاً أليس كذلك؟- فسيظل هذا النمو يوفر حظوظاً

للنماء. إن معظم وزراء مالية بلدان عديدة مستعدون لبيع أقربائهم لو استطاعوا من وراء ذلك لتحقيق نسبة نمو اقتصادي لبلدانهم بمقدار 5 في المئة، وهو رقم يعد مخيِّباً في الصين، ولا يمكن لأحد أن يتوقع الحصول للأبد على نسبة نمو تصل إلى عشرة في المئة.

ومن الطبيعي، أن الصين سائرة نحو مواجهة بعض التراجعات، مفاجئة كانت أو تدريجية. إن ثقة المستثمرين الفطنين ستكون على المحك لدى تعرضها للعقبات الدورية والتهديدات من حين لآخر. ولذلك فقد تعرضت إلى العديد من التحديات الأساسية التي قد تمثل المخاطرة الأعظم في وجه تقدم الصين وهذا في تقديري، يمثل أفضل الفرص لصعود الاستثمارات.

النقاط البراقة والنقاط المنطقية

لطالما تنبأ النقاد بـ «الحرب القادمة مع الصين» منذ نقل بوب هوب Bob Hope برنامجه التلفازي الأول الخاص عند سور الصين العظيم. ولا يزال بعض الذين يؤمنون بعقلية الحرب الباردة يروجون لفكرتهم. ويبدو أن خرافة «العدوانية الصينية الحمراء» تطفو على السطح خارجة من القمقم الذي حبست فيه كلما كان هناك حدث يحرك هذه المشاعر (مثل قصف السفارة الصينية أثناء الحرب على صربيا، وحيث اعتقد القليل ممن قابلتهم في ترحالي أنه كان مجرد حادث عابر). وإلى يومنا هذا لا تزال بعض الأصوات الخافتة التي تروِّج بين الفينة والأخرى للعداء مع الصين منذ أن أصبحت هذه الأخيرة مع الولايات المتحدة حلفاء في وجه الإرهاب الذي يُدَّعَى أنه مستلهَم من الدين الإسلامي وهو نزاع لم يدر في مخيلة أحد ممن يدَّعون النبوءة.

فيا ترى هل تسخّر الصين مدافعها لكي تضمن تدفق إمدادات النفط في آسية؟ أو لحماية خطوط إمدادات الموارد الحيوية؟ أو هل يُدفع بها إلى مواجهة تقف وراءها الإمبراطورية الأمريكية الآيلة إلى الزوال بعد أن فشلت وسائل بقائها ولم يبق لها سوى القوة العسكرية؟ تذهب إحدى الجدليات إلى القول: إنّ القوى العظمى لطالما كبرت لدى استعراضها عضلاتها الجديدة، وإن النمو الاقتصادي السريع يثير طموحات إمبريالية. وبالمنطق نفسه، يمكن أن نرى بلداناً تسير سيراً حثيثاً نحو الازدهار مثل الصين التي تنأى بنفسها وبشعوبها عن الانزلاق في مغامرات خارجية.

إن حاجة الصين إلى الحرب كمن يحتاج إلى ثقب في رأسه. ففي أثناء المئة عام المنصرمة من تاريخها، كانت البلاد مسرحاً للنهب من قبل القوى العظمى، ووقعت فريسة للأطماع والسلب من أمراء الحرب، ثم تعرضت للخراب والدمار لعقود من الزمن بسبب الحرب الأهلية، وتبع ذلك كله العقوبات التي نزلت بها بسبب الغزو الياباني لأراضيها، وتم القضاء على مدنها الرئيسة وصناعاتها التي سويت بالأرض. يميل الأمريكيون للاعتقاد أن الحرب العالمية الثانية كانت اللحظة التي قدموا فيها تضحيات مجيدة من أجل إنقاذ العالم. لقد تكبّدت الولايات المتحدة أكثر من أربع مئة ألف قتيل في تلك الحرب، ليس فيهم واحد من المدنيين. بينما خسرت الصين خمسة وثلاثين مليوناً من الأرواح وتأتي في المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفييتي، وجلُّ هذا العدد من المدنيين العزّل من السلاح. ووصلت خسائر الممتلكات في الصين إلى خمسين ضعفاً من الناتج القومي الإجمالي السنوي لليابان

آنذاك. وربما قد نسينا تورط الجيش الصيني في المذبحة التي دارت في كوريا أيضاً (حيث فقد ماوتسي تونغ هناك ابنه الوحيد).

إن نظرة متأنية إلى سلوك الصين الثابت توفر لنا ضماناً أكثر. إن الصين واسعة الأرجاء، وفيها تنوع للأعراق وأعينها مفتوحة نحو الداخل. لقد كانت دوماً مشغولة للغاية بنضالها المحلي - وكونها ولدت من رحم الإقطاعيات المتناحرة والقوميات، أو بسبب طبيعتها الاستبدادية فإنها غير معنية بالبحث عن المتاعب في أمكنة أخرى. وبينما أخضعت الأغلبيةُ التي تسمى هان Han جيرانها من أجل توحيد الأرض التي تعدها «صينية» فإن جيوشها لم تذهب إلى أبعد من حدود مملكتهم التي تتوسط الصين. لماذا التعب عندما تعتقد أنك تعيش في وسط العالم؟ لقد أبحر المكتشف الصيني تشينغ هو Cheng Ho بسفنه مسافات تزيد مرتين عما قامت به سفن كولومبس في القرن الخامس عشر واستكشف معظم العالم. ومع ذلك فلم يقم أبداً بضم أي أراضٍ. واليوم تساعد السياسة الحالية، التي تسمح لكل أسرة بإنجاب طفل واحد فقط بالرغم من أنها خضعت لبعض التعديل، على تأكيد نظرة الصين التقليدية الهادئة. هل ستكون الأُسر الصينية في يومنا هذا على استعداد لإرسال أولادها وأحفادها إلى الحرب وهي تعرف تماماً أنها لا تستطيع إنجاب غيرهم.

لقد سبق الصينيون الأوروبيين باختراعهم للبارود بقرون، لكنهم بدلاً من أن يستحدثوا أسلحة فتاكة، فقد استخدموا هذه المادة لصنع الألعاب النارية. لقد فاقت سفنهم ومهاراتهم الملاحية نظيرتها المتوافرة لدى المستكشفين الأوروبيين، ومع ذلك فلم يحاولوا احتلال أي أرض أو تأسيس

مستعمرات. وبالرغم من أن الصين طورت أسلحة نووية حديثة، فإن مخزونها منها لا يزال محدوداً نسبياً، وهو كافٍ لإعلاء شأن البلاد ويوفر قدراً مناسباً من الردع، ولكن ليس بالقدر الذي يصيب خزينة الدولة بالإفلاس أو يشن حرباً نووية شاملة وفاصلة. وبينما يظل العدد الحقيقي مجهولاً، فقد ادَّعت الحكومة الصينية في آخر مرة صرحت بهذا الأمر عام 2004 أن مخزونها من الرؤوس الحربية هو الأصغر مقارنة بالقوى النووية الرئيسة (ملمحة إلى أن ما تملكه يقل عما لدى المملكة المتحدة وهو مئتا رأس). يقدر البنتاغون أن الصين تملك نحواً من أربعين صاروخاً بالستياً طويل المدى عابراً للقارات، وتمثّل الرؤوس القصيرة المدى المقدار الأكبر من قوتها النووية الضاربة، لقد بدأت الصين في نشر صواريخ ذات قواعد بحرية وأخرى على الطرقات، وفي الوقت ذاته تعهدت الصين علناً بسياسة «عدم البدء أولاً» بشن حرب نووية، وعدم توجيه ضربات للأمم غير النووية. والمؤكد المعلوم أن الصين قامت بتجارب تعادل خمسة بالمئة مما قامت به الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفييتي السابق.

لكن ما زالت الحكومة الصينية تلوح بسيفها المسلول فوق رأس «الصين الأخرى» المستمرة في الوجود ويقصد بها تايوان. إنها قضية يعدّونها حيوية فيما يتعلق بالسيادة الوطنية. لكن كلما تعلمت أكثر عن وضع تايوان، وسافرت إلى هناك بدا الأمر برمته أكثر غموضاً. يميل الأمريكيون إلى النظر إلى النزاع على أنه من مخلفات الحرب الأهلية الصينية التي خسر فيها حزب كيومينتانغ Kuomintang الحرب أمام الشيوعيين عام 1949، بيد أن من يفضل عودة الوحدة بين الشطرين هم الحرس القديم في الكيومينتانغ.

وقد يظن بعض المتجاهلين للظروف المحلية أن تدخل الولايات المتحدة هو الذي أقام النظام «الدمية» على جزيرة صغيرة سلخت عن الوطن الأم ولا تزال تجرؤ على تسمية نفسها بجمهورية الصين. لكن الولايات المتحدة ورغبة منها في المحافظة على السياسة الصارمة بأنه لا توجد سوى صين واحدة، قامت بقطع الروابط الرسمية مع تايوان منذ العام 1979. ومنذ رفع حالة قانون الطوارئ في تايوان عام 1987، أصبحت هذه الأخيرة واحدة من أكثر الديمقراطيات اضطراباً في آسية التي يصعب على الولايات المتحدة، أو الصين أو حتى أهلها القاطنين أن يسيطروا عليها.

إن تايوان بالاعتماد على ذاتها ودون مساعدة أحد على الإطلاق تابعت مسيرتها لتصبح خامس أكبر اقتصاد في آسية - بالرغم من ضآلة عدد سكانها البالغ أربعة وعشرين مليون نسمة. لقد نما الدخل القومي بنسبة 8 في المئة كل سنة بدءاً من ثمانينيات القرن العشرين مقارنة بنسبة 3 في المئة حققها اقتصاد الولايات المتحدة. وبالإضافة إلى كونها واحدة من الأمم الخمس الأولى بين تلك التي تملك احتياطياً من القطع الأجنبي، فإن تايوان لا تزال تحتفظ بميزان تجاري لمصلحتها، وهي موطن للعديد من الصناعات الإلكترونية الأضخم في العالم ذات الأسماء اللامعة مثل Inventec، إيسر ACER، شركة كوانتا Quanta Corp التي تورد قطع أجهزة الحاسوب لشركات عملاقة مثل HP هيوليت باكارد، وديل Dell، وتوشيبا.

لقد أعطى تدرج انفصال تايوان عن الصين - الذي اصطبغ بصبغة تميل إلى الغرب مع الاحتفاظ بتقاليد صينية منبعها القيم والدين -

ومعارضة أهلها الشديدة للشيوعية دفعة لحركة تأييد الاستقلال في تسعينيات القرن العشرين التي وصلت إلى الأوج بانتخاب تشين شوي-بيان Chen Shui-bian. لم يكن تشين أول شخص من الذين ولدوا على أرض تايوان ويتولى حكمها فقط بل كان أيضاً أول رئيس لبلد في أي مجتمع صيني يتم فيه انتقال السلطة سلمياً في حزب كان يحكم البلد (الوطنيون التابعون لشيانغ كاي تشيك) لآخر. ولكن باقتراب ولايته من نهايتها، عاشت الصين في أثناء تلك المدة أسوأ كابوس جثم على صدرها: رئيس ينادي بالاستقلال عن الصين ويدفع علناً لقيام استفتاء على تعديلات دستورية بهدف ترسيخ الوضع الانفصالي للجزيرة للأبد. واضطر تشين وعصبته إلى التخفيف من لهجتهم اللاذعة، في حين أظهرت الحكومة الصينية ثانية أن صياحها الذي يشبه النباح أقوى من فعلها الشبيه بعضة الكلب.

لا شك أن كلا الطرفين على علم تماماً بما تعنيه المواجهة - والسبب في ذلك بديهي. يوماً بعد يوم ينمو اقتصاد تايوان والبر الصيني بأسلوب يعتمد فيها كل على الآخر أكثر فأكثر. فقد أتى ما يقرب من 50 في المئة من الاستثمارات الأجنبية المباشرة إلى تايوان عام 2005 من الصين. وفي المقابل فإن تايوان حالياً ثاني أكبر مصدر للاستثمارات الأجنبية المتدفقة نحو الصين. وبالرغم من الجهود المبذولة من أجل التنويع فإن ما نسبته 63.3 في المئة من استثمارات تايوان الأجنبية يذهب للصين، وقفز بنسبة 10 في المئة عام 2006 عن عام 2005. (لقد تجاوزت الصين الولايات المتحدة لتصبح أكبر سوق تصديري بالنسبة إلى تايوان) (21.6 في المئة

من إجمالي صادرات عام 2005). وتخطت التجارة البينية حاجز المئة بليون دولار عام 2006 بزيادة قدرها عشرون في المئة كل سنة.

ومنذ أن رفعت حكومة تايوان القيود عن الاستثمارات التايوانية في الصين، تدفقت ألوف الشركات المملوكة من أهل تايوان إلى البر الصيني لتأسيس مصانع مستفيدة من رخص تكاليف الإنتاج في الصين في حقول الاتصالات، والألبسة، والإلكترونيات. وينتقل أرباب الأعمال من أهل تايوان إلى البر الصيني على شكل أسراب وزرافات -يقدر عدد الذي وصلوا إليه 750 ألفاً عام 2006- وهم يحملون رؤوس أموالهم معهم. وبالرغم من العقبات البيروقراطية الباقية فإن 3/2 من أصل 250 شركة رئيسة في تايوان لها استثمارات الآن في الصين وذلك بحسب إحصاء تولته مؤسسة الائتمان في الصين.

زعماء العمل المتنفذون أولئك هم القوة في المقدمة التي تدفع باتجاه حل سلمي للنزاع بين الصين وتايوان. إنهم يعلمون أكثر من غيرهم أن العلاقات الفاترة مع الصين لم تساعد إلا على منع تايوان من تحقيق كل ما تطمح إليه. المثال البدهي على هذه العلاقة هو عدم وجود رحلات طيران مباشرة بين الصينيتين*، وبذلك يتعين على مندوب مبيعات في تايبيه (تايوان) يبتغي عقد صفقة في شنغهاي -التي تبعد 337 ميلاً عن الجزيرة- أن يمضي رحلة يوم كامل ليصل إلى بلد المقصد عبر السفر إلى هونغ كونغ. التعليم هو مساحة أخرى حيث يمكن التأسيس لعلاقة تكافل عندما تستطيع الدولتان التصالح بينهما فقط. هناك الكثير من

* سمح أخيراً بهذه الرحلات (م).

الجامعات في تايوان إلى حد أن معظمها فيه مقاعد شاغرة. وبينما يوجد 5.3 ملايين طالب في الصين فإن 20 في المئة بينهم فقط يتأهلون للدراسات العليا. وربما يكون لدى العديد من الطلاب الآخرين الذين خانتهم حظوظهم رغبة في إنفاق قدر لا بأس به من المال في سبيل الحصول على علوم متقدمة وبلغتهم الصينية الأم على أرض تايوان.

سيكون للشركاء في أرجاء آسية الكثير مما يمكن الفوز به إذا تم التوصل إلى حل سلمي للنزاع بين الصين وتايوان. فكلما ازدادت الصين ثراءً فإنها لن تكون مصنعاً أفضل يزود الجيران بسلع عالية الجودة بأسعار زهيدة فقط، ولكن أيضاً زبوناً أحسن يوفر لجيرانه دخلاً أكبر بسبب التصدير إليه. حتى اليابان الخصم التاريخي للصين تعتمد باضطراد على ازدياد مبيعاتها إلى الصين. لقد تضاعفت صادراتها ما بين عام 1999، و2003 خمس مرات؛ في الشهر الأول من عام 2007 كانت الصادرات التي هي في معظمها أشباه نواقل أعلى 50 في المئة من السنة التي سبقته. بالطبع، لقد حلت الصين محل الولايات المتحدة شريكاً رئيساً تجارياً لليابان. ومثل سيف حديث من الداموكلز Damocles فإن خطر العقوبات الاقتصادية المفروض على الصين يتدلى فوق اليابان. إن الصين هي السوق التصديرية الأضخم للكوريتين (الشمالية والجنوبية) على السواء، وباعتماد هاتين الدولتين على الصين من أجل نمو وازدهار دائمين فإنهما سيستمران في إيجاد ضغط مباشر من أجل حل سلمي للنزاع بين الصين وتايوان.

هذا لا يعني ألّا تطلق أبداً رصاصة واحدة باتجاه تايوان، فطالما اقترف السياسيون تصرفات خرقاء. السؤال الأكبر هو: كيف يمكن لشخص ما أنْ يكتشف فرصاً استثمارية يفوّتها الآخرون بسبب مخاوف غير واقعية من حريق هائل؟ قد يبدو الاستثمار في شركات تايوانية لها في ذات الوقت ثقل استثماري واضح في الصين طريقاً مخالفاً للحدس السليم. لكن يجب أن تزداد أرباح الشركات كلما نقلت مجموعات كبيرة منها مصانع ومكاتب إلى البر الصيني.

يدير التايوانيون بعضاً من أكثر الشركات الإلكترونية المتقدمة تقانةً في العالم. وبالرغم من أن هذا القطاع يواجه منافسة حادة فإن بعض الشركات المتميزة بالجودة استطاعت تحقيق مكسب من وجهة السوق المزدهر في الصين ومن ناحية التوفير في تكاليف العمالة.

وهناك إمكانية لإستراتيجية أخرى متوافرة ألا وهي الاستثمار في مقاطعة فوجيان Fujian التي تقع في البر الصيني مقابل تايوان مباشرة. إن معظم القادمين الأصليين إلى تايوان قد أتوا من فوجيان ويتحدثون باللهجة المحلية التي تدعى فوزهو Fuzhou. ونتيجة للتوترات المستمرة فإن أسعار العقارات والقطاعات الأخرى أرخص ثمناً في فوجيان إذا ما قورنت بالمناطق الأخرى التي طالها التطوير في الصين. إذا تحقق السلام الحقيقي فإن فوجيان ستشهد ازدهاراً بلا شك. إن عاصمتها Fuzhou يسكنها سبعة ملايين من البشر، في حين تعدُّ Xiamen زيامين، الواقعة في الجنوب وتؤوي مليوني نسمة ميناءً يعج بالحركة، وقد رُشّح حديثاً ليكون أحد الموانئ التي يتم عبرها تصدير السيارات. إن أهل فوجيان والذين

يطلق عليهم تقليدياً الهوكين Hokkien لطالما كانت لديهم الرغبة بل والإرادة الملّحة لكي يشحنوا البضائع إلى الخارج. لقد أنشأ العديد منهم أعمالاً ومجتمعات ناجحة في جميع أنحاء جنوب شرق آسية، وأمريكا، والآن في أوروبة أيضاً. إذا تحقق سلام دائم مع تايوان، فسيتمكن الكثيرون من العودة بثرواتهم وخبراتهم إلى موطنهم الأصلي.

كما يمكن للمرء الاستثمار في السياحة، التي سأفرد الحديث عنها في فصل قادم. إن تايوان في النهاية هي أكبر جزيرة في الصين وتتوضع في جنوبها الشرقي. إنها تملك ملاذات آمنة من جبال، ومعابر، وشواطئ، وإن الجزيرة مؤهلة لأن تكون مقصداً رائجاً لأهل البر الصيني إذا ما طال التخفيفُ القيودَ على السفر.

بالطبع، لو أن أحداً أراد أن يسير في سياسة تعتمد على التشاؤم بالنسبة إلى مشكلة تايوان فإن الأرضيات لهذا الخيار موجودة أيضاً. فيمكن للمرء أن يبيع حصصه في الشركات التايوانية على المدى القصير، وهي التي تعتمد في نموها المستقبلي على الصين -مراهناً على تصاعد التوترات التي يمكن أن تؤدي إلى حصارات اقتصادية وعقوبات تتأذى منها الأرباح- أو يمكن الذهاب والاستثمار في شركات مستلزمات الدفاع على كلا الجانبين؛ لأن هذه الشركات ستزدهر بلا شك في أوقات الأزمات. في أسوأ حالة يمكنك ببساطة الانتظار وعقد صفقات مغرية في وقت الكساد والانتعاش الذي يتبع الحرب. لكن ربما عليك الانتظار طويلاً لكي تسنح لك مثل تلك الفرصة. وإذا ما انجرفت الولايات المتحدة واليابان كلتاهما للقتال وفاء لتعهداتها بحماية تايوان فربما نكون على أعتاب قيام الحرب

العالمية الثالثة، حيث أوصي عندها بتكديس جميع أنواع السلع والبضائع، لكن لا يوجد أحد يمكن له أن يضمن لك هذه الحقيبة من الاستثمارات ولو كان أفضل سمسار على وجه الأرض.

عموماً، إن نطاق الحرب يساعد على تدفق رأس المال لمصلحة متعهدي العتاد العسكري بغض النظر عن أمكنة وجودهم. إن تعداد القوات المسلحة الصينية يصل إلى 3.2 مليون بإضافة قوات الاحتياط والشرطة – وهو حشد هائل يتطلب الكثير ولكن ذلك ينطبق على كل شيء في الصين. إن هذا البلد يسعى لتحديث جيشه الضخم الذي يفتقر غالباً إلى المعدات عن طريق بناء أو شراء سفن جديدة وصواريخ وطائرات حديثة. فيما يتعلق بعام 2007، ارتفع إجمالي الإنفاق على التسلح 17.8 في المئة –وهو الأكبر إلى الآن– ويمثل ما يزيد قليلاً عن سبعة في المئة من الموازنة الوطنية (وهي نسبة منخفضة مقارنة بالولايات المتحدة)، لكنها مثّلت السنة الثامنة عشرة على التوالي التي يزداد فيها نموها أكثر من عشرة في المئة.

يعتقد البنتاغون أن الموازنة لا تشمل أنظمة الأسلحة الجديدة – تستورد الصين ما مقداره ثلاثة بلايين من روسيا كل سنة– ولا حتى الصواريخ أو الأبحاث. لهذا فإن الموازنة الحقيقية قد تصل إلى ثلاثة أضعاف مما هو مصرح به، ربما بما يزيد على مئة بليون دولار بقليل في عام 2007. في الوقت ذاته تبتاع الصين المستلزمات والأنظمة من العديد من المنشآت الأوروبية التي تستفيد أكثر من غيرها؛ لأن القوانين الأمريكية تحظر مثل تلك المبيعات على الشركات الأمريكية.

كل هذا يجعل الأمريكيين المتشددين يصابون بالقلق. لكن إيماني قابع في الاقتصاديات الباردة (إذا لم يكن في الثدييات ذوات الدم الحار). لقد سمعنا جميعاً عن العامل الذي يطلق عليه اسم ماكدونالد. لم يحدث قط أن تحاربت دولتان وتباع في كلتيهما شطائر اللحم المفروم Big Macs. في هذه الحالة أنا أدعوها أيقونة تمت تقويتها بعجينة صينية. وإذا جمعنا ما بين العمالة الهائلة لدى الصين وأسواقها، وخبرة تايوان ورأسمالها فربما يؤلف البلدان ثنائياً رائعاً. ربما في يوم من الأيام سيقول عنها الصينيون أنفسهم: إنها تناسق تم نسجه في السماء.

ملفات جيم* الصينية: الأول في الحرب، الأول في السلم.

تنبيه: فيما يتعلق بجميع الشركات فقد ألحقت أمكنة إدراجها برموز تلغرافية ربما تكون أرقاماً فقط، أو أرقاماً وحروفاً، أو حروفاً فقط.

شركة الصين الدولية الفضائية القابضة

China Aerospace International Holdings

بورصة هونغ كونغ HKG: 0031, H - Shares; OTC:CAIF

منحى ثلاث سنوات: الأرباح 15.1 **مليون دولار بعد خسائر بلغت** 17.7 **مليون دولار.**

الإيرادات مرتفعة 40.5 **في المئة.**

تشير التقديرات إلى زيادة في النفقات العسكرية أكثر من عشرة في المئة سنوياً وذلك على مدى السنوات الخمس القادمة على الأقل.

* ويعني المؤلفُ نفسه (م).

وسيستفيد كم كبير من الشركات من هذا الإنفاق السخي المستمر من قبل ولأجل جيش التحرير الشعبي. لكن معظم الصناعات العسكرية الصينية تعود إلى إحدى عشرة شركة تملكها الدولة لا يتم تداول أسهمها في السوق ما عدا شركة متفرعة من الشركة المذكورة آنفاً وهي التي تختص بالبحث والتطوير وإنتاج الصواريخ.

جيانغ سي هونغ دو لصناعة الطيران محدودة المسؤولية

Jiangxi Hongdu Aviation Industry Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600316, A - Shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 108.1 في المئة. انخفاض الإيرادات عشرة في المئة.

لا تزال الموازنة الدفاعية للصين بعيدة كل البعد عن الشفافية لذلك تبقى أسعار أسهم شركات التصنيع الحربي مبهمة أيضاً، وهي تربة خصبة لكل أنواع الشائعات التي تلف السوق. إن شركات الأسلحة معفاة من التصريح بأي معلومات عسكرية، مما يجعل التنبؤ بمقدار مبيعاتهم وأرباحهم أكثر صعوبة. هونغ دو للطيران هي المصنّع الوحيد لطائرات التدريب في الصين. وتشمل منتجاتها طراز طائرة التدريب النفاثة K8 التي صُدِّرت إلى بلدان عديدة مثل باكستان وسريلانكا وزامبيا ومصر. قام آخر طراز من هذه الطائرة بأول طلعة تدريبية له في 2007. وقد قفزت هونغ دو إلى حقل تصنيع الطائرات المدنية عبر تجمع لشركات ومؤسسات صينية عقدت مجتمعة شراكة مع إيرباص باستثمار قدره 633 مليون دولار؛ وهو كلفة خط تجميع للطائرات في مدينة تيانجين Tianjin.

شركة جيانغ نان للصناعات الثقيلة المحدودة

Jiangnan Heovy Industry Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600072, A-Shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح بنسبة 78.4 في المئة. ارتفعت الإيرادات بمقدار 58.7 في المئة.

إن جيانغ نان هي واحدة من اتحاد شركات يأخذ على عاتقه بناء أول طائرة ركاب تجارية صينية. عندما دارت الإشاعات عن نيتها نقل مصنعها من موقعه القديم قرب بوند Bund إلى جزيرة تشانغ زينغ Changxing قفزت أسعار أسهمها بمقدار ثلاثة أضعاف في أقل من شهرين وذلك في أواخر عام 2006.

شركة سيشوان تشينغ فا لعلوم الطيران والتقانة المحدودة

Sichuan Chengfa Aero Science & Technology Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة A SHA: 600391, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 89.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 88.7 في المئة.

إنها المصنّع الأكبر لمحركات الطائرات وأجزائها في الصين - تقوم بالتوريد لكل من جنرال موتورز ورولس رويس. تمثل الصادرات 65 في المئة من إيراداتها، لكن الشركة تتوقع انخفاضاً في مبيعاتها الداخلية في عام 2007.

ومع إعلان الصين عن خططها لبناء طائراتها العملاقة أخيراً، لتتنافس مع كل من بوينغ وإيرباص، فإن النمو في حركة السفر وحدها كفيلة أيضاً بدعم صناعة الطيران المحلية.

شركة مجموعة زيامن آي تي جي المحدودة

Xiamen ITG Group Corp., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة A SHA: 600755, A – shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 65.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 47.5 في المئة.

بخلاف شركات الأسلحة، تختص هذه الشركة بالتجارة بين تايوان ومنطقة زيامن الاقتصادية الخاصة. إنها تتولى نقل المنتجات الزراعية، والتجهيزات الطبية، والكثير من السلع، والبضائع الأخرى، وتملك بطريقة غير مباشرة 15.3 في المئة من الأسهم في شركة مستودعات حاويات زيامن الدولية Xiamen International Container Terminals، وتقوم بتشغيل الرصيف البحري الوحيد القادر على استيعاب سفن حاويات الجيل الحالي في ميناء زيامن الواقع في فوجيان، وهو الأقرب بين الموانئ الصينية إلى تايوان. إذا كان هناك شركة يُقدَّر لها حصد الأرباح من تحسن العلاقات بين الصينيتين فهي هذه الشركة.

شركة فوجيان لتطوير الطرق السريعة المحدودة

Fujian Expressway Development Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة A SHA: 600033, A – Shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 23.7 في المئة. ارتفاع الإيرادات 25.3 في المئة.

وهي مستفيد آخر بطريقة غير مباشرة من تطور العلاقات إلى الأفضل. تقوم الشركة بتشغيل طريقين سريعين: من مدينة كيانزهو Qianzhou إلى مدينة فوزهو Fuzhou الداخلية، ومن فوزهو إلى زيامن.

وبوجود سلام راسخ عبر مضيق تايوان، فإن حجم البضائع المشحونة عبر هذه المسارات سيزداد بطريقة دراماتيكية. بالإضافة إلى أن هذين الطريقين السريعين تتقاضى الشركة من السيارات المارة بهما أجوراً بوصفهما يربطان دلتا نهر يانغتز ودلتا نهر اللؤلؤ.

شركة فوجيان زانغ زهاو للتطوير المحدودة

Fujian Zang Zhou Development Co., Ltd.

بورصة شينزن أسهم فئة **A** **SHE: 000753, A – Shares**

منحى ثلاث سنوات: انخفاض في الأرباح 53.4 في المئة. ارتفاع بالإيرادات 28.4 في المئة.

يرجع الكثير من أهل تايوان تاريخهم إلى المدينة الميناء زانغ زهاو، وهي مقصد تتهافت عليه الاستثمارات من قبل الشركات في تايوان. فقد استثمرت شركة فورموزا للبلاستيك Formosa Plastics ثلاثة بلايين من الدولارات في معمل للطاقة في تلك المدينة. أما فوجيان زانغ زهاو للتطوير فيعتمد نشاطها على بناء الطرق وتطوير البنية التحتية والمقاولات.

شركة فورموزا للبلاستيك Formosa Plastics Corporation

بورصة تايبيه **TPE (Taipei Exchange): 1301**

منحى ثلاث سنوات: هبوط الأرباح 15 في المئة. ارتفاع في الإيرادات 21 في المئة.

وهي واحدة من أكبر ثلاثة مستثمرين في تايوان في الصين من حيث الحجم. باشر صاحب الشركة ذو الثروة الطائلة واسمه وانغ يونغ كينغ الاستثمار في الصين منذ رحلته الأولى لها عام 1990. ومعظم التركيز على البتروكيماويات. منذ إنشاء الشركة عام 1954، وهي تحتل المرتبة

الأولى في إنتاج حبيبات البلاستيك PVC عالمياً، ولها مصانع في الولايات المتحدة مثلما لها في تايوان. أما في الصين فقد زاولت أنشطة في الرعاية الصحية وتوليد الطاقة. عارضت حكومة تايوان خطة السيد وانغ عام 1996 لبناء محطة لتوليد الطاقة في فوجيان، لكنه عاد وبدأ تنفيذ المشروع مع شركاء محلّيّين عام 2003.

يوني بريزيدانت انتربرايزز

Uni-President Enter prises Corporation

بورصة تايبيه TPE: 1216

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 38.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 1.2 في المئة.

توسع رئيس يوني بريزيدانت من كونه يهدر مزارع للأسرة في تاينان Tainan في جنوب تايوان إلى كونه ليس أكبر مصنّع للغذاء في الجزيرة فقط ولكن من أكبرهم في آسية كلها. بدأت الشركة استثماراتها بقوة في الصين منذ العام 2002، وهي مشهورة بإنتاج المرطبات الغازية وبالأخص مادة الشعيرية سريعة التحضير - وتملك أحد عشر خطاً إنتاجياً ينتج الوجبات الخفيفة المشهورة.

وبسبب توسعها وامتلاكها محالّ التجزئة الصغيرة وامتداد أنشطتها لتشمل النفط والأطعمة المجمدة وغير ذلك فقد بلغت إيراداتها في الصين وحدها 1.4 بليون دولار، وارتفع سعر أسهمها 15 في المئة في الأسبوع الذي أُعلن فيه اختيارها كراعٍ للألعاب الأولمبية التي أقيمت في بكين سنة 2008.

فوكس كون إنترناشيونال هولدينغ المحدودة

Foxconn International Holdings Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة H؛ من فوق المنصة

HKG: 2038, H – shares; OTC (Over The Counter): FXCNF

منحى ثلاث سنوات: قفزت أرباحها 296 في المئة وإيراداتها 213.8 في المئة

لما كانت الشركات التايوانية مقيدة بألاّ تستثمر بأكثر من نسبة 40 في المئة من أصولها في الصين، فقد لجأ بعضهم إلى الالتفاف على هذا التقييد بنقل عملياته خارج الصين وإدراج الأسهم في بورصات هونغ كونغ. تعد فوكس كون مورّداً رئيساً لأجهزة الهواتف النقّالة التي تصنعها كل من موتورولا ونوكيا.

وقد أعلنت مجموعة فوكس كون التي تملك 74 في المئة من أسهم فوكس كون إنترناشيونال (الدولية) في مطلع عام 2007 عن خطة تتضمن أحد عشر مشروعاً جديداً في الصين من أجل ضمان تحقيق نمو بمقدار 30 في المئة لخطوط إنتاج الحواسيب والأدوات الكهربائية وأقسام التصميم.

فوكس كون هي جزء من هون هاي بريسشين المحدودة
Hon Hai Precision Ltd. (TPE: 2317; OTC: HNHAF, HNHPF)
التي تمتلك خمسين ألف براءة اختراع تتوزع على خطوط إنتاج الحواسيب والتقانة؛ وهذه الأخيرة أعلنت في شهر آذار 2007 أنها بصدد تنفيذ ثمانية مشروعات عملاقة في أرجاء الصين.

تعطش لتحقيق التقدم

«لقد رأينا العدو الذي هو أنفسنا» أصبح هذا المثل شائعاً منذ أن ورد ذكره في تعليق ساخر أثناء حرب فيتنام، وقد انطبق على العديد من البلدان حول العالم -ولا سيمًا الصين. إن المشكلات الداخلية وليست التهديدات الخارجية هي التي تمثل الخطر الأعظم لازدهار الصين.

في مرحلة ما على طريق التنمية، ستكون إنتاجية الصين محدودة تبعاً للموارد المستخدمة. إن التيتانيوم، أو الحديد الخام، أو النحاس سيكونون معرضين للنضوب يوماً ما. إن اعتماد الصين الشديد على الفحم الحجري قد جعلها تتخطى الولايات المتحدة بوصفها أسوأ البلدان الباعثة لغازات البيوت الخضراء. ويمتد أثر هذا التلويث في كوكب الأرض برمته: تقدر السلطات الأمريكية المختصة بأن ربع المشكلة الموجودة في الهواء فوق ولاية كاليفورنيا الذي يشوبه الدخان مصدره الصين. إن هواء ثلثي المدن الصينية يقل عن المستوى الصحي المطلوب؛ ثم إن ست عشرة مدينة من أصل أكثر من ست وعشرين مدينة أشدّ تلوثاً في العالم موجودة في الصين. وإن نسبةً تقاربُ الثمانين في المئة من الأطفال الذين يعيشون في المناطق الصناعية في الصين يعانون أحد أنواع التسمم بالرصاص.

في الوقت نفسه، استُنزفت الأراضي الصالحة بفعل التشبع الكيميائي، وتحولت الغابات إلى صحارٍ - فبين 1994 و1999 اتسعت صحراء غوبي وحدها بما يقرب من عشرين ألف ميل مربع، وهي تزحف أكثر فأكثر

وباستمرار لتضيق الخناق على العاصمة بيكين. وبوجود نصف الشركات الكيمياوية البالغ عددها واحداً وعشرين ألفاً في البلاد كلها قرب النهر الأصفر ونهر يانغتز Yangtze River، فإن عدد حوادث التسرب السامة تزداد باضطراد، وبلغت في آخر شهرين من عام 2005 وحدهما خمساً وأربعين حادثة. ويعدّ سبعون نهراً رئيساً وبحيرة في الصين مصابين بالتلوث إلى درجة الخطر.

عندما أقلّب مستقبل الصين، فإن أشد ما يقلقني هو مسار هذه البقعة نحو الجفاف. وأنا لا أعني حجب ضوء القمر، بل إنني متخّوف حقاً من نضوب الماء. وبالمناسبة، فإن حظوظ الهند قد تكون في حال أسوأ. ففي أسفاري عبر البلدين أتيت على بلدان غابرة لا تحصى آلت إلى مدن للأشباح بعد أن كانت آية في الفخامة؛ وكل ذلك بسبب شح المياه. والآن، يمكن للتاريخ أن يعيد نفسه وبوتيرة أكبر. وكافتتاحية، يبلغ معدل هطول الأمطار التي تسقط على شمال الصين الذي يشكل ثلثي الأرض الصالحة للزراعة أقل من 8 في المئة من المعدل العالمي. أما الجنوب الذي يتمتع بمناخ مداري أكثر ويوفر مياه الري لسبعين في المئة من محاصيل الحبوب فقد وقع ضحية التوسع السريع للمدن. قد يصاب نهر يانغتز العظيم بالموت البيولوجي بحلول عام 2012: والنهر يمتص الآن 40 في المئة من مياه التصريف للصين التي تبلغ نسبة غير المعالج منها 80 في المئة. وحالياً، لا تعمل العديد من محطات معالجة المياه المقامة على السد العملاق ثري غورجز Three Gorges بكامل طاقتها. تعتمد مئة وثمانون مدينة على نهر

يانغتز لتأمين حاجتها من مياه الشرب، ومن بين هذه المدن، شنغهاي، ووهان Wuhan، وتشونغ كينغ Chongqing، التي يقطنها مجتمعة ستون مليوناً من السكان. ولا تزال هذه المدن آخذة في التوسع بحثاً عن مياه أفضل، ولكن يوماً ما لن تجد مكاناً تذهب إليه.

تحت الحكم الشيوعي كان الماء يعد مصدراً طبيعياً متاحاً بالمجان لجميع أفراد الشعب، وظلت أسعار المياه زهيدة على نحو متكلَّف. إلا أن الأسعار ارتفعت بحدة في السنوات القريبة -عشرة أضعاف في خمسة أعوام ما بين 1999 و2004، ولكن كل هذا الغلاء لم يستطع أن يَحِدَّ من الاستعمال. وحتى المبادرات «الخضراء» قد تجعل الأمور أكثر سوءاً. لقد حذر خبراء المياه من أن الاتجاه السائد نحو إنتاج الوقود الحيوي مثل الغاز الكحولي Gasohol، الذي يكتسب شعبية في البرازيل والهند، ربما يقود في الواقع إلى زيادة هائلة في كمية الماء اللازمة لإنبات السكر المستخدم كمحصول منتج للوقود.

والنتيجة، صُنفت الصين من قبل الأمم المتحدة من بين ثلاثة عشر بلداً على أنها الأدنى من حيث حصة الماء المتوافرة لكل فرد.

وتتنبأ وزارة الموارد المائية بأن الموارد في المياه ستنخفض بحلول عام 2030 بنسبة 20 في المئة إلى درجة توصف عالمياً «بشح المياه». إن أكثر من ستين في المئة من مدن الصين البالغ عددها ست مئة وستين تعاني الآن قلة المياه. ثم إن نصف عدد السكان الهائل لهذا البلد يشربون مياهاً ملوثة بمخلفات بشرية وحيوانية تفوق مقاييس المعدلات المحلية والدولية. يعتقد

المصرف الدولي أن تلوث المياه يكلّف ما بين واحد إلى اثني عشر في المئة من إجمالي الدخل القومي من حيث معالجة هذه الكارثة ومتاعبها الصحية.

لم يتحول الصينيون إلى شرب المياه الغازية الطبيعية بيرييه Perrier كحل لهذه المعضلة فقط. فمنذ عام 2000، بدأت الحكومة في فرض سلسلة من المعايير البيئية والتوصيات على الشركات والبلديات الصينية، ووضعت قيوداً على استخدام المياه شملت خمس صناعات أساسية؛ من ضمنها البتروكيماويات والنسيج وصناعة الورق. تتنبّأ تقديرات وزارة الموارد المائية أنها ستنفق تريليون رينميتبي؛ أي ما يعادل 125 بليوناً من الدولارات حتى عام 2010، من أجل إنقاذ نظام المياه الوطني. وهذه الأرقام تشمل 330 بليون رينميتبي، أو ما يوازي 41.25 بليون دولار أمريكي من أجل إنشاء محطات خارج المدن لتكرير المياه غير الصالحة، و320 بليون رينميتبي أو 40 بليون دولار لبناء خطين رئيسين ضمن مشروع تحويل المياه من الجنوب إلى الشمال.

إذا وصل الصينيون إلى مرحلة اليأس، فربما يلجؤون إلى جارتهم روسيا طلباً للماء مثلما فعلوا بالنفط. لن أنسى ما حييت رحلتي بوساطة دراجتي النارية على شواطئ بحيرة بيكال Lake Baikal في سيبيريا. تحتوي الاحتياطات العميقة لهذه البحيرة التي يوجد فيها مياه عذبة أكثر من سواها نحواً من عشرين في المئة من المياه النقية في العالم أجمع، وهي وحدها تتفوق على البحيرات الكبرى في أمريكة الشمالية مجتمعة. ومما يثير العجب أن هذه البحيرة كانت يوماً ما جزءاً من الإمبراطورية الصينية. هناك مخزون هائل من المياه في سيبيريا وعدد قليل من

السكان، ولكن قد يتطلب الأمر سنوات حتى يتم تحويل الماء من الشمال إلى الجنوب.

لقد بدأت الصين في الإقرار علناً بأنها لا تملك الخبرة الكافية التي تمكنها من إدارة مثل تلك القضايا، وباشرت بالخصخصة وفتح أبواب الاستثمار الخارجي لقطاع المياه. ثم إن الحكومة اعترفت أخيراً بالتكاليف الاجتماعية لندرة الموارد المائية. وبوصف الحكومة واعية لآثار التلوث التي تكلف البلاد ما يصل إلى عشرة في المئة من الناتج القومي الإجمالي أو 200 بليون دولار سنوياً، فقد عمدت إلى التزام مبلغ 162 بليون دولار تنفقه في السنوات الخمس الآتية إسهاماً منها في حملة التنقية للتخفيف من التلوث. ولقد تم إقرار قدر وافر من التشريعات من أجل تحفيز استخدام بدائل للطاقة، ومحاربة التصحر وتسميم الأنهار، وابتكار جيل جديد من محطات معالجة المياه، والتشدد في تطبيق قوانين البيئة (حتى وقت قريب لم يكن لدى إدارة حماية البيئة في الصين سوى عدد ضئيل من طاقم لا يتعدى عدده ثلاث مئة فرد).

تقليدياً، كان معظم التمويل الأجنبي المخصص لمحطات معالجة المياه في الصين يأتي من المصرف الدولي ومصرف التطوير الآسيوي وتبرعات الحكومات الأجنبية. ومن أجل لفت الانتباه لقضايا التمويل بدأت الحكومة الصينية بتشجيع القطاع الخاص على نحو فاعل ليقبل شراء محطات معالجة المياه غير النقية سواء القائمة منها أو المشيدة حديثاً بسعر يقل عن كلفة الاستبدال. وبحسب وزارة التجارة الأمريكية يوجد

في يومنا الحاضر في الصين ثلاث مئة هيئة أجنبية ومحلية تهتم بأبحاث توفير المياه العذبة والتصميم الهندسي لها، وبتجميع المياه التي سبق استخدامها، ومعالجة المياه غير النقية. وهناك بضع مئات من المصانع التي تنتج مواد تتعلق بتجهيزات معالجة المياه التي تحوي النفايات. بيد أن الشركات التي تتمتع بميزانيات طيبة ومقدرة تقنية وبالدعم الصيني ستستفيد من الفرصة المتوافرة لها من قبل المياه في الصين.

إن إدارة مصادر المياه قد تكون الأزمة المركزية التي تتحدى العالم لقرن آت من الزمان. وعليه فلن تكون الصين وحيدة في البحث عن الحلول المناسبة. ولكن إذا لم تستطع الصين إيجاد مثل تلك الحلول فإن العصر الذهبي لهذا البلد قد ينحسر فجأة.

ملفات جيم الصينية: الأرباح السائلة

تقانة المعالجة البيولوجية المحدودة

Bio-Treat Technology Ltd.

بورصة سنغافورة أسهم فئة S SIN (Singapore Exchange): B22 S-Shares

منحى ثلاث سنوات: هبوط الأرباح 9.5 في المئة. ارتفاع الإيرادات 133.7 في المئة.

إن واحداً من أكبر المستفيدين من أزمة المياه في الصين سنجده في المعقل الصيني من سنغافورة لمنشأة حيث تمتلك شركات معالجة المياه هناك تقنية متقدمة، وإدراكاً جاداً لبيئة العمل في الصين، ولديها علاقات جيدة مع الحكومة الصينية. إن حكومة سنغافورة لها هدف منذ الآن وهو الحصول على نصيب يراوح ما بين 3 و5 في المئة من سوق معالجة المياه

العالمية التقديرية التي يتوقع لها أن تصل إلى 1.2 تريليون دولار في غضون عشر سنوات.

فعلى سبخة يعاد تأهيلها يوماً ما لتكون أرضاً صالحة، وبالخبرة والأموال التي تملكها سنغافورة يمكن لهذه البقعة أن تصبح وادي السيليكون فيما يتعلق بمعالجة المياه إذا شئنا القول. إن سوق سنغافورة للأوراق المالية (البورصة) تنمّ عن هذا الطموح لأنها تستضيف على لوائحها معظم أسهم شركات معالجة المياه المستوطنة في قارة آسية التي يقارب عددها المئة والبالغة قيمتها 50 بليون دولار. لقد عملت Bio-Treat على تنفيذ مئتين وخمسين نظاماً لمعالجة مياه النفايات في الصين وهي متعاقدة للعمل على مشروع الصين الضخم من الجنوب باتجاه الشمال الخاص بتحويل مجرى الماء.

بيئة آسية القابضة المحدودة Aisa Environment Holdings Ltd.

بورصة سنغافورة: أسهم فئة SIN: A58, S–shares S

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 287.3 في المئة. ارتفاع الإيرادات 209.1 في المئة

عقدت هذه المنشأة اتفاقين، واحداً مع مقاطعة جيانغ سو وآخر مع مقاطعة جيانغ سي. لها شراكة مع اثنتين من أهم منشآت سنغافورة لمعالجة المياه عبر عقود مع الصين تبلغ 474 مليون دولار.

وهناك منشآت أخرى في سنغافورة مثل هاي فلكس Hyflux (بورصة سنغافورة: 600؛ تداول الأسهم من فوق المنصة: أرباحها انخفضت بمقدار 35.1 في المئة، إيراداتها ارتفعت 46.5 في المئة) وكذلك سينوميم Sinomem (بورصة سنغافورة: s14 تداول الأسهم من فوق المنصة (من دون وسيط)؛ ارتفاع الأرباح 23.2 في المئة، ارتفاع الإيرادات 111 في المئة)

تعمل في مجال عمليات التنقية. استثمرت هاي فلكس في معالجة السائل الناتج عن تفكيك النفايات المدفونة في باطن الأرض.

مياه آسية للتقانة المحدودة Asia Water Technology Ltd.

بورصة سنغافورة أسهم فئة S SIN: 5GB, S–shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 121.9 في المئة. ارتفاع الإيرادات 46.5 في المئة

لقد حظيت مياه آسية بارتفاعات رائعة في أسعار أسهمها ولديها أكثر من خمس مئة مشروع تعمل على تنفيذها في الصين.

مجموعة شؤون مياه الصين المحدودة

China Water Affairs Group Ltd.

بورصة هونغ كونغ أسهم فئة H دون وسيط

HKG: 0855, H–shares; OTC: CWAFF

منحى ثلاث سنوات: انخفاض في الخسائر من 12.6 مليون دولار إلى 3.2 ملايين دولار، زيادة في الإيرادات 59.4 في المئة

لديها خليط من الاستخدامات والزراعة المائيتين والإلكترونيات.

شركة شنغهاي يانغ صن انفستمنت المحدودة

Shanghai Young Sun Investment Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة B SHA: 900935, B – shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 25.4 في المئة. ارتفاع الإيرادات 107.2 في المئة

منشأة محلية صينية متخصصة في معالجة مياه المجاري، سائرة في طور التوسع.

شركة نالكو Nalco Company

بورصة نيويورك NYSE: NLC

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 76.3 في المئة. ارتفاع الإيرادات 6.3 في المئة

يسعى العديد من الشركات الدولية لاقتناص الفرص في الصين وفي مناطق أخرى من العالم تعاني الأزمات. إن نالكو هي شركة لمعالجة المياه مركزها ولاية إلينوي، وقد أعلنت منذ أمد قصير أنها زادت من جهودها البيعية في الأسواق الاقتصادية المتعاظمة.

فيوليا إنفيورنمنت (للبيئة) Veolia Environnment

بورصة يورو نيكست باريس

EPA: (Euro next Paris): VIE; NYSE: VE, ADR; OTC: VEOEF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 76.3 في المئة. ارتفاع الإيرادات 6.3 في المئة

منشأة فرنسية تمتلك هيئات في الصين تتولى تزويد 110 ملايين إنسان بالماء وخدمات تصريف مياه المجاري.

ومن ضمن الشركات الأجنبية الأخرى سيمنز Siemens ورمزها في بورصة نيويورك (NYSE: SI) التي ضمت جهودها إلى جانب ميكوروت Mekerot وهي أكبر شركة إسرائيلية لتزويد المياه العذبة [في فلسطين (المحتلة)] وهذه الأخيرة ليست محلاً للتداول. وتعمل سيمنز مع ميكوروت لاستكشاف تقنيات جديدة بهدف إعادة استعمال المياه الشحيحة في إسرائيل، وبغية الوصول للهدف النهائي وهو بيع هذه التقنيات إلى دول مثل الصين. في تموز من عام 2006، ابتاعت داو كيميكال Dow Chemical شركة صينية هي زي جيانغ أومكس للهندسة البيئية Zhejiang Omex Environnmental Engineering

التي بدورها تضيف ثلاث تقنيات لتنقية المياه إلى جعبة داو كيميكال.

شركة فوجيان لونغ كينغ المحدودة Fujian Longking Co., Ltd.

بورصة شنغهاي أسهم فئة A SHA: 600388, A-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 69.7 في المئة. ارتفاع الإيرادات 53.9 في المئة

سيكون في الصين منذ الآن فصاعداً شركات أكثر وهي التي تُدعى الشركات الخضراء، وتلك التي تعتني بالنظافة عبر تخليص البلد من النفايات. تأسست فوجيان لونغ كينغ عام 1998، وهي أول شركة من الشركات التي أدرجت أسهمهن في السوق في الصين التي تنتج آلات التخلص من المواد الكبريتية والغبار. لقد عملت مع منشآت ألمانية مماثلة لإنتاج تقنيات لا حصر لها تعنى بحماية البيئة.

شركة زي جيانغ فيدا للعلوم البيئية والتقانة المحدودة

Zhejiang Feida Environnmental Science & Technology Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة A SHA: 600526, A-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 57.7 في المئة. ارتفاع الإيرادات 41.7 في المئة

بدأت نشاطها عام 2002، وهي متخصصة في أفران النفايات والصافي للتخفيف من تلوث الهواء -وهو مجال أمامه الكثير من الجهد والعمل.

عندما يفشل الآخرون هل ستفشل الصين؟

كل كتاب عن الصين يبصر النور يبدو كأنه يفترض أن هذا البلد قد وصل إلى درجة مفصلية. إنه لأمر درامي القول وبكل راحة: إنَّ ذلك سيسهم في بيع العديد من النسخ المطبوعة. لكن عندما أنظر إلى الصين،

فإنني لا أرى فيها بلداً يسعى إلى السيطرة على العالم أو الغوص في الفوضى. وفي حال لم تدرك - أيها القارئ - إلى الآن مقصدي فإنني أرى الاستقرار المستمر، إنني أرقب بنظر بعيد مثلما يميل زعماء الصين والمفاوضون الصبورون أن يفعلوا.

في الثلاثين عاماً التي مضت، تمكنت الصين من الخروج ليس بأقل من ثورة اجتماعية -بأقل القليل من سفك الدماء وبعزيمة لا تكلّ نحو العودة إلى الذروة. لقد حصل الكثير من إعادة توطين السكان وتوجيه الأموال والموارد دونما الحاجة إلى ضحايا بالجملة أو عدم استقرار شامل أو حتى تضخم نقدي خارج عن السيطرة. إن الناس الذين تمكنوا من قيادة هذا التغيير -مثل السيد زهاو رونجي الذي يستحق لقب قيصر الصين الاقتصادي الأول والذي أدهش يوماً ما طلابَ كلية الأعمال في جامعة هارفارد بمعرفته لتعابير وول ستريت وأظهر حنكة هائلة وذكاءً حاداً. وأما الناس الذين كانوا وراء هذه القيادة فهم بحق تكنوقراطيون بما تعنيه الكلمة من معنى، وقد تدربوا في الغرب، وهم على دراية بكل مفاصل الدولة الرأسمالية الحديثة وكيفية صياغة أنشطة الأعمال.

يبدو أولئك الناس أنهم على معرفة متى يُحْكِمون الغطاء ومتى يتركونه حراً ليخرج منه البخار الاجتماعي - وهناك الكثير من الأمثلة على ذلك. ففي عام 2005 مثلاً، أشارت التقديرات إلى وجود 510,000 حالة من «المنازعات العامة» في أنحاء الصين. وليس هذا بالضرورة أمر سيئ، بل إنه إشارة إلى السماح بظهور بعض أنماط الاحتجاجات. وبالطبع، لا ينظر أحد إلى مجزرة الطلاب التي وقعت في ساحة تيان أنمن Tiananmen على أنها

مثال لامع للقمع الشُّرْطيّ، ولكن لمعظم الصينيين يعد رد الفعل هذا وعمليات الشد والجذب بين الحرس القديم والحديث في ذاكرة التاريخ البعيد. على عكس اليابانيين الذين ينظر إليهم الصينيون على أنهم يتحركون بخطى مكبلة، فإن الصينيين لطالما اتجهوا لمكافحة الخروج عن الإجماع مع السماح له بالظهور. لكن هل يرقى مثل هذا الاضطراب إلى الحد الذي يؤثر بخطورة في مناخ العمل والاستثمار؟ اسأل اليوم أغلب الصينيين عما يرغبون فيه وستجدهم يقولون: نريد الحصول على الدخل الجيد وأن نرى بلدنا مزدهراً وواعداً بمستقبل له صفة الاستقرار. إن معظم الصينيين الذين قابلتهم إنما يبذلون جهد طاقتهم في الاتجاه نفسه.

بالرغم من أن اقتصاد الصين توسع عام 2006 بنسبة 11 في المئة، فقد نشرت مجلة بارونز Baron's Magazine قصة الغلاف المسماة: «ماذا لو سارت الأمور في الصين بطريق خاطئ؟» لقد أشار كاتب المقالة إلى ثلاث مصاعب جمّة تنتظر الصين: أمة عجوزة، وفساد منتشر، وتدهور بيئي. لكن غاب عن باله مسارات أكثر بداهة: مئات الملايين القاطنين في الأرياف الذين يمكن أن يحلوا مكان القوة العاملة الطاعنة في السن لعقود من الزمن، ومستويات مماثلة من الفساد في جميع البلدان الملقبة بالنمور الآسيوية التي كانت سائدة إلى زمن ليس بالبعيد، ومتاعب الصين البيئية وما توفره من فرصة سانحة للشركات المحلية والأجنبية.

واليوم، يستطيع أي مسافر إلى بيكين أن يرى بأم عينه، في أثناء تهيئة العاصمة نفسها للألعاب الأولمبية، كيف ينتقل الحديث عن نظافة البيئة من الاستحقاقات شبه الخطرة للتلوث التي تبنتها مجموعة ضئيلة من

المعارضين للنظام إلى هدف رئيس ترعى الحكومة تنفيذه، واستحقاق ينال الكثير من التغطية في وسائل الإعلام الرسمية. لقد حثَّ السيد وين جياباو Wen Jiabao رجال البلد لأن يتحركوا بسرعة أكبر لعلاج هذا الشأن، وعيَّن وزيرين للبيئة بدلاً من واحد فقط. لقد أمضت الولايات المتحدة مئة عام لتواجه ما تحقق من «تقدم» على هذا الصعيد في قارة أمريكا الشمالية؛ وقد لا تُكلل جهود الصين بالنجاح في وقت قصير، لكنها على الأقل لديها الجرأة لمواجهة مشكلاتها في سنين قليلة من تسببها في هذه المشكلات.

ولا بد للصين من أن تفتح عينها على طيف من الفيروسات الجديدة التي يمكن أن تحدث أوبئة متفشية مثل مرض سارز SARS المخيف الذي ظهر عام 2003. نستطيع أن نكون واثقين بشيء واحد حدث نتيجة لهذه التجربة: إن المسؤولين عن الصحة العامة في الصين لن يتستروا على المدى الحقيقي على أي مرض بغرض «حفظ ماء الوجه». هناك شيء واحد لا يستطيع أحد منا الجزم به وهو كون مقاطعة غوانغ دونغ Guangdong المكتظة بالسكان التي تقع على مقربة من منطقة تعيش فيها حيوانات برية، من ضمنها بعض الأصناف التي يتخذها الكثير من الناس طعاماً لهم على وجه العادة، هي بحق مصدر الفيروسات التي تتحول عن طريق الطفرة؛ كما يدعي بعض الباحثين. لقد استوفت الصين في عالم اليوم نصيبها الكافي من الفطور والبكتريات التي يعاني منها سكانها: فهناك 110 ملايين إنسان مصابون بمرض يرقان الكبد فئة ب وفئة ج

الخطرة، ثم إن البكتريا التي تسبب مرض السل كامنة في أجساد 500 مليون نسمة.

وهناك أيضاً الفكرة القائلة: إن الهند قد تقفز إلى حلبة الصراع وتخطف الكثير من تجارة الصين واندفاعها. لا يوجد أدنى شك من أن هذا اليافع الجديد المصنف في خانة الدول الطامحة للارتقاء تبدو عليه علامات وإشارات تنبئ عن رغبته في أن يصبح قوة اقتصادية عالمية. لكن على الرغم من البَون الذي يفصله عن الصين والمتمثل في التخطيط الدقيق والسليم والقوة العاملة المتعلمة، فإن الصين إضافة إلى ذلك لها أسبقية تقدر بخمسة وعشرين عاماً. في أثناء رحلاتي التي تجاوزت النخبة من مدن الهند الكبيرة شاهدت نشاط الأعمال، أو انعدام الأعمال، وكالعادة: فقر مدقع واكتظاظ سكاني وقصور ذاتي وكسل والافتقار إلى وسائل العمل الأساسية.

وبعيداً عن نظام الهند الطبقي المنغلق على نفسه ونسبة المواليد المرتفعة وغير المنضبطة لدى الفقراء المعوزين الذين لا يملكون قوت يومهم، فإن أقل ما يقال عن اتجاهها نحو تشجيع العمل الحر، هو ما يشوب الإقرار من دون رأس المال والعمل على إزالة القيود من التردد والتضارب. حتى إن شركات مثل كنتاكي Kentucky Fried Chicken وماكدونالدز قد دخلت في دوامة من المتاعب بسبب محاولتها للانتشار السريع. إن جبالاً من المحظورات والإجراءات القضائية المتداخلة كافية وحدها لأن تصيب بالإحباط أكثر المستثمرين اندفاعاً. واستناداً إلى المصرف الدولي فإن

الوقت اللازم لتأسيس عمل في الهند يأخذ وقتاً أكثر مرتين مما يتطلبه مثيله في الصين، وكذلك ما يماثل ضعف الزمن لتسجيل عقار أو لوضع عقد قيد التنفيذ (425 يوماً في الهند مقارنة بـ 241 يوماً في الصين).

وفيما يتعلق بالبنية التحتية، فإنني أعلم أن رحلة مسافتها مئة ميل قد تأخذ يوماً كاملاً من السفر. ولا يزال هناك بالطبع نقص حاد في محطات توليد الطاقة الكهربائية والتسهيلات المريحة في موانئ الشحن. لقد استطاعت شنغهاي وحدها إنجاز شحن واحد وعشرين مليوناً من حاويات الشحن في عام 2005، في حين بلغ الرقم في الهند كلها خمسة ملايين فقط. تعاني المصانع الهندية انقطاعاً في الطاقة الكهربائية بمعدل سبع عشرة مرة كل شهر. وأما الاتصالات، فيكفي من الصعوبة لهجات اللغة العشرين الأساسية المستخدمة في الهند التي اضطرتنا لتغيير هواتفنا النقالة كلما انتقلنا من ولاية لأخرى في الهند. وعندما يصل الأمر إلى تعليم المواطنين فإن الصين تفرض على كل من هو في سن الطفولة أن يتم تعليمه حتى الصف السادس، في حين أن نصف عدد القوة العاملة في الهند لا يتاح لها الوصول إلى مثل هذه الدرجة التعليمية.

وفي كل يوم في عصرنا الحاضر، تطالعنا عناوين الأخبار كيف أن الصين سائرة في طريق بناء التجارة والروابط الدبلوماسية مع بقية أرجاء قارة آسية، وكذلك مع إفريقيَة وأمريكة الجنوبية على المدى الطويل. وكونها قد مرت بأسوأ مرحلة من عملية إعادة بناء هيكلها الهائل، فإن أكبر بلد في العالم، هذا الذي يوجد فيه أكبر عدد من المصانع ويمثّل أكبر سوق، لا يمكن ببساطة أن يقوم بحزم أمتعته ويرحل بعيداً.

أما في الوقت الحاضر فإن الأسئلة الرئيسة التي تفرض نفسها هي التي تتعلق بالحجم والمدى. هل ستقوم الصين بتعويم عملتها بدرجة كافية من الحرية؟ تبدو الإجابة بنعم كما تشير الوقائع، حيث مستويات صرف العملة تتمتع بالراحة باضطراد. وهل سيتسبب ارتفاع قيمة العملة المحلية في كبت الصادرات؟ كيف سيستجيب النظام المصرفي للحضور الأجنبي المتزايد بسبب شروط منظمة التجارة الحرة التي تفرض سياسات انفتاحية؟ هل تستطيع الإصلاحات الضرورية فيما يتعلق بالاستثمار والأسواق المالية أن تأتي بالنتائج المرجوة بالسرعة المطلوبة؟ وماذا يمكن أن يحدث لو تعرضت الاقتصاديات الغربية لتباطؤ خطر أدى بدوره إلى توقف طلبات الشراء الواردة إلى تلك المصانع الصينية التي تدور آلاتها على مدى الساعة.

أولئك المشتغلون في حقل التمويل لهم طريقتهم في جعل الأمور تبدو وكأن العالم قد يصل إلى نهايته الحتمية عقب كل اجتماع يعقده المصرف الاحتياطي الفدرالي. يعتقد بعض المحللين أن الاقتصاد الأمريكي يتجه نحو مرحلة صعبة بسبب ما يشهده من تباطؤ في صناعة البناء، والدين الهائل، وميلان كفة الميزان التجاري لمصلحة الدول الأخرى مما يولد ضغطاً على الأسعار ويدفعها للانخفاض، وهبوط في الدخل والنمو الاقتصادي. يحاجج بعضهم في أن الصين ذاتها تتجه نحو «هبوط قاس» بحكم أن الحكومة هناك تكافح من أجل السيطرة على معدل النمو.

وبينما يعد نمو الصين مستقلاً عن الولايات المتحدة إلى درجة ما، فإن الصلة قد لا تكون قوية كما يسود الاعتقاد. لطالما أثبت سوق الأوراق

المالية في الصين قدرته باستمرار على امتصاص الصدمات التي تحدث في حقب التذبذب المرتفع في سوق الأسهم الأمريكية. لقد ارتفعت سوق الصين بنسبة 38 في المئة أثناء الأزمة المالية التي حلّت بآسية سنة 1997. وفي تاريخ أقرب وبالتحديد سنة 2000، اندفعت الأسعار للأمام بنسبة 49 في المئة بالرغم من أن الأسواق العالمية كانت تعاني وطأة الانهيار الذي كان سببه فقاعة الإنترنت. وتظهر ومضات الإشارة حديثاً أن السوقين يزدادان تقارباً وترابطاً، بسبب زيادة عدد الأفراد ولا سيّما المستثمرين منهم الذين استطاعوا التقاط إشارة الترابط هذه، وهم بدورهم يركزون انتباههم على ما يحصل من وقائع على الطرف الآخر من شاطئ البحيرة الكبيرة. لكن يظل الأمر بوجه رئيس عند حد التأثير النفسي في الثقة والنمو. وبالتعبيرات الاقتصادية الحقيقية لا يصل التأثير إلى درجة كبيرة كما قد يعتقد المرء.

بل إن التأثير يكون بدرجة أقل في المستوى المحلي، بينما ينهمك جيران الصين من الدول الآسيوية في تطوير أنفسهم بطرقهم الخاصة.

ففي اليابان تضاعف عدد المستثمرين ليصل إلى ثلاثين مليوناً أو ربع عدد السكان، وذلك في نهاية عام 2000، بعد أن كان قد بدأ بخمسة ملايين مستثمر في شهر أيلول (سبتمبر) من عام 1950، عندما أحدث مؤشر نيكاي Nikkei 225.

وأما في الولايات المتحدة فقد بلغ عدد الذين يملكون حصصاً سهمية أو استثمارية خمسة وثلاثين مليوناً عام 2000، وهو ما يقرب من نصف

عدد أرباب البيوت وذلك بحسب تقرير صادر عن المجلس الاحتياطي الفدرالي. وبينما نما في الصين عدد حسابات الاستثمار من الصفر إلى خمسة وستين مليوناً في عشر سنين، ويزداد اليوم بوتيرة أسرع، فإن الرقم لا يزال يمثل عشرة في المئة من عدد السكان.

والحقيقة أن الولايات المتحدة ليست العامل المؤثر الوحيد في الصين؛ لأن معظم النمو الحاصل في الصين داخلي ويستمد نشاطه من الطلب الداخلي. نعم، قد تؤثر الاستقراءات في حركة الأسواق. لقد وضع الكثير من المستثمرين في المؤسسات في أذهانهم أن الصين معتمدة على الولايات المتحدة في مختلف الوجوه. فعندما تسير الأمور في الطريق الخاطئ في الولايات المتحدة فإن ذلك يعني تدفق رؤوس الأموال نحو الطرف الآخر من العالم، الأمر الذي يؤدي إلى رفع أسعار الصين وعوائدها. بالإضافة إلى أننا الأمة الأكبر دَيْناً في العالم، والصين هي بالمقابل أكبر دائن. ربما يعطي ما سبق ذكره القارئ نبذة عما يجب الالتفات والانتباه له أكثر من غيره.

عندما تهبط أسعار الأسهم في الولايات المتحدة ولو بكسر بسيط، فإن تأثير هذا الانخفاض ينسحب على كل فرد ليشمل التعويضات وحسابات التوفير، وأسعار العقارات وغيرها. وبالمقابل ليس هذا صحيحاً لو حدث في الصين -ليس الآن وحتى لزمن طويل. بالرغم من ازدياد عدد حسابات المستثمرين لدى السماسرة بواقع 350 ألف حساب كل شهر، مثلما حدث في شهر كانون الثاني (يناير) من عام 2007، أو حتى لو أن كل سائق عربة تسير بدولابين أو زعيم قروي قام بممارسة عمليات المضاربة التي تقوم على شراء الأسهم بدفع هامش من قيمتها وهو ما يدعى أحياناً بلعبة

الهوامش، فإن الصين بلد لديه نسبة عالية من الادخار، وهناك شريحة صغيرة من السكان ممن يعتمدون على محفظتهم الاستثمارية من الأسهم. إن تدهوراً يلحق بسوق الأسهم لن يكون له الأثر البالغ نفسه في رأس المال المخصص للنمو. ومن دون الدخول في التقنيات، لا يزال يتوافر لدى الشركات الصينية أماكن كثيرة تلجأ إليها طلباً للتمويل عوضاً عن سوق الأسهم بما في ذلك الدولة التي تملك الكثير من المال. بالطبع قد يقع شيء من الهوس؛ لأن حمى البيع والشراء جزء من اللعبة، وعلينا التزام الحذر نحوها. إذا بدأت فقاعة في التشكل فعليك الابتعاد والخروج من السوق. لكن منحى النمو في الصين يختلف عن نظيره في الولايات المتحدة، تماماً كما كانت اليابان وألمانيا متباينتين في منحى نموهما بعد الحرب العالمية الثانية. يمكن لمسارات النمو هذه أن يطرأ عليها تباطؤ أو تسارع بسبب الأحداث الخارجية، لكنني لا أعتقد أن نمطها الأساسي سيتغير.

ولو افترضنا أن صبر حكام الصين على «المتمردة» تايوان قد نفد فإن العدد الذي لا يحصى من المستثمرين على هذه الجزيرة أو أي مكان آخر المتنافسين من أجل طريق للصين لن يبرحوا أماكنهم. وإذا ظلت برامج الكمبيوتر غير القانونية وأقراص الليزر المدمجة DVD's محلاً للتداول في كل زاوية من زوايا الطرق في الصين، فإن الشركات الأجنبية لن تهجر مئات الملايين من الزبائن القادرين على شراء النسخ التي يحميها القانون. ولو ثارت التوترات بين أبناء الصين الذين يملكون وأولئك الذين لا يملكون شيئاً أو تفشى فيروس مثل سارز SARS إلى حد أصاب الإنتاج بالشلل، فإن الضرر لابد أن يكون محدوداً ومؤقتاً. ولو تسبب الهوس والولع المفرط

بالسوق بالانفلات فلن يؤثر ذلك بالضرورة في المسار الأساسي المتجه نحو الأعلى. إن كل شيء يشير إلى وجود إدارة أفضل وسياسة حكومية أقل تعرجاً، وأكثر ترابطاً، وأكثر ثقة بالتدفق الحر للمعلومات.

إنه بالطبع نجاح الصين الذي يمثّل التحدي الأكبر. «زيادة في السيولة، وتضخم في الإقراض، وتعاظم في الموجودات، واستثمار زائد عن الحد في الصناعات الثقيلة الخاسرة، وهي كلها عوامل كانت سائدة في التراجع الذي أصاب اليابان في ثمانينيات القرن العشرين» كل ما سبق هي مخاوف سبق وأن عُبّر عنها.

حتى زعماء الصف الأول في الصين وصفوا جهاراً نمو أمتهم بأنه «غير منسق وغير مستقر».

إن الإفراط المتولد عن قلة الصبر والطمع هو بالتأكيد الأخير ولكن ليس الأقل من ضمن المخاوف الرئيسة للبلد. ويمكن القطع بأن الازدهار الذي سيطر على سوق الأسهم بدءاً من عام 2005، قد تحوّل إلى فقاعة أولية. في غمرة الانهماك في كتابة هذا الكتاب، استيقظ الصينيون العاديون على وقع الحقيقة ذاتها عن القيمة الكامنة في سوق الأوراق المالية لديهم التي كنت أحاول الإفصاح عنها. وعندما يبدأ المرء بقراءة أخبار عن سائقي سيارات الأجرة الذين يرهنون سياراتهم لكي يوظفوا مدخرات حياتهم في مضاربات حامية، أو البائعين الذين يعملون في الدكاكين ويستدينون من رفاقهم نقوداً للقيام بلعبة سريعة، فإن هذا هو الوقت الذي ينبغي فيه توخي الحذر والاحتراس. تاريخياً، ليس هناك جانب علوي للهيستيريا. بالإضافة إلى ذلك فإن أي اتجاه للهبوط سيتفاقم بسبب متاعب «المكاتب

الخلفية» كالأخطاء والتأخيرات التي تسببها أمواج المستثمرين في تلك المضاربات. لقد أدى هوس السوق تاريخياً إلى المتاعب وحالات الفشل عندما تنوء أنظمة الحسابات، وتسديد الدفعات، والصفقات تحت وطأة سيل جارف من التعاملات. لذلك يمكن للمرء الانتظار إذا ظهر أن الصين تسير نحو مرحلة مريرة ومؤلمة، وعندما تكون هناك تصحيحات في السوق فهذا هو وقت دخوله. وإذا كنت لا تستطيع الشراء عندما يكون السوق غير مشجع أو كئيباً، فعندها على الأقل يمكن البحث عن استثمارات متينة ترتفع باستمرار بدلاً من التسديد نحو السماء مثل المفرقعات النارية الصينية الصنع.

مهما تكن المخاطر، فإن ما سبق ذكره واضح جداً، فالأمر ينطوي على مخافة فيما لو وضعت كل مدخراتك في سوق الأسهم الأمريكية أكثر من توظيف جزء منها في الصين سواء كان الاستثمار في مجالات النمو في الصين أو نوعاً من الوقاية لمواجهة أي تراجع مفترض في الاقتصاد الأمريكي.

تُعدُّ الصين الآن سوقاً مالياً مرعباً في حد ذاته. وسيكون هناك فرص هائلة، بغض النظر مما قد يقع من أحداث على الطرف الآخر من العالم. وستتاح الفرصة أمام المستثمرين المحنكين لكي يضعوا ثقتهم على محك الاختبار عند تعرضها للعوائق المتكررة وغيوم الأزمات التي تلقي بظلالها على الأسواق من حين لآخر. وإذا كنت أيها القارئ مقتنعاً مثلي بالصين الواعدة، فإنك ستستثمر عندما يؤدي الذعر إلى تهاوي الأسعار، وبذلك تحقق لنفسك عوائد على المدى الطويل.

3

الشركات: لندع آلاف العلامات التجارية تزهر وتثمر

إن أي سوق مالية لا يمكن أن تكون واعدة إلا بقدر ما تكون الشركات المدرجة فيها واعدة أيضاً. إن هذا صحيح في شنغهاي أو فرانكفورت. إن إيماني بأسواق الصين ينبع من الشركات القوية في هذا البلد التي لا يحصى عددها، والتي تنبّهت لتوّها إلى إمكانياتها غير المحدودة.

في الصين، لا يستعمل تعبير «بطل قومي» للإشارة فقط إلى فرق الرياضة التي تحقق الفوز؛ إنه علامة مستخدمة من قبل الحكومة لدفع وتكريم الشركات النامية محلياً التي تملك القدرة على دخول مضمار المنافسة العالمية وأن ترسخ بصمة شعار صيني على نطاق عالمي. إنه مثل ميدالية الشرف لأصحاب الريادة. واليوم، لا شك أن كثيراً من الناس قد سمعوا بـ هاير Haier وهي رابع أكبر منتج للأجهزة المنزلية، وكذلك تسينغ تاو Tsingtao لصنع الجعة (مملوكة جزئياً من قبل آن هيوزر - بوش Anheuser - Busch)، أو لينوفو Lenovo مصنعة الكمبيوتر الصيني) التي امتلكت أحد خطوط تصنيع آي بي إم IBM للحواسيب الشخصية، وأيضاً نانجينغ للسيارات التي بدأت بتجميع سيارات إم جي MG الرياضية العريقة في الصين بعدما انتزعت علامة روفر التجارية الإنكليزية.

لكن تلك المنشآت المعروفة هي كتلة صغيرة للغاية مما يمكن أن نطلق عليه جبلاً جليدياً من الأرباح. منذ الآن فصاعداً، سيدفع الطلب الداخلي المتنامي بسرعة في الصين الأرباح نحو الصعود وكذلك أسعار الأسهم. إن ما يزيد عن البليون نسمة من البشر، على ما هو جلّي الآن، هم بحاجة إلى الكثير من الشركات لتصنيع وبيع مكونات المجتمع الحديث بكفاية تزداد باستمرار وبحجم لم يشهده العالم من قبل. هذا يعني أن جنرال إلكتريك الصينية، وأوراكل Oracle الصينية، وجونسون وجونسون الصينية، وسوني Sony الصينية كلها موجودة هناك وجاهزة لتكون من نصيب كل من يكتشفها. وقد يكون مجرد وقت لكي نرى اللغة الصينية مكتوبة على علب وصناديق البضائع.

طلب علامات تجارية جديدة

عندما يتم التفكير في حاجيات المنازل من مواد البقالة، لعل المرء لا يلحظ عبارة LIANHUA على الكيس الذي تعبأ فيه المشتريات سواء كان مصنعاً من الورق أو البلاستيك. لكن عندما ينسحب الأمر على أنواع البضائع داخل أسواق الصين المركزية فإن هذه العلامة التجارية لها من الزبائن ما يفوق خصومها الأجانب المعروفين مثل وول-مارت Wal-Mart وكارفور Carre Four. وابتداءً بمتجر واحد في شنغهاي فإن آخر إحصاء لعدد المتاجر تحت هذا الاسم قد بلغ 3716 متجراً يبيع مختلف أصناف البقالة، وهناك محال التجزئة الصغيرة باسم «Quik» التي تتزايد بمقدار أربع مئة متجر جديد كل سنة. إن أسهم هذه المنشأة مدرجة في بورصة هونغ كونغ منذ إصدارها الأولي سنة 2003، وهي مملوكة من قبل

مجموعة باي ليان Bailian Group التي تعدُّ أكبر تاجر للتجزئة في الصين وتزاول نشاطها في إحدى وعشرين مقاطعة. (والجدير بالذكر أن الصين مقسمة إلى اثنتين وعشرين مقاطعة -وتُحتسب تايوان المقاطعة الثالثة والعشرين- ويضاف لهذه المقاطعات مناطق ذات استقلال ذاتي مثل منغوليا الداخلية، وأربع بلديات ومنطقتان ذواتا إدارة خاصة هما هونغ كونغ وجزيرة مكاو).

تجتهد ليان التي يعمل لديها سبعة وأربعون موظفاً لكي تظل متقدمة على منافسيها الأجانب، ولها دور في وضع معايير لسلاسل محالّ المواد الغذائية. وهي لا تزال تحصد الجوائز من هيئات محال التجزئة لسجلها المتميز في مجال منح امتيازات العلامات التجارية في الصين. ولقد بدأت في تشغيل منافذ بيع خاصة بها في أوروبة. وعندما سيحل موعد افتتاح الألعاب الأولمبية في بيكين فإن الشركة ترمي إلى امتلاك ثمانية آلاف منفذ بيع -في بلد كان فيه، إلى وقت قريب جداً وبالتحديد عام 1999، متجراً واحداً (وأكرر القول واحداً فقط) يستحق أن يدعى سوقاً مركزياً.

واليوم فإن المنشأة الرئيسة في الصين لا توفر فقط اقتطاعات على بضائعها للأمم في الغرب ولكنها ماضية في تشريع الخدمة داخل البلاد لمن يخصونها من المستهلكين. وبحسب تقديرات مكتب الولايات المتحدة لإحصاء العمالة فإن القوة العاملة في الصين التي يبلغ تعدادها ثماني مئة مليون من البشر تتقاضى معدل أجر قدره 0.64 من الدولار في عام 2004، مقارنة بـ 21.11 دولاراً أمريكةً يكسبه نظراؤها في الولايات المتحدة. ومنذ

ذلك الحين رفعت تسع وعشرون مقاطعة من أصل إحدى وثلاثين سقف الحد الأدنى للأجور. لكن الشريحة الأعلى من هذه القوة العاملة لا تزال تعمل من أجل دخل يبلغ 105 دولارات في الشهر. إن تلك الأجور ستستمر في إعطاء المنشآت الصينية تفوقاً هائلاً في رخص الأسعار على المستوى الدولي. لكن الطلب المزدهر والعرض المحدود جعل العمالة غير الماهرة أكثر كلفة في المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية -مما دفع دور الأعمال (بما في ذلك جنرال موتورز، فورد، هوندا، موتورولا، وإنتل) لكي تتجه نحو الغرب أكثر فأكثر. وهذا يعني قوة شرائية أكبر لكل شريحة من السكان كلما اتجهت سلسلة العمالة نحو الأعلى.

ترتفع الأسعار في المدن وتزداد الرغبة في طلب العيش الرغيد بسرعة. ويزداد الإغراء أمام العمال ذوي الياقات البيضاء الذين يسكنون في المدن. إن الهم الأكبر لمعظم المنشآت هو الحفاظ على الموظفين المتعلمين حتى لا يذهبوا بعيداً وراء عروض أفضل للعمل. ويحاجج بعض المحللين الذين يعرِّفون «الطبقة الوسطى» بأنها هي التي يبلغ دخل الفرد السنوي فيها 1200 دولار كقوة شرائية، حيث إن الصين يوجد فيها 470 مليوناً يصنفون في خانة الطبقة الوسطى وهو رقم أعلى من عدد السكان في الولايات المتحدة. وبينما يتجه محللون آخرون يتَّسمون بالتحفّظ إلى تقدير العدد ما بين 70 إلى 150 مليوناً، فإن الحكومة تضع هذا العدد قريباً من 250 مليوناً، أو 19 في المئة من السكان، وهم الذين يستطيعون امتلاك سيارة وشقة صغيرة على الأقل. لكن ليس هناك من شك في أن هذا العدد ينمو باضطراد.

ومن جانب آخر، فإن الخبرة المكتسبة من وراء الشركات الأجنبية على مدى عقدين من الزمان قد ساعدت المنشآت الصينية على تحقيق قفزات طويلة وضعتها في المقدمة بين المنافسين. ومع تهافت الشركات الخارجية للدخول إلى السوق الأكبر في العالم، استطاع الشركاء المحليون أن يزيدوا من الطاقة الإنتاجية والملكية الفكرية. حيث إن مصاريف التطوير والبحث بقيت محدودة بالمقاييس العالمية، وإن الحكومة الصينية قد شجعت بحكمة الاستثمارات الخارجية لكي تذهب إلى الحلقة الأضعف من القطاعات الاقتصادية، وذلك عاد بالفائدة على الشركات المحلية. في السنوات القليلة الماضية عندما تهيأت الصين للمنافسة الحادة الخارجية التي تعيّن عليها السماح بها بحسب عضويتها في منظمة التجارة العالمية، دخلت أربعة من أصل خمسة مصارف رئيسة في شراكات إستراتيجية. وقامت هذه المصارف ببيع الحد الأقصى المسموح به من حصتها وهو 20 في المئة إلى منشآت متخصصة مثل مصرف أمريكة Bank Of America لتتمكن من تطبيق إجراءات الإدارة الحديثة. والآن، تقوم المصارف الصينية أيضاً بتلميع صورتها عبر تقديم طائفة عريضة من الخدمات المالية. بالطبع ستجني فولسفاكن الأرباح على المدى القصير في سوق الصين، ولكن حليفتها المحلية شنغهاي أوتوموتيف ستكون هي المستفيد على المدى الطويل.

إن الصين اليوم تنأى بنفسها بعيداً عن صناعة الحقائب المقلدة وكراسي الأطفال، وعن صادراتها التقليدية مثل المنتجات النسيجية والألعاب، وتتوجه نحو منتجات محددة ذات قيمة أعلى كقطع السيارات.

ويظهر أحد المؤشرات كيف أن صادرات الصين التي تركز على التقانة قد تضاعفت مرتين في أثناء عقد من الزمان ما بين سنة 1993، وسنة 2004. ولا يغرب عن الذهن ما حدث في اليابان -وهي لا تزال النموذج المحتذى للتطور من قبل الاقتصاديات الآسيوية (بالرغم من أن القليل من الصينيين يقرون بهذا السبق لخصومهم القدامى). حتى أوائل سبعينيات القرن العشرين كانت المنتجات المهورة «صنع في اليابان» مثاراً للسخرية ويعد من يشتريها كمن علق في ورطة واضحة. ولنتذكر وحوش الغودزيلا التي كانت تبدو وكأنها خيطت من بقايا الدمى البالية. إن الظروف المحيطة بالصين هي ذاتها نسخة مكررة مما كانت عليه اليابان بالأمس القريب: الابتكار المترافق مع أخلاق العمل، وتوفير نسبة عالية من الدخل، وشركات ضخمة وثيقة الصلة بمصالح الحكومة، لكن الصين أكبر من اليابان بخمس وعشرين مرة، ولديها دافع متعطش للتقدم، وعندها المبادرة التي ربما فقدتها اليابان.

لقد بدأت مجموعة هاير Haier العمل بالسير على خيط رفيع عندما تحولت من منشأة حكومية فاشلة إلى رابع أكبر مصنع للسلع البيضاء (ثلاجات، غسالات،...إلخ) في العالم، وتقوم بإشهار تقويمها لكل واحد من عمالها البالغ عددهم خمسين ألفاً، وتحشر أصحاب الدرجات الدنيا منهم في الزاوية. وتروي أحداث فيلم سينمائي ذائع الصيت، صمم بغرض الدعاية قصة استبدالٍ بالميليشيا الشيوعية التي كانت ترمز إلى البطولة رائداً اقتصادياً يمتلك رؤية مستقبلية تقدمية، وفي حالة الشركة هو الإنسان الذي أسس شركة هاير؛ الأسطورة زانغ ريومين Zhang Ruimin. يذهب هذا الريادي الشاب إلى ألمانيا لدراسة إنتاج الجودة، وبعد ذلك

ينتج الذين يعملون لديه بفخر دفعتهم الأولى من الثلاجات، فيأمرهم بإتلاف كل قطعة وتحطيمها إلى أجزاء بواساطة المطارق، ويطلب من العمال أن يعيدوا ثانية بناء ما دمَّروه ولكن من دون أي عيوب.

إن مشكلات هاير الآن هي كيف يمكن لها التحكم في نموها الهائل. في السنوات القليلة الماضية قامت الشركة ببناء ستة مصانع وأوجدت لنفسها كياناً في الولايات المتحدة، والشرق الأوسط، وإفريقيّة، وروسيا. لقد نما دخل الشركة الخارجي بنسبة 51 في المئة عام 2005، محققاً 31 في المئة من إجمالي إيراداتها. لكن الشركة عانت انخفاضاً في الربحية في السنوات القليلة الماضية يعزى جزئياً إلى ثمن التوسع الخارجي والمنافسة الداخلية المستطيرة. وبالرغم من أن حصتها في السوق الداخلي هي 30 في المئة إلا أنها كسائر الشركات الصينية الكبرى لا تستطيع أن تعد نموها في السوق الداخلي أمراً مضموناً على الدوام.

أينما كان، يعمل المديرون التنفيذيون الصينيون ساعات طويلة ويبذلون أقصى الجهد في بلد يعدُّ العمل الشاق ديناً له والعمل ستة أيام في الأسبوع أمراً اعتيادياً. إنهم يملكون المعرفة اللازمة والعلاقات التي تتمخض عن إنتاج أكبر بكلفة أرخص. لقد تعلموا جيداً دروس البدايات وخلق رأس المال في العالم أجمع ويجتهد أولادهم الآن للحصول على شهادات ماجستير الأعمال. اليوم، نرى أن جميع مديري المصانع الذين تلقّوا تدريباتهم على النمط الغربي يقومون بالتوسع على طريقتهم وينتجون بالطريقة التي تحقق مصالحهم.

ملفات جيمس الصينية: أسماء مألوفة في هانغ زهاو

شركة التأمين على الحياة الصينية محدودة المسؤولية

China Life Insurance Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة A، هونغ كونغ: أسهم فئة H

SHA: 601628, A–Shares; HKG: 2628, H–Shares;

بورصة نيويورك: فئات متعددة NYSE: LFC, ADR; OTC: CILJF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 177.6 في المئة، ارتفاع الإيرادات 91.8 في المئة

واحدة من الرموز الضخمة في حقل يتسم بالتوسع المتسارع (30 في المئة سنوياً منذ عام 1996). مع أفول النظام الاشتراكي «قدر معدني صغير من الأرز»، أصبح من الواجب على الأسر أن تبني بنفسها مظلات الحماية الخاصة بها. وهذا بدوره أدى إلى نشوء طلب ضخم إن لم نقل بالضبط غير متوقع على كل أنماط التأمين، سواءً الصحي، أو التأمين على الحياة، أو برامج التقاعد. وفي خضم سوق يتوقع له قريباً أن يتجاوز عتبة المئة بليون دولار هناك ثلاثة لاعبين رئيسين يمسكون بالخيوط التي تحرك السوق وهم تشاينا لايف China Life، تشاينا بينغ China Ping، وسيرد ذكرهم لاحقاً، والأصغر ضمن المجموعة تشاينا باسيفيك للتأمين China Pacific Insurance، وسيرد ذكرهم لاحقاً علماً بأن حصة الأولى من السوق تبلغ 43 في المئة ولديها ستة وسبعون ألفاً من العاملين وفق آخر المعلومات المتوافرة. وفي حين تواجه المصارف الصينية منافسة متزايدة من أقرانها المحليين والأجانب الذين سمح لهم بالدخول إلى سوق الادخار المحلي بموجب مواد اتفاقية التجارة الحرة WTO، فإن المشتغلين بالتأمين لا يتعرضون حالياً لمثل هذا التهديد المباشر (بالرغم من أن المصارف المحلية قد تُبْرِز تدريجياً عروضاً تتضمن خدمات تأمينية).

تشاينا شينهوا للطاقة المحدودة .China Shenhua Energy Co., Ltd

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة H، من فوق المنصة

HKG: 1088, H-shares; OTC: CUAEF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 92 في المئة. ارتفاع الإيرادات 63.6 في المئة

إن تعاظم قوة الصين العالمية يتلقى التغذية من ازدياد حاجتها للطاقة (كوقود الطاقة). بينما يركز كثير من المستثمرين على شركات النفط، فإن الصين لا تزال تعوّل على الفحم الحجري لتوفير 70 في المئة من قدرتها الكهربائية. تقوم شينهوا بتشغيل أفضل منجم للفحم في الصين، ولها أنشطة أخرى كثيرة. فهي تملك خط سكة الحديد الذي يربط ما بين المناجم في مقاطعة شانزي Shaanxi ومنغوليا الداخلية بشركتها التي تملك ميناءً بحرياً. كما قامت شينهوا أيضاً ببناء محطات للطاقة على طول خط سكة الحديد التي تملكها -وعددها تسع- واستثمرت 1.58 بليون دولار في عملية تحويل الفحم إلى نفط.

شركة شنغهاي للإطارات والمطاط، المحدودة

بورصة شنغهاي: أسهم فئة A، فئة B (مدرجة باسم دبل كوين هولدينغ)

SHA: 600623, A-shares; 900909, B-shares (Double Coin Holdings)

من فوق المنصة OTC: SIRBY, SIRBF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 24.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 34.5 في المئة

بالرغم من أن شهرتها لا تضاهي شهرة غودبير Goodyear لكنها استمتعت بسنوات جيدة للغاية. تحتل المرتبة الخامسة عشرة في تصنيع الإطارات عالمياً وتسيطر على السوق الداخلي عبر علامتين تجاريتين

هما Double Coin وWarrior (المحارب). لقد بدأت تشتهر عالمياً عبر تصنيعها للإطارات ذات المقاسات الكبيرة المستعملة في سيارات الشحن والقاطرات الرأسية. تألفت الشركة عام 1990، من تكتل احتكاري مملوك للدولة، وبعد عقد من الزمان انطلقت الشركة بعدما صنفت الحكومة إطارات الحمولة من ضمن المنتجات ذات التقنية العالية والمستفيدة من بعض الإلغاءات الضريبية. ثم مضت الشركة في إقامة شراكة مع ميشلان -لكن الآن تدخل الشركتان في منافسة ضارية. وكما أعلن أحد مديري ميشلان أن «الصين ستصبح مسرح المعركة التي ستدور رحاها حول سوق الإطارات».

شركة ألمنيوم الصين المحدودة (شالكو)

Aluminum Corp. of China Ltd. (Chalco)

بورصة شنغهاي: أسهم فئة A، بورصة هونغ كونغ، بورصة نيويورك

SHA: 601600, A – shares; HKG: 2600; NYSE: ACH,ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 86.7 في المئة. ارتفاع الإيرادات 88.8 في المئة

تعد أكبر منتج للألمنيوم الخام في العالم في أسرع سوق للألمنيوم، وهي اليوم ركيزة مجموعة تتألف من شركات أصغر حجماً لإنتاج الألمنيوم. تأسست عام 1999 على أنقاض منشآت كانت تابعة للدولة، وتأثرت شالكو سلباً بعض الشيء بسبب انخفاض الأسعار الناتج عن الزيادة في الإنتاج. وهناك تقارير تفيد أن هذا المصنع للألمنيوم الذي يأتي ثابتاً من حيث الحجم في الترتيب العالمي يخطط لاستحواذات جريئة ربما تتضمن عرضاً لشراء ألكو Alcoa. وبينما تم بناء بعض المصانع الجديدة في الصين فقد

أُغلقت غيرها بسبب ارتفاع تكاليف الكهرباء. لكن الطلب العالمي على هذه السلعة في العالم لا يزال يشهد نمواً مضطرداً.

شركة واوي للتقانة المحدودة Huawei Technologies Co., Ltd.

غير مدرجة ولكن تخطط لإصدارات أولية في بورصة هونغ كونغ

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع في الإيرادات حتى 166.7 في المئة. لا توجد معلومات عن الأرباح.

ألم تسمع من قبل بهذا الاسم؟ إن هذه الشركة العملاقة المملوكة للقطاع الخاص التي تعمل في مجال تجهيزات الاتصالات الهاتفية، استُحدثت من قبل ضابط سابق في الجيش الصيني، وتبيع منتجاتها في أكثر من مئة قطر حول العالم، ولها وجود قوي في الشرق الأوسط ومراكز للأبحاث في الهند، وروسيا، والسويد، والولايات المتحدة. إذا عدنا للماضي في عام 2000 قامت سيسكو Cisco بإقامة دعوى قضائية ضد واوي متهمة إياها بتقليد براءة اختراع قطعة من قطع تجهيزات الاتصال الهاتفي. وتم تسوية القضية خارج جدران المحكمة. تطورت واوي اليوم وذهبت إلى أبعد من أن تكون مقلدة لمنتجات غيرها، وتتسم منتجاتها اليوم بكونها تحفة فنية، وتدعي الشركة اليوم باعتزاز أن 48 من قوتها العاملة تنخرط في حقل الأبحاث والتطوير.

العروش الديناميكية

إن ظهور الصين على خشبة المسرح العالمي لا يمكن أن يأخذ أحداً بالدَّهَش. فإذا كانت شركات الصين الجديدة تظهر ثقة واندفاعاً مدهشين، فإن ذلك ربما يعزى إلى الاحتياطي الهائل من الخبرة في

عالم التجارة والابتكار الراسخ في الصين. بإمكانك القول إنّه: عندما يتم الحديث عن الأعمال فلا يوجد مكان على وجه البسيطة لديه سجل حافل وطويل أكثر من الصين. فيما يتعلق بمبدأ الخلود، يبدو أن الشعب الصيني مدفوع برغبة متينة مغزاها التوكيد، كما يذهب أحد الأمثال الصينية للقول: «كل جيل سيكون أعظم من الذي سبقه».

كلما أمضيتُ وقتاً مع أهل الصين، سواءً كانوا من الاقتصاديين الرائعين، أو البائعين المتواضعين، أسمعهم يشيرون باستمرار إلى النماذج التي سادت في المجالس القديمة، والدروس المستقاة من الشعراء القدماء، وقصص الحذر المروية عن الإستراتيجيات العسكرية التي تعود إلى غابر الزمان. فبالرغم من التوجه السريع في طريق المستقبل الذي تخطو فيه الصين، فإن الماضي في نظرها لا يزال حياً في الوجدان. إن معظم هذا الماضي الذي سادت فيه المملكة الوسطى كما يحلو للصين أن تدعو نفسها، كانت هذه المملكة مركزاً للإبداع والتجارة في وسط أكثر الحضارات المتقدمة من حولها.

وحتى في القرن السادس عشر، عندما أمسك المستكشفون الأوروبيون زمام المبادرة في رحلاتهم المغامرة باتجاه العالم الجديد، انتهى مصير نصف كمية الفضة التي عثر عليها في أمريكة إلى أن ينتهي به المطاف إلى الصين؛ وذلك سداداً للمستحقات التجارية. وكان الاستثناء فقط هو القرنين الماضيين اللذَيْن أُطلقت فيهما صفة «الرجل المريض» في الشرق على صورة الصين. وكمامثّل عدد سكان الصين ثلث البشر في العالم فقد

كان اقتصادها يحتل المرتبة الرابعة عالمياً وعلى قمة الاقتصاديات لنحو زمن قارب ثلث التاريخ البشري.

بصفتي من الزائرين، وقع بصري لأول وهلة على طاقة الصين الإنتاجية خارج حدود العاصمة التليدة زيان Xi'an التي كانت يوماً ما أكبر مدينة على وجه الأرض وعند موقع يدعى بالمحاربين المصنوعين من الصلصال البرتقالي. في هذا المكان يشاهد السائحون أشكالاً فخارية يعود صنعها إلى ثمانية آلاف من السنين؛ تمثل جيشاً هائلاً ينتشر على مساحة ستة عشر ألف قدم مربع، وأخذ من الوقت لصنعه ثمانياً وثلاثين سنة في القرن الثاني قبل الميلاد، وكان الغرض منه حماية الإمبراطور الأول كين Qin حتى عند مماته. وإذا أردنا الحديث عن أول خط تجميع في العالم! شاءت الأقدار أن ترتطم قدما مزارعٍ بأجزاء من الضريح عام 1974، ولا تزال أجزاء منه بانتظار الاكتشاف، ولا يزال علماء الآثار ينقبون عن مكتشفات أخرى. مثل تاج محل في الهند لا يوجد وصف أو صورة يمهد للإعجاب بهذه الإنجازات البشرية الفائقة الروعة، وينطبق الأمر ذاته على التاريخ الصيني وما يحمل في طياته من مفاجآت.

يسدل رجلٌ بيكيني ظلاً طويلاً. قد لا تكون الصين أقدم حضارة على الأرض، ولكن هناك ادعاء وجيه بأنها ربما كانت الأقدم التي لا تزال مستمرة. هناك سجلات عن الحضارات في نهر السند وحوض النيل التي قد تفوق في القدم ما كان سائداً على ضفاف النهر الأصفر، لكن الدليل على زراعة الرز والفن الصيني يعود إلى الوراء نحواً من سبعة آلاف

سنة. ليس بمقدور أي إنسان في العصر الراهن أن يستخدم الأبجدية الهيروغليفية، أو التحدث باللاتينية، بيد أن لغة الصين المكتوبة تطورت منذ ذلك الزمن ولا تزال مفهومة. لكن عندما يدّعي الصينيون أن أمتهم لها جذور ضاربة منذ خمسة آلاف سنة فإنهم ربما يبالغون بعض الشيء. يرجع معظم علماء الآثار تاريخ قدم الممالك الصينية إلى ما يربو على أربعة آلاف سنة مضت.

في الوقت الذي جاهدت فيه كليوباترا للاحتفاظ بسيطرتها على مصر بوساطة علاقة متينة مع يوليوس قيصر، الذي أضحى فيما بعد أول إمبراطور لروما، كانت الصين وقتها موحدة لزمن بعيد تحت ظل عرش هان بين (206 قبل الميلاد و220 ميلادية). وكانت هناك مبادلات تجارية للصين مع الغرب، حتى إن كليوباترا كانت تضم ضمن مقتنياتها النفيسة عباءات حريرية من الصين. في ذروة عهد الدولتين الرومانية والصينية كانت مساحة الأراضي الخاضعة لحكمها متماثلة تقريباً. لكن الفرق بينهما أن أتباع الدولة الرومانية كانوا شعوباً متباعدة، بينما كان الخاضعون للدولة الصينية صينيين في معظمهم؛ مما مكّن الأسرة الحاكمة أن تبقى مدة أربع مئة عام فرضت في أثنائها نظاماً موحداً لكتابة اللغة، وتبنّت قواعد السلوك الاجتماعي المبني على الأخلاقيات والتعاليم التي نادى بها حكيم الصين كونفوشيوس Con fucius، بوصفها القواعد الأساسية لبناء دولة عادلة.

بينما كانت أوروبة غارقة فيما يدعى بالعصور المظلمة، عندما كانت العلوم والتعليم الأساسي أمرين مرفوضين لمصلحة التعاليم الدينية

الضيقة الأفق، تابعت الصين التطوير والابتكار في أثناء ثلاث حقب ذهبية: تانغ 618 – 907 (Tang) ميلادية، سونغ 960 – 1279 (Song)، وان (1279 – 1368 Yuan). وبالإمكان القول: إنه عندما كان العالم الغربي لا يزال عالقاً في المدرسة الابتدائية فإن الصين تخرجت في الجامعة.

يعتقد بعض المؤرخين أن عهد أسرة تانغ كان الأعظم في تاريخ الحضارة البشرية. في ذروة عزها كانت الصين دون أدنى شك أغنى مكان على وجه البسيطة وأكثر «تحضُّراً». كانت جميع الطرق تقود إلى تشانغان Changan (اليوم زيان) التي لم تكن العاصمة فحسب، ولكن أكثر مدينة مأهولة بالسكان على وجه الأرض، وأَعْملَ نمط خط التانغ والفلسفة والتفكير السياسي أثرهم في اليابان، وكوريا، ووسط آسية. وتظهر السجلات التاريخية للطبقات الاجتماعية الرفيعة في عهد التانغ مظاهر ثراء في أسلوب الحياة. كانت النساء تملكْنَ حق الطلاق والملكية العقارية. اختُرِع أثناء ذاك العهد الورق والمقتنيات المنقولة كالأثاث. وشهد عهد السونغ أيضاً ازدهار الأدب وصناعة البورسلين. وكان عهد أسرة وان الذي أسسه المحارب المغولي العظيم قوبلاي خان Kublai Khan أول من أصدر العملة الورقية، وأدهش الرحالة مثل ماركو بولو بثروته الطائلة من السلع والمتاجر والأسواق والمنشآت. لقد حكم العرش بكل كفاءة وبراعة وكان يقال في تلك الحقبة من عهد أسرة وان: «إن بإمكان خادمة أن تتجول بأمان وسط الناس وهي متزينة بحلية كبيرة من الذهب في عنقها».

امتد حكم أسرة مينغ Ming من عام 1368 إلى 1644، وتصادف زمنها مع عصر الاكتشافات الأوربية. وفي حقيقة الأمر، إن السفن الشراعية

الصينية التي كانت تجوب البحار في أثناء هذا العصر فاقت أربع مرات من حيث الحجم السفن التي استخدمها كولومبوس، وكانت تستخدم بُوصلات فائقة في الدقة (وهي إبداع صيني آخر). لقد سبقت السفن الصينية غيرها من السفن الأوروبية في استكشاف ساحل إفريقية بنحو قرن من الزمان، ويدعي بعضهم أن هذه السفن قد وصلت في جولاتها إلى الأمريكيتين. لكنّ الصينيين أتوا وذهبوا دون أن يحتلوا أي أراضٍ، وبسرعة نأوا بأنفسهم لاحقاً عن أي تواصل وانطووا على أنفسهم في مدة من العزلة.

وفي الوقت الذي وصل فيه البريطانيون، لم يكن لدى الصين ما تعطيه سوى كنوزها، وتتنازل عن أراضيها، ولتعاني أخيراً الانتشار الواسع في تعاطي الأفيون. وبينما كان الغرب منهمكاً في اختراع المحركات من أجل توفير قوة دافعة لثورته الصناعية، كان عرش كينغ يتلاشى تدريجياً حتى سقوطه عام 1911. لطالما تمنى الطلاب والمثقفون أن تعود الصين إلى عصر الحداثة وتسترشد بالتقدم العلمي والقيم الإنسانية. لكن فيما يتعلق بالصين حتى «تنهض من غفوتها» أخيراً فقد يستغرق الأمر قرناً من الزمان مضطرباً كما سبق وحذر نابوليون- من أمراء الحرب إلى الغزو الياباني، ومن ثمّ إلى الحرب الأهلية التي حطت أوزارها عام 1949 بانتصار الشيوعيين: كل ذلك أسهم بطريقة أو بأخرى في التسبب بالأذى لمناخ الاستثمار.

حتى الآن لا تزال الأحكام الصادرة حول أداء زعيم الثورة الصينية ماوتسي تونغ مسيّرة بالعواطف أكثر من الحقائق. لا ينكر أحد حتى

زعيم الحزب الشيوعي قيام ماو بارتكاب «أخطاء» جسيمة؛ لقد تسرّع في عملية التصنيع عندما أمر الفلاحين بإذابة أدوات الطعام الخاصة بهم كالشوكة والملعقة للحصول على الصلب –ثم إنه فرّط في أفضل العقول في البلاد وأكثرها استنارة عندما أجبر أصحابها على ترك المدارس والانخراط في معسكرات العمل. لقد تركت المغامرات الكثيرة المتذبذبة وحملات التطهير للزعيم المراوغ وإدارته الفردية غير المقنعة، فملايين البشر يتضوّرون جوعاً ويعانون الاضطهاد –وأشرف بالبلاد على حافة الإفلاس بالرغم من عقود من الزمان بذلت في بناء المصانع. لكن قد يحاجج أحد في أن نظام الحزب الشيوعي الصيني قد هيأ المسرح لتطور متأخر بتشجيعه العلوم الحديثة، وهناك من يقول: إنه في الوقت الذي أسس فيه ماو وجماعته نظاماً فرض إرادة جماعية وطاعة عمياء ارتفعت فوق المبادرات الشخصية، فقد حررت الجمهورية الشعبية بغفلة منها أو بعدمها عامةَ الشعب من الأنماط القديمة للمصير المحتوم واستغلال النزاعات. ودونما أي قصد، أعطى هذا التفكير الجديد الذي غُرس في العقول الناسَ الثقةَ التي مكنتهم من الازدهار في ظل نظام اقتصادي يعتمد على السوق وهو الذي أدى بدوره إلى النهضة الهائلة التي تشهدها الصين في يومنا هذا.

إلى ما قبل عام 1949، عمد الصينيون إلى إدارة مصانع الصلب ومناجم الفحم. وبالشراكة مع أهل بلادهم الذين سافروا وراء البحار تمكنوا من تأسيس واحدة من أكثر الشبكات نشاطاً في مجال الاستيراد والتصدير. ولم تتوقف حماستهم المفرطة لممارسة التجارة كثيراً عبر أربعين عاماً من النظام الاشتراكي الذي كان بمنزلة متنفس لهم.

ولما أصبحت الصين قوية ومترابطة، صارت عريضة القاعدة فيما يدعى بـ «الصين العظيمة»، وهي الحقيقة التي لا يعلمها سوى قليل من الأمريكيين. في البداية كانت هناك تايوان وهي ثاني أكبر مسهم لتدفق الاستثمارات الخارجية المباشرة، وتأتي ثانية بعد هونغ كونغ. ومنذ أن رفعت الحكومة التايوانية القيود على الاستثمار في الجمهورية الشعبية في عام 2001، تدفق آلاف التايوانيين من رجال الأعمال إلى البر الصيني ليستفيدوا من رخص تكاليف الإنتاج.

ولم تكن عودة هونغ كونغ إلى الصين عام 1997 أمراً رمزياً فقط: فبحلول عام 2001، كان حجم الاستثمارات التي كان مصدرها هونغ كونغ يقارب 175 بليون دولار أمريكي. ولم تعد أعمال المصارف والخبرات الاستثمارية لتقدر بثمن على أرض هونغ كونغ التي بنيت من قبل أهل شنغهاي الذين هربوا ذات يوم من قبضة النظام الشيوعي. حتى سنغافورة البعيدة وهي معقل صيني فائق القوة كان لها علاقات حميمة ومثمرة مع البر الصيني.

ولا يزال هناك حليف الصين الأكبر، وهو أمة ليس لها حدود تدعى في الصين بـ «إخواننا المواطنون في المهجر»، وهم جيل عملاق مما يعرف بالصينيين في الشتات والذين انحدروا من عصر كانت فيه الصين بلداً فقيراً يحلم أهله بالفرار منه؛ هناك ما يقدر بخمسة وستين مليوناً من العرق الصيني يعيشون حول العالم. (هناك أحد عشر مليوناً من مقاطعة فوجيان وحدها). ولم يقطع أولئك الناس أنفسهم من جذورهم

لكي يقدموا حساء الزلابية فقط. في عام 2000، أشارت التقديرات إلى أن دخل هؤلاء المهاجرين مجتمعين وصل إلى 45 بليون دولار كناتج قومي إجمالي في السنة؛ بمقدار لا يبعد كثيراً عن الناتج القومي في بلد كأستراليا. في جنوب شرق آسية، استحوذت الأقليات الصينية بوجه خاص على حصة ضخمة لها ثقلها من اقتصاديات البلدان التي تعيش فيها، مما أثار الكراهيات والمذابح القاسية. يوجد في تايلاند أكبر عدد من الذين ينحدرون من أصول صينية ويستحوذون على ما يقدر بخمسة وثمانين في المئة من مقدَّرات البلاد. ولهم سيطرة مماثلة في ماليزيا وإندونيسيا والفلبين. وهؤلاء ليسوا منفتحين على التجارة فقط مع بلد أجدادهم، لكنهم يعودون غربيين -ذريّة مثقّفة لديها رأسمال وخبرة لتساعد في بناء أمة تركتها أسرهم في الماضي.

وما وراء هذه الموارد ومجالات التقدم، تملك الصين رأس مال فكري متنام. هذه ثقافة لطالما وضعت أعلى القيم والأولوية للتعلم كأمر بديهي؛ انظر فقط كما عمدت أنا على المساحات الواسعة في مسقط رأس كونفوشيوس في كوفو Qufu المليئة بالألواح الحجرية التي تؤدي تحية الشرف إلى ألمع العلماء مثلما فعلت مجتمعات أخرى للمحاربين المتوحشين. اليوم، يتقاطر من الصين أفضل وألمع الطلاب على جامعات التقانة وجامعات مثل أكسفورد المنتشرة في العالم، حتى ضمن الصين، تدفع الجامعات بأكثر من أربع مئة ألف خريج من المهندسين في السنة، مقارنة بمئتي ألف في اليابان، وثمانين ألفاً في الهند، وستين ألفاً في الولايات المتحدة. وكلما ارتقت القوة العاملة ذات الياقات البيض في الصين وأصبحت

أكثر تعليماً، وجاءت أيضاً الشركات مثل إنتل Intel وموتورولا Motorola بمخابر البحث إلى الصين من أجل التمتع بمزايا التكاليف المنخفضة، فإن الناس الذين اخترعوا البارود والطباعة سيسعون وراء اكتشاف حلول جديدة في مجالات الطاقة، والتقانة، حتى الفضاء الخارجي.

ويمكن المحاججة في أن الصين لا تزال تتعافى من الخوف واستبداد العهد الشيوعي، ولا تزال تمارس التقليد للمجتمع الغربي فيما يمكن أن تقدمه. بالتأكيد، لقد بدأ للتو محرك الابتكار الصيني يتسارع في دوراته. ولكن من ذا الذي يراهن ضد البلد التي صنعت عربة اليد، وركاب الفرس وعدة الفروسية، وصبّ الحديد وفرن التفجير، والألعاب النارية والمدافع، والوخز بالإبر، والساعة، والطائرة الورقية، والمروحة اليدوية، وورق اللعب، واليويو، ودفة السفينة والبوصلة، ونموذج النظام الشمسي، وأول نماذج الدفع البخاري؟

إن حجم الصين وماضيها التليد يوفر مزية أخرى لاندفاعات الصين: الطموح على مقياس واسع. عندما وضع المديرون التنفيذيون لوادي السيليكون نصب أعينهم أن يكونوا الأفضل، فقد كانوا يتحدثون عن شريحة من السكان أصغر من أي مقاطعة صينية. فيما يتعلق بالطبقة الإدارية في الصين، فإنه لا يرَوّعها ويرهبها على الإطلاق أن تخطط لأجل عدد كبير كمئات الآلاف من العمال أو مئات الملايين من الوحدات الإنتاجية.

كثُرٌ هم الصينيون الذين يحققون ثروات طائلة بين ليلة وضحاها، مثلهم مثل من هاجر منهم ووطِئَت رجلاه الأرض الأمريكية التي أتاحت

فرصاً هائلة للتوسع. ففي شينغدو Chengdu من مقاطعة سيشوان، هناك شاب اسمه دينغ هونغ Deng Hong الذي يدعى أيضاً هوراتيو آلجر Horatio Alger. كرجل في مقتبل العمر فقد سافر إلى الولايات المتحدة سعياً وراء الثروة، لكنه عاد إلى وطنه الأم ومعه خمسون دولاراً فقط. اليوم، قام هذا البارون العقاري ببناء أكبر مركز للمؤتمرات في آسية، محاط من كل جوانبه بغابة حقيقية اقتلعت من التيبت، ويستوعب خمسين ألفاً من الحضور.

في المدينة نفسها، حصد فان جيان شوان Fan Jianchuan، الذي أفنى أحد عشر عاماً من عمره جندياً فقيراً على الجبهة الشمالية للصين، معظم الثروة الهائلة لديه في سوق العقارات منذ أن أوجد متحف مدينة جيان شوان المؤلف من ثلاثة وعشرين مبنى منفصلاً. ربما يكون هذا المجمع أكبر فناء خاص بالمعروضات في العالم ويستضيف بين أرجائه مقتنيات واسعة من المصنوعات التاريخية في القرن العشرين. تذكر القول: «فقط في أمريكا؟» إن هذه الأشياء يمكن أن تحدث فقط في الصين. الآن، وهنا، يمكنك أن تجد أناساً يحلمون بشاشة عرض كبيرة ملونة وكاملة.

لقد أولى باقي العالم انتباهه دوماً وتأثر بما يحدث في الصين. وليست هذه أول مرة تفاعلت فيها الصين مع الغرب، لكن الروابط الآن أقوى مما كانت عليه، وطاقة الإنتاج هي أكبر كثيراً. فبوجود الاتصالات والتجارة على مستوى عالمي، فإن قوة الصين البديهية ستتعاظم وجوائزها يمكن أن تكون استثنائية.

ملفات جيم الصينية: خمسة مبتكرين صينيين معاصرين

فوكس ميديا هولدينغ المحدودة .Focus Media Holding Ltd

مؤشر ناسداك NASDAQ: FMCN

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 230.39 في المئة، ارتفاع الإيرادات 630.2 في المئة

بدأ النجاح فقط في الصين عبر فكرة يعود تاريخها لاثنين وثلاثين عاماً وهي تعليق شاشات فيديو في المصاعد الكهربائية البطيئة الحركة، وفي وقتها نمت فوكس ميديا التي صار لديها 85.000 شاشة عرض و99.000 من إطارات الدعاية في مراكز الصين التجارية، والمطارات،...إلخ. ومنذ أن استطاعت تأمين اتفاق تجريبي شمل خمسين بناءً في شنغهاي، تصف الشركة نفسها الآن بأنها «أكبر شركة للدعاية خارج المنازل عن نماذج الحياة العصرية وبمستويات مختلفة». وبعد تمكنها من جمع مبلغ 127 مليون دولار عام 2005 ضمن سوقها الأمريكي، بدأت الشركة في امتلاك الشركات المنافسة، وتتوسع حالياً في مجال الدعاية بوساطة الشبكة العالمية «الإنترنت».

بايدو كوم .Baidu. Com Inc

مؤشر ناسداك NASDAQ: BIDU, ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح إلى 2,412.7 في المئة، ارتفاع الإيرادات 613.4 في المئة

استحدثت غوغل الصين China Google عام 2000، بايدو، وهي محرك الأبحاث الرئيس في السوق الصينية وتستحوذ على حصة قدرها 62.1 في المئة من مجمل السوق حتى وقت قريب وهناك 137 مليون مستخدم وذلك حسب أرقام شهر أيار 2007 -التي أعلنها مركز شبكة إنترنت الصين. وتتلخص خطة بايدو في توفير وسائل البحث المتلائمة مع حاجات الصينيين

واللغة الصينية، بالرغم من أنها أعلنت عن خطط لدخول سوق اليابان وفيتنام. وقد بدأت حديثاً في خدمة الموسيقى بالتعاون مع شركة EMI، وتدخل في اتفاقات مع الجامعات الصينية في محاولة منها لخطف قصب السبق من غوغل في تأسيس أول مكتبة في البلاد عبر الإنترنت.

تشانيا تيك فيث وايرلس كوم. تكنولوجي المحدودة

China Tech Faith Wireless Comm. Technology Ltd.

«شركة ثقة تقانة الاتصالات اللاسلكية الصينية المحدودة»

مؤشر ناسداك NASDAQ: CNTF, ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 735 في المئة. ارتفاع الإيرادات 831.1 في المئة

إن كُلاً من إنتل وكوالكوم Intel & Qualcomm هما من المستثمرين الإستراتيجيين في شركة الاتصالات الهاتفية هذه التي تأسست عام 2002. ومن المثير للعجب أن تسعين في المئة من موظفي الشركة هم من المهندسين. ويتخصصون في تصميم هواتف اليد، والهواتف الذكية، والبرامج في البلد الذي يوجد فيه أكبر عدد من الهواتف النقّالة. ثمّ إن للشركة مبيعاتها في أوروبة ودخلت في شراكات مع الأسماء الأجنبية اللامعة، بما في ذلك فيليبس وإن إي سي NEC.

شركة صن تك باور هولدينغز المحدودة

Suntech Power Holdings Co., Ltd.

بورصة نيويورك NYSE: STP, ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 476.9 في المئة. ارتفاع الإيرادات 602.2 في المئة

كما سيأتي ذكره لاحقاً، فإن الصين سائرة في طريقها لتصبح متصدرة العالم في صناعة واستخدام تقانة الطاقة الشمسية. تأسست عام 2001 من قبل عالم متميز باحث في خلايا الكهرباء الضوئية، أضحت الشركة واحدة من العشر الأوائل من المصنعين لتلك الخلايا. ثم إن الشركة أنتجت التقانة «الخضراء» ذات الصلة. وعندما يحين أوان الألعاب الأولمبية في بكين «الخضراء» (لخلوها من ملوثات الهواء) فإن صن تيك ستوفر الطاقة النقية للملاعب.

مجموعة علي بابا Alibaba Group

غير مدرجة للآن ولديها خطط لعرض إصدارات أولى في بورصة هونغ كونغ

منحى ثلاث سنوات: لا توجد أرقام معلنة للأرباح والإيرادات

استحدثت من قبل أستاذ إنكليزي اسمه جاك ما Jack Ma بوصفها صعيداً تلتقي فيه منشآت العمل لممارسة التجارة الإلكترونية وخصصت للمصانع الصينية الصغيرة التي ترغب فيمن يريدون شراءها من الخارج. وبعد عدة جولات من الاستثمار بوساطة أموال تعود لأفراد عاديين، كبرت علي بابا لتصبح منشأة لتسهيل تجارة إلكترونية متعددة الأغراض ضمت إلى جعبتها تاوباو Taobao وهو موقع دائم على الإنترنت للمزادات يشبه إي بيه eBay التي تحتل الصدارة بين مواقع المزادات في الصين، وكذلك ألي بي Alipay وهو نظام إلكتروني على الشبكة الدولية على مدى الساعة يتولى تسديد صفقات التجارة الإلكترونية ويشبه في

عمله بيي بال Paypal. وازدهر هذا الأخير بوصفه نظاماً أخذ على عاتقه ضمان وصول المشتريات، لأن الكثير من الصينيين ما زالوا لا يملكون بطاقات ائتمان. لقد دفعت ياهو Yahoo لمجموعة علي بابا بليون دولار مقابل حصة قدرها 40% وفي المقابل تتولى علي بابا إدارة الشركة التابعة لياهو، التي تمارس عملها في الصين.

السؤال عن اليوان Yuan (العملة الصينية)

إذاً كيف تمارس اختيارك بين الشركات المتجذرة في الممارسات الغابرة حين لم ينالوا حظاً في الماضي ما عدا ومضة خاطفة من عين حارس شاب في الجيش الأحمر منذ ثلاثين عاماً؟

وإذا استطاع المديرون الصينيون اليوم أن يستفيدوا من الأعراف القديمة، فإن لديهم إمكانات شابة في المئوية الجديدة.

وإن الشركات الصينية التي اعتادت على العمل وفق الأساسيات يمكنها إلقاء نظرة سريعة على النمو المتوقع في بلدها، والاستفادة من الفرص المهيأة لها في إفريقية أو حتى أمريكة الجنوبية، وهي أسواق ربما تعدّها الشركات الغربية المتعددة الأنشطة «مثبطة»، وبالطريقة نفسها تستطيع الشركات المحلية أحياناً أن تواكب أكثر الأذواق السائدة في الداخل. في عام 1999، ابتكرت شركة لينوفو Lenovo وهي المصنعة للحواسيب الشخصية في الصين التي ابتاعت فرع آي بي إم حاسوباً منزلياً حيث أصبح واحداً من الصرعات في المناطق الريفية. لقد عُدَّ هذا الحاسوب ذو اللون الأحمر الذي كُنِيَ في السوق باسم «المنة

السماوية» محظوظاً، وقام الآباء بشرائه لتقديمه مهراً للعروس المقدمة على الزواج.

من جهة أخرى، نرى أن موتورولا صاحبة الريادة في الصين بالنسبة إلى الأجهزة السمعية التي تثبت على الرأس، وكذلك إضافات الهواتف (الإكسسوارات) بدأت تفقد حصتها في السوق لمصلحة منشآت صينية محلية مثل نينغبو بيرد Ningbo Bird، التي لا يجري اسمها على اللسان بسهولة ولكنها تستطيع الاستجابة بسرعة أكبر لأذواق المستهلكين. وبالعودة إلى عام 1999، نلاحظ أن الحكومة الصينية اختارت تسع منشآت لتدخل في حقل الهاتف النقال، وكانت نينغبو بيرد الشركة الوحيدة غير المملوكة من قبل الدولة. لقد اختارت الشركة بحكمة أن تصبح رائدة في تصنيع أجهزة الاستدعاء (بيجر Pager) - وأذكر أن هذه الأجهزة صار لها شعبية هائلة في الصين، بحيث إن وضع هذا الجهاز على خاصرة أي موظف في مكتب كان مبعثاً للفخر. وبالبناء على هذه الأرضية سعت الشركة نحو شركاء أجانب ذوي إمكانيات ليست بالكبيرة ولديهم الحماسة لدخول سوق الصين، مثل ساغم Sagem وبينك BenQ، ومن ثم قامت الشركة ببناء قسم الأبحاث الخاص بها. اليوم لا تزال نينغبو بيرد تركز أنشطة مبيعاتها داخل المدن الصغيرة التي لا تعيرها أحياناً الشركات الأكبر أي اهتمام، وكذلك الإكثار من نماذج أجهزة توصيل الرسائل ذات الشعبية الواسعة.

ولا يزال، على ما أعتقد، من السذاجة التي تصل إلى حد الخطورة الافتراضُ أن الشركات الصينية تملك بالسليقة قدرة على السير للأمام.

كما يمكن لكثير من الشركات الأجنبية أن تشهد بأن المرء لا يحتاج إلى نظرة كونفوشيوسية كشرط للنجاح في الصين. بعد ثلاث سنوات من نشر كتاب في عام 2002 يصف الصين بأنها وهم سيتحول إلى كابوس بالنسبة إلى جنرال موتورز وغيرها من المستثمرين الأجانب، أعلنت جنرال موتورز أن مبيعاتها من وسائط النقل نمت بنسبة 35 في المئة مقارنة بالسنة التي سبقتها ليصل الرقم إلى 665,390 وحدة. تحقق جنرال موتورز الآن أرباحاً في الصين تفوق تلك المحققة في أمريكا الشمالية. لقد استطاعت الشركات الغربية الولوج بكل انسيابية في العديد من الأسواق المتنوعة عبر العالم، وهي بالتأكيد تقوم الشيء ذاته في الصين. لقد تنبأ بعضهم أن الصينيين الذين لا يتقبّلون اللاكتوز لن يكون بمقدورهم تقبل الجبن الكثيف المسكوب على عجينة رقائق البيتزا ولكن لا تقل هذا أبداً على بيتزا هات Pizza Hut!.

ثم إنه لا توجد صلة أبداً فيما إذا كانت الشركة نتاجاً متطوراً من منشأة متعثرة مملوكة من قبل الدولة. يميل الأمريكيون على وجه الخصوص إلى القفز إلى الاستنتاج القائل: إن الإدارة الخاصة هي الأفضل. حتى في أوروبة لا تزال الحكومات تحتفظ رمزياً «بحصة ذهبية» في العديد من الشركات التي تعد حيوية للرخاء الوطني، ولهذه الحكومات تأثير واضح فيها. وإن إسهام الشركات المملوكة للدولة في الناتج القومي الإجمالي في الصين، التي هبطت إلى عشرة في المئة منذ عقد مضى، قد نهضت من عثرتها وتبلغ الآن عشرين في المئة. في الحقيقة، في عام 2006، أظهرت الشركات التسع والخمسون الخاضعة لإشراف الدولة أرباحاً عالية قياسية بلغت 92.3 بليون دولار أمريكي.

في الصين وهي بلد قامت فيه بعض قِطَع جيش التحرير الشعبي بأخذ جانب من أنشطتها نحو التصنيع بدءاً من رقائق السيليكون إلى الأندية الليلية، وإن من أكثر المديرين براعة هم الذين عملوا في وزارات الدولة. بالرغم من أن الصداقة الحميمة والترقيات عبر الأقدمية كانت يوماً ما الطريق الطبيعي لأداء العمل، فإن مجالس الإدارة الحكومية التي تشرف على شركات القطاع العام قد مضت منذ زمن في تعيين مديرين رائعين في مقتبل العمر، مثل المديرين الماليين لكل من شركتي شالكو وشينهوا اللتين مر ذكرهما آنفاً.

في الوقت ذاته، على المرء أن يقرأ ما بين سطور قائمة الدخل ويفحص مجمل الصناعة المعنية قبل أن يقرر فيما إذا كان المصنع رقم 17 ذائع الصيت المملوك من قبل القطاع العام الذي يحدث جلبة وجعجعة هو في الحقيقة مصنع خردة عفا عليه الزمن موجود في بيئة غير تنافسية ويحظى بدعم الدولة لإحيائه بطريقة مصطنعة. إن بعض المنشآت العائدة للدولة هي أسرّة متفسِّخة من القرابات الأسرية، وبعضها الآخر ديناميكي ويسير في الاتجاه الصحيح. أمعِن النظر فيما وراء الأسماء البراقة المثبتة على الأبواب لترى فيما إذا كانت الإيرادات تراوح مكانها أم أنَّ هناك طلباً مرتفعاً على المنتج.

خذ أولاً نظرة على الصناعة كلها. بمجرد تسليط الضوء على الزراعة، والسياحة، وموارد المياه، وصناعات خدمية مختارة فإنها قد تكون عرضة لانحدارات أو فقاعات. فبينما كان يعني ضم الصين إلى منظمة التجارة

الدولية عام 2001 دخولاً أوسع للصين من قبل المنشآت الأجنبية في مجالات جديدة وتخفيضاً لأسوأ التعريفات الجمركية المفروضة بغرض الحماية، فإن المنشآت المحلية ستواجه على الأغلب التحدي الأكبر من الخارج عبر حقول جديدة كعمل المصارف، وتجارة التجزئة، وخدمات الإنترنت. ولكن كان هناك تأثير ضئيل أو لا وجود له في بعض النواحي الأكثر جاذبية، مثل سلع المستهلك، والإلكترونيات، والاتصالات الهاتفية.

وحالياً، استطاع العديد من المنشآت الصينية تأمين مواقع متقدمة لأنفسها، في حين أن منافسة الحاضر الشديدة ستهز عدداً أكبر من أركان الصناعات وتقذف بهم بعيداً. لكن في الصين وكما في كل مكان، من المفيد الإجابة عن هذه الأسئلة: هل على الشركة التزامات كبيرة تجاه دائنيها؟ هل تتمتع بهامش جيد للأرباح؟ هل تنمو بنحو أنيق؟ هل يوجد لدى إدارتها حوافز تدفعها للنجاح (كامتلاك حصة كبيرة من الأسهم أو ممارسة الخيارات على سبيل المثال)؟ هل تواجه منافسة حادّة أم أنها اللاعب المسيطر؟ هل هي قيادي أم تابع؟ هل هي في سوق ينمو مثلاً أجهزة الاستماع الحديثة (Ipod) بدلاً من أحذية ركوب الخيل، بي إم دبليو BMW بدلاً من الدراجات الهوائية.

إن التسوق بغرض شراء علامات تجارية صينية هو أشبه ما يكون بجولة في المتجر الكبير (سوبر ماركت) سواء في وول-مارت Wal-Mart أو في المنشأة التجارية الأولى في الصين ليانهوا Lianhua. اقرأ لصاقة التعريف، وافحص الأشياء المميزة، وفوق ذلك كله تعرّف جيداً السلعَ الموضوعة على الرفوف.


@Ahmedyassin90

4

الطاقة: ليست بهذا السوء

لو كانت الصين شركة واحدة وكبيرة عندها يجب أن نقول: إنّ الأساسيات تبدو جيدة جداً. يملك هذا البلد الشيوعي الكثير من رأس المال ليستخدمه في التوسع أو الاستثمار، فبعد سنوات من تحقيق الميزان التجاري المناسب تجاوزت الصين اليابان، وأصبح لديها الآن أكثر من أي دولة أخرى أكبر احتياطيات العملة. ومع 40 في المئة من الناتج الذي يذهب للصادرات فإن الديون الأجنبية الكبيرة لا تعيقهم. وعلى خلاف الولايات المتحدة حيث يعيش معظم السكان على البطاقات الائتمانية تاركين 2 في المئة فقط للمستقبل، يقوم الصينيون بتمويل إعادة البناء الخاص بهم والمساعدة على تقوية المؤسسات المالية ومصدر رأس المال الخاص بهم؛ وذلك عبرمعدلات التوفير العالية التي تصل لأكثر من 35 في المئة.

إن وضع أرقى المعايير الممكنة والأصول الصينية الثابتة -وبناء الطرقات والجسور والموانئ- مع الشركاء الأجانب ضاعف الطاقة كل سنتين ونصف للعقدين الأخيرين. أنتجت الصين 50 في المئة من الكاميرات العالمية و30 في المئة من مكيفات الهواء العالمية وأجهزة التلفاز، حتى إنها قامت بإنتاج

منسوجات ودمى عالية الجودة، وتقوم شركة واحدة بإنتاج 40 في المئة من أفران المايكرويف المبيعة في أوروبة.

ولا تزال كل تلك القدرات الإنتاجية بحاجة إلى الطاقة عندما تكون في وضع التشغيل. وبينما يتحول مصنع العالم إلى قوة عالمية عملاقة تكون أكثر ناحية يلزمها الفحص -وتؤخذ في الحسبان على أنها مجال للاستثمار- هي الطاقة كلما نظرنا إلى مسيرة نمو الصين المدهشة. علينا أن نواجه كما واجه القادة الصينيون سلفاً الحدود في الإمداد بالإضافة إلى نمو المخاوف البيئية. وفي الحقيقة، إن قصّة القرن الصيني ربما تكون كيف أن عملاقاً قدّر له أن يرقى سلم المجد عليه أن يفكّر مجدّداً في مصادر الطاقة، والإستراتيجيات، وأفكار بالية عن العظمة الصناعية- وساعد في حفظ كوكب الكرة الأرضية مع توفيره لكمّ جمّ من الفرص الاستثمارية في ذات الوقت.

التوسع في إنتاج الطاقة

و مثل المراهق الذي عليه تغذية النمو في جسمه تقوم الصين باستهلاك الطاقة بأسلوب شره. فقد اعتاد البلد الامتلاءَ بالوقود الخام التقليدي مثل الفحم الحجري والنفط الخام. ولكن الصين بدأت حديثاً بالانتباه إلى وسط خصرها المنتفخ من التلوث الزائد والتوزيع غير الفاعل. ويجبر ارتفاع أسعار السلع العالمية البلد الذي اعتاد الحيلَ القذرة والرخيصة، على الحصول على المزيد من الطاقة من المصادر المائية والنووية والرياح والمصادر الشمسية. ولذلك لن يكون مستقبل سوق النفط هو الجدير فقط بالمراقبة في السنوات المقبلة لا بل كل شيء بدءاً من الشركات العالمية التي

تزود بالخبرة في بناء الطاقة النووية، إلى شركات الفحم المحلية، إلى المبتدئين حديثي العهد في مجال توليد الطاقة الشمسية والتوربينات التي تعمل بالرياح.

قام مستثمر بريطاني بتمويل أول محطة للكهرباء في شنغهاي عام 1882، لكن الصين لم تبدأ بنظام الكهرباءِ الوطنيِ حتى 1949 عام تأسيس الدولة الشيوعية. حتى عام 1978، قامت الصين بالتزود بالكهرباء عبر التخطيط المركزيِ الحكومي. وبطريقة مشابهة استخدمت الولايات المتحدة في الثلاثينيات أنظمة الحكومة لنشر ودعم كهرباء منخفضة التكاليف للمناطق الريفية. حتى اليوم، ما زالت صناعة توليد الكهرباء خاضعة لضوابط صارمة. ففي عام 1979، كانت نحو 40 في المئة من الأسر الصينية الريفية لا تزال مفتقرة للكهرباء؛ ولكن بحلول عام2005، أشارت التقديرات أن 98 في المئة من القرى أصبحت تنعم بالكهرباء، وهي السنة نفسها التي أصبحت فيها الصين ثاني أكبر مستهلك للكهرباء في العالم. في منتصف الثمانينيات، عندما بدأ الاقتصاد ينمي قشرته الاشتراكية البطيئة كان نقص الكهرباء مشكلة خطرة جداً لدرجة أن المصانع أغلقت خطوط الإنتاج أربعة أيام من كل أسبوع. وكان لكل هذا تأثير إيجابي في دفع جهود الحكومة لتشجيع صناعة الكهرباء غير المركزية. وعلى الرغم من أن الحكومة ادّعت أن لديها اقتصاداً مخططاً ومركزياً بحلول نهاية التسعينيات إلا أنها سيطرت فقط على أقل من 50 في المئة من الطاقة الإنتاجية للصين. وبدأت الحكومة تسمح أيضاً بهامش محدود في آلية وضع الأسعار الذي تمت مراقبته بصرامة. ولكن العام الفاصل كان عام

2002، عندما فككت الحكومة الصينية الشركة الكهربائية الحكومية وأعادت تخصيص أصولها إلى خمس شركات إقليمية، أصبحت تعرف باسم «الخمسة الكبار» وهم شركة تشاينا داتانغ China Datang Corp، وشركة استثمار الصين الكهربائية China Power Investment Corp، ومجموعة تشاينا هيوننغ China Huaneng Group، وشركة تشاينا جوديان China Guodian Corp، وشركة تشاينا هوديان China Huadian Corp. (بعض فروع هذه الشركات، مع بعض الاختلافات البسيطة في الأسماء، موجود في الملفات الصينية لاحقاً).

للمرة الأولى أصبحت محطات الكهرباء ومرافق التوزيع والإرسال مرنة ومستقلة وذات كيانات تنافسية. وإضافة إلى ذلك، فإن ما يزيد عن 50 مصنعاً مملوكاً جزئياً للدولة أو مستقلاً يتنافسون معهم على قدم وساق مما قاد إلى زيادة في الأرباح كلما نما الطلب بأسعار منخفضة ووفرة عظيمة. وكان للإصلاحات تأثيرها دون قصد عندما سمح للأفراد بشراء أسهم الشركات المستفيدة من التدفق الهائل لرأس مال حكومي والأعداد الغفيرة لجهود المستخدمين.

وفي هذه الأثناء، أغلقت الحكومة وبطريقة تدريجية المصانع عديمة الكفاءة المملوكة للدولة التي كانت تستهلك الكهرباء بإسراف. وكلما قلّ الطلب فرضت الحكومة حظراً على بناء محطة جديدة للطاقة، ولكن أُلغي هذا الخطر في يناير/ كانون الثاني 2002، عندما أدركت الحكومة أن هذه السياسة القصيرة النظر لا تواكب احتياجات الطاقة بسبب النمو المتزايد. وازداد عام 2003 إجمالي الطاقة الإنتاجية إلى 8 في المئة، في

حين ازداد الطلب على الكهرباء إلى أكثر من 15 في المئة. وفي محاولة منها لمنع التعتيم أو الزيادات المفاجئة في الأسعار قنَّنت الحكومة الكهرباء في سعيها الحثيث لزيادة القدرة بموافقتها على عشرات مشروعات الطاقة الكهربائية الجديدة.و ظلت عشرون مقاطعة من أصل 31 تعاني نقصاً مزمناً في الكهرباء عام 2004. وفي عام 2005، انضمت 25 محافظة إلى تسوية طوعية للتناوب على إمدادات الكهرباء، ولكن القليل منها ظل محتاجاً لهذا الأمر بعد سنة من الزمن. أما الآن، فإن السلطات الصينية يساورها القلق بشأن الفائض (حيث يجده بعضهم أمراً سخيفاً ويقول: إنه يعتمد على التقديرات.) وفي سبيل التأقلم مع ارتفاع تكاليف الفحم كانت أسعار الكهرباء حرة من القيود بنحو كبير عام 2005. وعندما كان على قاطني المناطق الريفية البعيدة تسديد صكوك الكهرباء الباهظة التي تفوق ما يدفع نظراؤهم في المدينة، أصبحت هذه التكاليف متكافئة تقريباً منذ عام 2004، الأمر الذي أدى إلى زيادة الطلب في الريف. أضف إلى هذا العديدَ من الصناعات الجديدة وإنارة المنازل والمدن، وستجد نفسك قد وقعت في ورطة. تقدر وكالة الطاقة الدولية أن الصين إذا أرادت مواجهة الطلب المتزايد للكهرباء فإنها بحاجة لاستثمار 2 ترليوني دولار أمريكي تقريباً في البنية التحتية للكهرباء؛ وذلك بين الأعوام 2001 و2030. حيث يمثل هذا المبلغ خمس الاستثمار العالمي الإجمالي في مجال الكهرباء.

لا يزال خليط من موارد الوقود لتوليد الكهرباء يمر بمراحل تغيّر سريعة، لذا لابد أن يراقب بعناية. وعلى الرغم من أن الصين لا تملك احتياطياً مهماً من النفط أو الغاز الطبيعي إلا أن الطبيعة زودت هذا البلد بقدر كافٍ من الفحم الحجري. عندما وصلتُ أول مرة إلى الصين كان

هواء كل المدن الصينية مصفرّاً وسبب لي «السخامُ» في رئتيّ السعالَ، كنت أشاهد أن أكثر البيوت لا تزال تستخدم الفحم الحجري في التدفئة لدى تنقلاتي بالدراجة الهوائية. في عام 2003، استهلكت الصين 1.53 طن أمريكي من الفحم الحجري، ويمثّل هذا الرقم 28 في المئة من إجمالي استهلاك العالم.و قدّرت احتياطيات الصين من الفحم الحجري القابلة للاستخراج بـ 126.2 بليون طن أمريكي، وهو ما يكفي تقريباً لاستهلاك ستين عاماً. وبينما تبذل الصين الجهد لتضيف طاقة كهرومائية ونووية، يؤمن الفحم الحجري 70 في المئة من احتياجات توليد الكهرباء، ويتوقع أن يخفض ارتفاع الطلب من استخدام مصادر الطاقة الأخرى بحيث يستمر الفحم الحجري بتمثيل أكثر من 60 في المئة. نحن في الولايات المتحدة نولّد أكثر من 50 في المئة من الكهرباء عن طريق الفحم الحجري.

أنتجت الصين 2.834 ترليون كيلو وات بالساعة من الكهرباء عام 2006، وذلك بزيادة 13.5 في المئة سنوياً ومن بينها 2.357 ترليونا كيلو وات بالساعة أتت من طاقة الفحم الحجري و416.6 كيلو وات بالساعة فقط من الطاقة المائية. وأصبحت الصين وللمرة الأولى على الإطلاق مستورداً للفحم الحجري؛ وذلك في الربع الأول من عام 2007، ومع استمرار الصين في مقدمة المستهلكين سيظل سعر الفحم الحجري في الارتفاع. وشهد مؤشر وقود المستهلك والفحم الحجري S&P ارتفاعاً في النمو أكثر من S&P 500.

و مع هذا، تهدف الصين وفقاً للخطة الخمسية الحادية عشرة التي تم إقرارها عام 2006 والتي تغطي الأعوام من 2007 إلى 2012، إلى التقليل

من استخدام الفحم الحجري بنحو 560 مليون طن قبل عام 2010. وقد أمرت الحكومة محطات توليد الطاقة من الفحم الكبيرة والمتوسطة تركيب معدّات لإزالة الكبريت وبدأت بإغلاق المصانع الصغيرة للحد من التلوث. وبمعنى آخر، بينما تزداد فطيرة الطاقة، تضيق شريحة الفحم لمصلحة الوقود الأنظف. لذلك فإن الاستثمار في منتجات الفحم الحجري ربما يكون الآن منطقياً، على الرغم من أن السياسات الضريبية وقضايا المحافظة على الموارد الطبيعية تبقى عوامل طويلة الأمد. وبينما تنمو المخاوف البيئية فإن تقنيات طاقة الفحم النظيف يجب أن تبقى تحت المراقبة أيضاً.

كان يوجد فقط 200 مليون دولار أمريكي من الاستثمار الأجنبي في مناجم الصين في أثناء عام 2004، وألغيت ثلاث عمليات بيع بالمزاد العلني الأخير لثلاثة مناجم من محافظة شانكسي Shaanxi بسبب سيطرة شركات أجنبية على العروض. ولكن الصين أصبحت أكثر انفتاحاً على الاستثمار الأجنبي في قطاع الفحم الحجري، وذلك من أجل تسريع التحديث والتحسين البيئي للمناجم الموجودة.

وعلى الرغم من افتقار الصين للاحتياطيات الكافية من الغاز والنفط إلا أن احتياطيات البلد الضخمة من الفحم الحجري تضمن استمرار النمو. إن العديد من البلدان المتقدمة يُحتمل أن تعاني نقصاً في الطاقة وارتفاعاً في الأسعار بسبب اعتمادها على النفط بدلاً من الفحم الحجري -ذلك سبب آخر لعدّ الصين وموقعها القوي قاعدة إستراتيجية طويلة الأمد.

ملفات جيم الصينية: جعل العصير يتدفق

هواديان باور إنترناشيونال Huadian Power International

بورصة شنغهاي: أسهم فئة -A بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة -H؛ تداول من فوق المنصة.

SHA: 600027,A-shares; HKG: 1071, H-shares; OTC: HPIFF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 26.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 48.7 في المئة

سُمح لمعظم الخمسة الكبار بإدراج أسهمهم في عدة بورصات وذلك لزيادة التمويل. تقع هوادين Huadian شمال محافظة شاندونغ Shandong أكبر مزود بالكهرباء، لكنها تعمل أيضاً في أربع محافظات أخرى بالتعاون مع مصادر الفحم القريبة.

داتانغ إنترناشيونال باور جينيرشن «داتانغ الدولية لتوليد الطاقة» Datang International Power Generation

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A، بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H، تداول من فوق المنصة.

SHA: 601991, A-shares; HKG: 0991, H-shares; OTC: DIPGY

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 30.6 في المئة، ارتفاع الإيرادات 82.8 في المئة.

أُدرجت في مدة ترجع إلى عام 1997، تدير داتانغ Datang عشرين شركة لتوليد الطاقة الإقليمية، ولها استثمارات في مجال الطاقة المائية والطاقة النووية وطاقة الرياح. واستمرت أسعار أسهمها في الارتفاع على الرغم من إغلاق خمسة مصانع بغية تنظيف البيئة.

تشاينا باور إنترناشيونال ديفيلوبمنت لميتد

China Power International Development. Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H، تداول من فوق المنصة

HKG: 2380, H-shares ; OTC: CPWIF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 10.5 في المئة. ارتفاع الإيرادات 55.2 في المئة

يدير هذا اللاعب الكبير تسعة مصانع للطاقة شرقي الصين، وكان يشتري على الدوام أسهم المنافسين. إن المدير التنفيذي غير العادي لهذه الشركة هي أنثى شابة وطموحة ترقّت من رتب المهندسين بعد إنهاء دراستها في جامعة تسنغهوا Tsinghua (غالباً توصف بـ (MIT) إدارة تقانة معلومات الصين).

شركة جي دي باور ديفيلوبمنت GD Power Development Company

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600795, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 19.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 70.7 في المئة

تتنافس أكثر من خمسين شركة صغيرة مولدة للكهرباء مع الخمسة الكبار، بعضها مملوك للدولة وبعضها مستقل. وهذه واحدة من الشركات التي أديرت على نحو جيّد لتنمو.

كيلوان كلين كول لميتد Kailuan Clean CoalCo., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600997, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 73.1 في المئة. ارتفاع الإيرادات 103.6 في المئة

مع شنهوا Shenhua التي سبق ذكرها (في الفصل السابق)، تعدّ كيلوان Kailuan واحدة من العشرة الأوائل في تشغيل مناجم الفحم

الصينية. وبحسب الأرقام الأخيرة، بلغت المبيعات في السوق المحلية 93 بالمئة.

إينر مونغوليا يتاي كول .Inner Mongolia Yitai Coal

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-B SHA: 900948. B-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 102.6 في المئة، ارتفاع الإيرادات 41.6 في المئة

قد تحمل هذه الشركة للمستثمرين الأجانب شيئاً من الرومانسية بالإضافة إلى قلة من المنافسين الإقليميين. وتعمل Yitai في السهول البعيدة لمنطقة صينية داخلية منغولية ذات حكم ذاتي.

يانزهو كول ماينينغ كو .,Yanzhou Coal Mining Co

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H، بورصة نيويورك، تداول من فوق المنصة.

SHA: 600188, A-shares; HKG: 1171, H-shares; NYSE: YZC, ADR; OTC: YZCHF

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 35.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 8.3 في المئة

تدير ستة مناجم كبيرة وترسل بعض الصادرات إلى اليابان وكوريا. كانت قد لحقت خسائر بهذه الشركة أخيراً، حيث وقع اللوم في ذلك على أسعار الفحم المنخفضة وقسم التعدين الأسترالي.

جونكسي ليغونغ ماشينري كو ليمتد

Guangxi Liugong Machinery Co., Ltd.

بورصة شينزن: أسهم فئة-A SHE: 000528, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 46.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 47.7

يركب منتجو معدّات المناجم أيضاً موجة الفحم الحجري بوصفهم منقِّبين ومستخدمين لأنظمة الدعم الهيدروليكي والناقلات ذات المقدمة المصفحة ليضعوها موضع الاستخدام المهم. وتقريباً يُستخرج 90 في المئة من الفحم الصيني باستخدام آلات منتجة محلياً، وتحقق Guangxi Liugong مبيعات دولية أيضاً.

شانتوي كونستركشن ماشينري كو لميتد

Shantui Construction Machinery Co., Ltd.

بورصة شينزن: أسهم فئة-A SHE: 000680, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 160.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 80.8 في المئة

مع ست شركات تابعة رئيسة تُعرض شركة Shantui للتعدين.

جوي جلوبال إنس .Joy Global Inc

مؤشر ناسداك NASDAQ: JOYG

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 652.7 في المئة، ارتفاع الإيرادات 67.7 في المئة.

تباع ثلثي الصادرات من آلات تعدين الفحم الدولية للصين. وهذه واحدة من المستفيدين ومقرها في ميلووكي Milwaukee، ولاية ويسكونسن.

اينجرسول -راند كو لميتد

Ingersoll-Rand Co., Ltd.

بورصة نيويورك NYSE: IR

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 15.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 21.5 في المئة

تعد المصنع الدولي والرئيس ولها حضور كبير في الصين، فهي تعرض مجموعة واسعة من التقنيات الصناعية، بدءاً من الطاقة إلى أنظمة الأمن ولكنها أيضا توفر عربات «البيكت bobcat» ومعدات البناء.

بايكروس إنترناشيونال إنس .Bucyrus International, Inc

مؤشر ناسداك NASDAQ: BUCY

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 1,056.2 في المئة. ارتفاع الإيرادات 62.5 في المئة.

ومقرها أيضاً في ويسكونسن Wisconsin، وتصنع Bucyrus آلات أولية للتعدين السطحي.

فخور بنفسه

بالطبع هناك مادة سوداء أخرى أكثر حيوية لمستقبل الصين. فمن الشرق الأوسط مروراً بأمريكة اللاتينية ورأس إفريقية إلى الجمهوريات السوفيتية السابقة قامت الشركات الصينية بتوضيح المصالح الاقتصادية والعلاقات الدبلوماسية في مساعيها غير القليلة وراء النفط. وقامت الحكومات الصينية والروسية بإجراء نقاشات منتظمة لإمكانية مد خط أنابيب وذلك لزيادة الصادرات من سيبيريا. وقد استغرقت مراحل تخطيط أكثر أنبوب مثير للجدل من وسط آسية إلى الصين عقداً من الزمان حتى الآن. وتحرك الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز لوضع احتياطيات بلاده الضخمة تحت تصرف الصين كطريقة لإزعاج الولايات

المتحدة. وكما أثر إنشاء منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) على كل البلاد على وجه الكرة الأرضية لعقود، فلسوف تعيد احتياجات الصين من النفط ترتيب سياسة العالم. منذ عام1992، تضاعف استهلاك الصين للنفط، فقد وصل وفقاً لبيانات وكالة الطاقة الدولية (IEA) لأكثر من 5.4 ملايين برميل في اليوم. وتستهلك الصين اليوم 8 في المئة فقط من نفط العالم ولكنها أيضاً تمثل نحو 40 في المئة من النمو في الاستهلاك في أثناء السنوات الأربع الأولى من الألفية الجديدة. وإذا استمر الطلب بالنمو بنسبة متوسطة من 6 إلى 7 في المئة في السنة (كما كان منذ عام 1990) فإن طلب الصين سيجاري مستويات الاستهلاك الحالية في الولايات المتحدة التي تصل إلى 21 مليون برميل يومياً في أقل من عشرين سنة. وما تزال الصين صغيرة حقاً عندما يتعلق الأمر بالإسراف في استهلاك الغاز. وقد ينظر للأمر كأمل واعد أو خوف قادم (وهذا يعتمد على عملك في شركة نفط أو استثمارك فيها أو لا). وفي بداية عام 2005، كانت الصين بالكاد لا تزال تستهلك ثلث الكمية التي تستهلكها الولايات المتحدة لتأتي ثالثةً، ولكن بعيدة جداً عن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي من حيث إجمالي الاستهلاك. وأتت الصين في المرتبة 136 فقط على مستوى العالم من ناحية عدد البراميل في اليوم الواحد للشخص الواحد. وأتت اليابان في المرتبة 32، في حين أتت كوريا الجنوبية في المرتبة 31 مستهلكة من البراميل في اليوم الواحد للشخص الواحد عشر مرات أكثر من الصين.

مع احتياطيات النفط المؤكدة التي تصل إلى نحو 18.3 بليون برميل، حيث تؤمن إمداداً يكفي خمس سنوات من الاستهلاك -اللهم إلا إذا حصل توسع في الاكتشافات الأخيرة الضخمة- وبدأت الصين عام 2004 سلسلة محاولات وراء البحار تهدف تحديداً إلى امتلاك شركات النفط الأجنبية بالإضافة إلى شركات السلع الأخرى. وصرفت الشركات المملوكة للحكومة من أجل الاستحواذ على حقول الغاز والنفط في ما وراء البحار في السنوات العشر الأخيرة وحدها نحو 5 بلايين دولار أمريكي، ومع الاحتياطيات الأجنبية للدولار الأمريكي التي تفوق ترليوناً واحداً فإن الصين مستعدة وقادرة على الإنفاق في السنوات المقبلة أكثر كثيراً مما أنفقته في الماضي.

في غمرة إعادة الهيكلة والخصخصة عام 1998، تأسست في الصين ثلاث شركات رئيسة للنفط والغاز. وهي أكثر هيمنة من شركات الطاقة، وتمثّل تقريباً كل تصفية المشتقات النفطية للبلاد بالإضافة إلى استيعاب الغاز الطبيعي. و هذه الكيانات الرسمية السابقة أكثر ترابطاً أيضاً، فقد قام المديرون التنفيذيون الكبار من إحداها بربط المواقع بعضها ببعض. فشركة النفط الوطنية الصينية (CNPC) على سبيل المثال، هي المنتج الأكبر للنفط الخام والغاز الطبيعي في آسية، وتعد هذه الشركة أكبر متعهدي النقل وبائعي الغاز الطبيعي في الصين وثاني أكبر منتجي المواد الكيماوية فيها، وقد أنشئت هذه الشركة لتخدم جنوب وغرب البلاد، وعلى الرغم من أن هذه المنطقة الجغرافية غير مقيدة إلى الآن إلا أنها

توجيهيه. وتستفيد هذه الشركات المتكاملة بشكل مباشر من زيادة الطلب وقوة الأسعار وارتباطاتهم.

شركة الصين للبتروكيماويات المعروفة باسم ساينوبك Sinopec هي أكثر شركة مغامرة -لاستطلاع البتر وكيماويات والألياف والأسمدة الكيماوية. وأخيراً، تنتج الشركة الصينية الوطنية للنفط البحري (CNOOC) أكثر من 10 في المئة من إنتاج النفط الخام الصيني المحلي. وحالياً هي الشركة الوحيدة التي سُمح لها بإجراء أنشطة التنقيب والإنتاج مع شركات النفط الأجنبية وشركات الغاز قبالة السواحل الصينية، وبنت الشركة بإنشائها مصالح في إندونيسيا وأستراليا ووسط آسية سمعة سِمتُها الاقتناء. اُشتهرت الشركة عام 2005 عبر عرضها شراء شركة Unocal، ومقرها كاليفورنيا، الذي وصل إلى 18.5 بليون دولار أمريكي. وألغت شركة CNOOC عرضها بشيء من الصدمة بعد المعارضة الشديدة التي قابلتها من الكونغرس الأمريكي. فإذا لم يستطيعوا أن ينظروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية كنموذج لسوق حرة، فأين عساهم يذهبون؟

لهذه الشركات تأثيرها الكبير على الاقتصاد الصيني. فجميعها نفذت إصدارات أولية للأسهم مهمة وناجحة جداً بين عامي 2000 و2002، جالبة بلايين الدولارات من رأس المال الأجنبي. بيد أنه برغم الاهتمام والجدل النابعين من استثمارات الشركات الصينية في صناعة النفط خارجياً، فإن إسهام هذه الشركات في واردات الصين ظلَّ ما دون ثلاث مئة ألف برميل يومياً حتى منتصف عام 2005. وهذا غيض من فيض مقارنة بواردات الصين اليومية التي تصل إلى 3.5 ملايين برميل

في اليوم. وعلى الرغم من الجهود الصينية لتنويع مصادر التموين، إلا أن نصف نفط البلد المستورد يأتي تقريباً من الشرق الأوسط؛ فالسعودية وحدها تمثل 17 في المئة من حجم وارداتها.

شرع المسؤولون الصينيون عام 2005 ببناء مئة مليون برميل من النفط كاحتياطي وطني إستراتيجي حيث سيكون عصب الحياة للصين في خضم أزمات الطاقة العالمية، على الرغم من أنه بعيد عن الإمداد الكافي في حالة الطوارئ (لا يساوي استهلاك شهر). إلا أن مصافي البترول في الصين هي من بين أفضل المشروعات المدارة. وقامت الشركات وبنحو ثابت بإزالة العديد من الأنشطة المساعدة غير المربحة، ثم إنها أخذت البطالة في الحسبان، وكما هو الحال في المؤسسات الحكومية الصينية الأخرى فإن الشركات كانت متخمة بموظفين أكثر من حاجتها.

يرى بعض المستثمرين أنه يكفي امتلاك أسهم شركات النفط العالمية للاستفادة من نمو الصين، لكنه من الضروري إدراك أن هذه الشركات سوف تعتمد على المؤسسات الصينية لتؤسس موطئ قدم لها في الصين. حتى عندما تبدأ شركة شل Shell عمليات تنقيب بحرية أو تستثمر شركة إيكسون موبيل ExxonMobil، عبر خط أنابيب يعبر آسية فإن الحكومة الصينية ستفضل شركات النفط الخاصة بها (كما تفعل كل الحكومات في العالم). وتعتزم الشركات العالمية الثلاث بيي وإيكسون موبيل وشل BP، Shell، ExxonMobil دخول سوق التجزئة الصيني شركاء مع شركة Sinopec، CNPC أو كلاهما. وأقامت الشركات الصينية شروطاً مناسبة جداً لأعمالها المشتركة مع الشركات الأجنبية. وتمتلك شركة CNOOC

الحق في امتلاك 51 في المئة من حصة أي شريك أجنبي موجود على طول ساحل الصين.

يقلق المحللون من استمرار إبقاء الحكومة الصينية على أسعار البترول منخفضة بطريقة مصطنعة. وبسبب سياسة ضبط الأسعار فإن سعر البنزين في الصين يأتي مماثلاً مع مثيله في الولايات المتحدة وهي الأقل سعراً عالمياً بالنسبة للبلاد التي تستورد النفط. وهذه الأسعار هي ثلث أسعار أوروبة حيث تزيد الضرائب من الضغط على الأسعار. وعلى كل حال أظهرت الحكومة الصينية رغبة بترك أسعار الغاز ترتفع في محطات التعبئة وذلك من أجل تنظيم استخدام النفط أولاً ولتبقي شركات النفط الصينية رابحة ثانياً. وازداد تنبه الحكومة في النصف الأول من عام 2005 للفجوة التي تتوسع بين أسعار النفط المحلي والنفط في العالم وشركات النفط الصينية التي تعزز الصادرات لبعض منتجات البترول وخاصة الديزل لتدفع أفضل الأسعار لهذه المنتجات في السوق العالمية. حتى إن الحكومة الشيوعية أعادت تنظيم الأرباح الكثيرة المحققة. واستجابت الحكومة عن طريق السماح بزيادة أسعار محطات تعبئة الغاز وأسعار منتجات البترول في أثناء 2005 و2006، وفي الواقع سوف تلغي الحكومة في النهاية الأسعار المدعومة.

يبقى شيء واحد مؤكد: هو أن الأيام الصينية كمصدر صافٍ للنفط الخام قد انتهت، وأن طلب الصين الشره للاستيراد سيجعل من الصين لاعباً حاسماً في أسواق النفط العالمية. فعندما تكون الصين متعطّشة للنفط سيرتفع السعر، وعندما تكتفي يكتفي سوق النفط باكتفائها.

ملفات جيم الصينية: أسهم النفط اللزجة

بيترو تشاينا كو ليتد Petro China Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H؛ بورصة نيويورك؛ تداول من فوق المنصة؛

HKG: 0857, H-shares: NYSE: PTR. ADR OTC: PCCYF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأسعار 38.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 73.4 في المئة

تخلق شركات النفط الكبيرة في الصين أسهماً كبيرة وملائمة مع عائدات سنوية تقدر بـ +26 في المئة. إن شركة Petro China مدرجة كثيراً في الصناديق الاستثمارية التبادلية. وإن أكبر المسهمين الأجانب هم BP Amoco, Berkshire Hathaway. عندما صنفت فوربس 2000 «Forbes 2000» الشركات الرائدة عام 2006، أتت شركةPetro China في المرتبة الأولى بين الشركات الصينية وفي المرتبة الخامسة والخمسين عالمياً. ويعتقد بعضهم إمكانية ارتقائها، ففي آذار 2007، أبلغت الشركة عن اكتشاف أكبر حقل بحري في آسية في السنوات الثلاث والثلاثين الماضية.

تشاينا ناشيونال بيتروليوم كورب «شركة نفط الصين الوطنية»

China National Petroleum Corp

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 0135, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 155.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 53.7 في المئة

حصلت شركة CNPC على امتيازات نفطية في أذربيجان وكندا وكازاخستان وفنزويلا والسودان وإندونيسيا والعراق وإيران. وعلى الرغم

من الصحافة السلبية (تقول بعض المزاعم: إن شركة CNPC تموّل بطريقة غير مباشرة الحرب الأهلية في السودان) بدأت شركة تشغيل نفط النيل الأعظم (GNPOC)، وهو مشروع للنفط السوداني تمتلك شركة CNPC حصة فيه بالتصدير إلى الصين عام 1999، (ولكن لا يوجد أي دليل حقيقي على أنها تمول الحرب الأهلية. وكما يجادل ورن بوفيت Warren Buffett في اللقاء السنوي حيث أثبت استثمار CNPC أن الشركة الصينية هي ليست الشركة المالكة في هذه الحالة بل لديها مصلحة ثانوية). وأنشأت CNPC شركات تابعة من أجل خدمات الحفر وعمل المسح الجيولوجي، وتخطط لتوزيع أسهمها في الاكتتابات الدولية.

تشاينا بيتروليوم وكيميكال كوربوريشن «شركة النفط والكيماويات الصينية» China Petroleum & Chemical Corporation (Sinopec)
بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H؛ بورصة نيويورك

SHA: 600028, A-shares; HKG: 0386, H-shares; NYSE: SNP,ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 32.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 74.9 في المئة.

وهي أكبر منتج ومسوّق لمنتجات النفط مثل الغازولين ووقود الديزل ووقود الطائرات النفاثة والألياف الكيماوية والأسمدة الكيماوية التي تمثل ثلث دخلها. وعلى الرغم من أنها أُنشئت لتخدم منطقة جنوبي الصين إلا أنها الآن تعمل على نطاق وطني، وبدأت تشتري أصولاً نفطية خارجية. وإن أكثر نجاحاتها الملحوظة هي تطوير حقل النفط الإيراني يادواران

Yadavaran الذي يستطيع في الحقيقة إنتاج 300.000 برميل في اليوم. وعلى الطرف الثاني من الكرة الأرضية تملك ساينوبك Sinopec حصة 40 في المئة في مشروع رمال القطران الخفيف شمالي كندا.

تشاينا ناشيونال أوفشور أويل كورب

China National Offshore Oil Corp

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H ؛ بورصة نيويورك

HKG: 0883, H-shares; NYSE: CEO. ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 91.6 في المئة، ارتفاع الإيرادات 61.1 في المئة

إن عرضها لـ أنوكال Unocal سادس أكبر شركة نفط في الولايات المتحدة مع احتياطيّها في شمال شرق آسية قد تم معارضته من قبل الكونغرس الأمريكي عام2005، لكنه ساعد على وضع الشركة على المسرح العالمي.

وباشرت شركة CNOOC العمل في منتصف الثمانينيات عندما فتحت الصين أول احتياطيها الوطني للتنقيب مع الشركة التي حصلت على نصف الاكتشافات كلها.

تشاينا أويل فيلد سيرفيسس لميتد

China Oil field Services Limited (COSL)

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H؛ تداول من فوق المنصة

HKG:2883, H-shares; OTC:CHOLF, CHOLY

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 60.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 66.4 في المئة

إن قسم حقل النفط المستقل لشركة CNOOC جدير بالاهتمام ، فهي تخطط لإدراجه في بورصة شنغهاي أيضاً.

بدائل توليد الطاقة

يظن الكثيرون عند نطق كلمة «الصين» أن المداخن ممتلئة بالغازات المنطلقة من البيت الزجاجي، وأنهار وسماء قذرة، وأنها تمثّل علامة سوداء في العالم. ولكن الحقيقة أن الصين بدأت بالتفكير في إعادة النظر في قوانينها قبل أن يعلن عن انطلاق ألعاب الأولمبياد. مرّرت الحكومة الصينية في فبراير/ شباط من عام 2005 قانوناً يقضي بأن تقوم مصادر الطاقة القابلة للتجديد بتوليد 10 في المئة من الطاقة الصينية بحلول عام 2020. وإضافة إلى ذلك، دخل قانون الطاقة القابلة للتجديد في كانون الثاني من عام 2006 حيز التنفيذ، حيث يلزم هذا القانون مناطق إقليمية كبيرة التوقيعَ على الاتفاقيات مع شركة توليد الطاقة بوساطة الرياح على الأقل لشراء كل طاقتها المولّدة. وتخطط الحكومة لتنفق 200 بليون دولار أمريكي على الطاقة القابلة للتجديد على مدى الخمس عشرة سنة القادمة، وهذه أكثر من جهود رمزية. ووفقاً لما صرحت به رويترز في يوليو/تموز 2006 حيث قالت: «إن هذا النوع من المال سوف يمكنك من شراء شركة نفط بحجم شيفرون Chevron وسيأذن بتغير تمويل البرامج الحالية والمتجددة لكل شركات النفط الكبرى في أوروبة مدة خمس وعشرين سنة».

وبينما ينمو الضغط لتخفيف الاحتباس الحراري، ويجب على الفحم الحجري أن يُشحن إلى مناطق أبعد، ستأتي عندها الطاقة النووية لينظر

إليها بأنها الأنظف والأقل ثمناً في النهاية. ووصلت قدرة توليد الطاقة الموظفة في عام2006 إلى 508.41 ملايين كيلو وات مرتفعة إلى 14.9 في المئة عن عام 2005، على الرغم من أن الطاقة النووية تمثل 4 في المئة فقط من إجمالي الطاقة المولدة. واليوم، يأتي نحو 16 في المئة من إمداد الكهرباء العالمي من الطاقة النووية، ولكن 80 في المئة تقريباً تتولد من 441 مفاعلاً نووياً تجارياً عالمياً عمرها أكثر من 15 سنة. وللمحافظة على وضع الطاقة النووية في خليط الطاقة الكلي فإن المفاعلات الجديدة ستحل محل التي ستخرج من الخدمة. فالصين لديها عشرة مفاعلات تعمل وعلى الأقل أكثر من أربعة قيد البناء، وتخطط لبناء أكثر من 25 مصنعاً للطاقة النووية بحلول عام 2020.

وتمثّل المشروعات الكهرومائية أيضاً جزءاً كبيراً من خطة الصين لتقليل الاعتماد على الفحم الحجري والنفط. وتكافئ الكهرباء التي تنتج من محطة الطاقة الكهرومائية في أنحاء العالم كافة 4.4 ملايين برميل للنفط كل يوم. إن أسعار النفط الحالية العالية والمُتوقّعة جعلت الطاقة الكهرومائية مصدراً حيوياً للطاقة ولاسيما للبلاد النامية والمستوردة للنفط مثل الصين. وترغب الحكومة الصينية في زيادة توليد الطاقة المائية بنسبة 40 في المئة لتضيف للمزيج الكلي 16 في المئة من مصادر الطاقة القابلة للتجديد بحلول عام 2020.

ومما يدعو للدهش، أن فرصة تطوير الطاقة الكهرومائية في الصين ما زالت قائمة نظراً لأبدية هاجس السيطرة على فيضان الأنهار وحقول الري. ولكن إذا وُجد أي شخص يشك بأن الصين جادة بشأن حاجات

طاقتها وبنيتها التحتية فإن جدلية السدود الثلاثة الممتلئة Three Gorges Dam ربما تغير رأيكم. إن اقتراح بناء السدّ الموجود منذ مدة طويلة والمخطط له بطريقة حسنة منذ عام 1954، هو مشروع البناء الوحيد الأكثر كلفة في التاريخ.

إن فكرة بناء سد عبر نهر يانكتز Yangtze River للسيطرة على الفيضان ولجمه من أجل الطاقة الكهرومائية كان حلم عدة أجيال صينية منذ أيام الدكتور صن يات سن Dr. Sun Yat-sen الذي سبق ثورة الصين الديمقراطية. ومنذ عام 1954، سخّر المهندسون والعلماء الصينيون والأجانب أنفسهم للتخطيط والتصميم والعمل الاستشاري لهذا المشروع. فبدأ البناء عام 1994، وبدأ الخزان بالامتلاء في الأول من حزيران/ يونية عام 2003، وانتهى العمل الهيكلي في العشرين من أيار/ مايو عام 2006، وذلك قبل تسعة أشهر من الموعد، وما زال هناك مهمة تركيب المولدات، ومن المتوقع أن يكون السد جاهزاً للعمل في عام 2009. وهذا العمل لم ينجز من دون أن يكلّف الناس والبيئة، فقد شرّد 1.9 مليون شخص وحطم الطبيعة والعجائب الأثرية وربما يسبب المزيد من المشكلات. والشيء المؤكد هو أن Three Gorges Dam سيكون أكبر سد ومحطة لتوليد الطاقة الكهرومائية في العالم بعرض 1.2 ميل من الإسمنت وطول الخزان 370 ميلاً وبعمق 525 قدماً، حيث سينتج طاقة تساوي طاقة 15 مصنعاً للطاقة النووية، وهو أكبر سد على نهر يولد الطاقة الكهرومائية في العالم، وأكبر بخمس مرات من حجم سد هوفر Hoover Dam.

وبأقل ضجة مما سبق نفذت الصين مشروعاً آخر لتوليد الطاقة الكهرومائية يتضمن سلسلة من السدود على الجزء العلوي من النهر الأصفر Yellow River. وأنشأت شانكسي Shaanxi (المحافظة المركزية ويبلغ عدد سكانها 37 مليون نسمة)، وكنغهاي Qinghai (المحافظة الغربية ويبلغ عدد سكانها 5 ملايين نسمة)، وجانسو Gansu (محافظة غربية ويبلغ عدد سكانها 26 مليون نسمة) معاً شركة تطوير الطاقة الكهرومائية على النهر الأصفر Yellow River Hydroelectric Development Corporation ووُضعت خطط لبناء 25 محطة لتوليد الطاقة. وهي تقف عند هذا الحد، فشركة تطوير الطاقة الكهرومائية على النهر الأصفر ليست للتداول العام، ولا يوجد أي إشارة إلى نيتها جمعَ المزيد من رأس المال في الأسواق العامة.

وفي أثناء إحدى جولاتي الأخيرة في الصين لاحظت أثاثاً غريباً على سقوف البيوت القديمة الفخمة في المستعمرة الفرنسية السابقة في شنغهاي (كما كان يطلق هذا الاسم على المقاطعة التي تسيطر عليها قوة أجنبية). كنت أعتقد في بادئ الأمر أن هذه البدع نوع من رموز الرفعة الاجتماعية الغربية قبل أن أدرك أنها صفائح اللوحات الشمسية. وكذلك اكتشفت أن معدّات الطاقة الشمسية أصبحت شائعة في الصين حيث تستخدم الصين اليوم الطاقة الشمسية للبيت المبني في العاصمة أكثر من أي بلد آخر في العالم.

إن الماء الساخن الذي يتم توليده عن طريق الطاقة الشمسية في المدن والريف الصيني على السواء أوفر كثيراً من المصادر الأخرى، الأمر الذي

أنتج عملياً صناعة ضخمة بين ليلة وضحاها ووظّف 800,000 شخص عام 2005، وولّد 1.9 بليون دولار أمريكي. وما تزال أقل من 8 في المئة من إجمالي الأسر تستخدم المدافئ الشمسية. لذلك يوجد مجال واسع للنمو في الشركات التي تعرض مثل هذه التقنيات الجديدة وخاصة وسط ازدهار بناء العقارات.

تعهّدت حكومة مدينة شنغهاي بثلاثين مشروعاً يكمل البناء التحتي المدني بالطاقة الشمسية، والتزمت الآن بتركيب 100,000 لوحة شمسية، في حين ستضيف المحافظة الجارة جيانغسو Jiangsu 50,000 لوحة شمسية. وأعلنت بيكين Beijing عن خطط لبناء شارع شمسي حيث الأبنية والأنوار ومعالم أخرى ستعمل كلياً بالطاقة الشمسية. وعمد مخططو ألعاب الأولمبياد لاستخدام مولدات الطاقة الشمسية في أماكن الألعاب عام 2008.

تمتلك الصين ميزات طبيعية في هذه المنطقة أيضاً: إن ثلثي الأراضي الصينية تستقبل أكثر من 2000 ساعة من أشعة الشمس سنوياً، أكثر من العديد من المناطق الأخرى التي تقع على خط العرض نفسه بما فيها أوروبة واليابان. وبالتزامن مع إستراتيجيات تطوير البلد للمناطق الغربية الريفية استثمرت الصين 241 مليون دولار أمريكي في محطات كهرباء الطاقة الشمسية في البلدات الغربية الريفية.

وكما ذكرت فقد عملت الحكومة الصينية الكثير لتشجيع قطاع طاقة الرياح، فخفضت معدل الضرائب التي تواجهها مزارع الرياح إلى النصف،

وبأسلوب مشابه قللت من تعريفة الجمرك على استيراد مولدات توربينات الرياح من 12 في المئة إلى 6 في المئة. ونتيجة لذلك بنت أكثر من 30 شركة للطاقة ومن ضمنها الخمسة الكبار The Big Five لمرافق الكهرباء مزارع الرياح لإنتاج الكهرباء في الصين، واستثمرت بنحو متزايد أكثر من 1.24 بليون دولار أمريكي في هذا المجال.

وفي السنوات الأخيرة، ازدادت قدرة طاقة الرياح بمعدلات سريعة. ومع الصحاري الكبيرة في الغرب والهواء القوي القادم من سيبيريا فإن الصين لديها إمكانية كبيرة في هذه المنطقة أيضاً. وفي أواخر عام 2005، ركبت الصين 1,864 توربينة هواء بقدرة متزايدة تصل إلى 1.270 ميجاوات، وهذه القدرة تضاعفت بحلول عام 2006، حيث ازدادت المزارع من 61 مزرعة إلى 92 مزرعة. وفي هذه اللحظة تسخِّر الصين واحداً في الألف فقط من إمكانية طاقة الرياح لديها، وتحتاج لاستثمار 12.5 بليون دولار أمريكي للوصول لأهدافها. إن الطلب يتزايد بينما تعمل الحكومة للوصول لهدفها في الـ 30 جيجا واط لقدرة التوربينة المركبة بحلول عام 2020. وإذا توسعت مبادرات الصين لطاقة الرياح على النحو المخطط له فإن طاقة الرياح ستحل محل الطاقة الكهرومائية كثالث أكبر مصدر للكهرباء بحلول ذلك الوقت – بل ستتجاوز الطاقة النووية.

ومن حسن حظ الشركات الصينية أن الحكومة قررت أن تكون ثلاثة أرباع المعدات من إنتاج الصين، حيث كان الربع فقط في الماضي من إنتاجها. وإن أفضل طريقة للاستثمار في طاقة الرياح هي التفكير في شركات إنتاج التوربينات لمزارع الرياح. فقد غلب منذ التسعينيات

صانعو التوربينات الأوربيون الرئيسون المنافسين الصينيين المحليين في السعر، وذلك بسبب الإعانات الحكومية ضمن الاتحاد الأوروبي. وما زال صانعو التوربينات الصينيون متأخرين عن نظرائهم الأوروبيين في كل من التقانة والمقياس، فإذا لحقت هذه الشركات بالركب فقد تصبح بعض أكثر الشركات الرابحة في العالم في مجال طاقة الرياح. وستُزيد البدائل الصينية الرخيصة بنحو ملحوظ هامش أرباح منتجي طاقة الرياح الصينيين. وعندما تبدأ شركات توربينات الرياح المحلية وشركات طاقة الرياح بإدراج نفسها في البورصات سيشعر المستثمرون بالنسيم. إن التزام الصين الطاقةَ المتجددة في العقود القادمة سيغير استهلاك الطاقة ويحفز تقنياتها حول العالم، حيث إن كمية المال الداخلة على هذا القطاع مذهلة، فهل سيغير هذا من محفظتك الاستثمارية؟

ملفات جيم الصينية: حلّق مع رياح الصين إلى الرخاء

أريفا AREVA

EPA: 004524; OTC (Over-the Counter): ARVCF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 43.9 في المئة، انخفاض الإيرادات 7.2 في المئة.

تراقب الشركة النووية الوطنية المملوكة للحكومة الصينية (CNNC) تقريباً كل التطورات في الطاقة النووية، وهي ليست للتداول العام، على الرغم من أنه توجد تقارير دورية تقول إنه ربما يعيدون هيكلة بعض الفروع المدنية في إطار التحضير للإدراج، لذلك يطلب المستثمرون من التوسع النووي بعض الفوائد الثانوية الضرورية بالنظر إلى الشركات

الأجنبية التي تمد الصين بالتقانة النووية والمعدات. AREVA شركة فرنسية، وهي أول من أنشأ مصنعاً صينياً نووياً بالقرب من هونغ كونغ Hong Kong، ولديها بشكل ملحوظ خطط للتوسع في الصين. وأبقِ عينيك أيضاً على ويستنغ هاوس Westinghouse، وهي الآن شركة تابعة لتوشيبا Toshiba (TYO [Tokyo]: 6502; OTC: TOSBF) وهي من بين أولئك الذين يقدمون عروضاً لبناء مصنعَيْن جديدين يكلّفان فوق 7 بلايين دولار أمريكي.

سوفا تكنولوجي إندستري كو ليتد

SUFA Technology Industry Co., Ltd.

بورصة شينزن: أسهم فئة-A **SHE: 000777, A-shares**

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 94.3 في المئة. ارتفاع الإيرادات 20.1 في المئة

SUFA صانع الصمام الرئيس للمصانع النووية في الصين، وهي الشركة المدرجة الوحيدة المنتسبة لـ CNNC الشركة النووية الوطنية المملوكة للحكومة الصينية.

يو إس إي سي إنس USEC Inc.

بورصة نيويورك NYSE: USU

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 365.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 30.4 في المئة

إن شركة التعدين والتخصيب الأمريكية هذه تُعَد واحدة من شركات عديدة تستطيع أن تستفيد من احتياجات الصين المتزايدة لليورانيوم. وتنتج كندا أيضاً ثلث احتياجات العالم، وتعد كاميكو Cameco (بورصة نيويورك)

واحدة من أهم المنتجين. ويوجد أيضاً ETF's المتعلق بالتعدين مثل SPDR وS&P للتعدين والمعادن (AMEX: SME) مع بعض مخزون اليورانيوم. وشركة مشاركة اليورانيوم the Uranium Participation Corporation (يتم تداولها كسلعة ETF: TSX.U) في بورصة تورنتو Toronto.

بي إتش بي بيليتون لميتد .BHP Billiton Ltd

بورصة أستراليا

ASX (Australian Securities Exchange): BHP: NYSE: BHP, BBL (ADR); OTC: BHPBF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 224.2 في المئة. ارتفاع الإيرادات 40.5 في المئة

تنتج أستراليا 40 في المئة من اليورانيوم في العالم، وشركة BHP هي منتج أسترالي رئيس. وافقت أستراليا على البدء بشحن كميات كبيرة إلى الصين بعد عام 2010، طالما أن اليورانيوم يستخدم لأغراض سلمية.

دونغ فانغ إليكتريكال ماشينري كو لميتد

Dongfang Electrical Machinery Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة -A، بورصة هونغ كونغ: أسهم -H

SHA: 600875; A-shares; HKG: 1072, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 213.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 129 في المئة

إن شركة دونغ فانغ الكهربائية Dongfang Electrical متخصصة في المولدات الكبيرة، وقد شهد سهمها بنحو ثابت عائدات عالية.

سيشوان ماينغ هايدروباور كومباني

Sichuan Minjiang Hydropower Company

بورصة شنغهاي: أسهم فئة- A **SHA: 600131, A-shares**

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 477.9 في المئة. ارتفاع الإيرادات 86.5 في المئة

عملت هذه الشركة الإقليمية جيداً عبر الاستثمار الكبير في مجال الطاقة الكهرومائية، وذلك فقط تحت مراقبة شركات «الخمسة الكبار» للكهرباء.

تشاينا ينغ تسا باور كو China Yangtze Power Co

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A **SHA: 600900, A-shares**

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 19.1 في المئة. ارتفاع الإيرادات 21.2 في المئة

للمستثمرين الذين لهم علاقة بالتاريخ هذه طريق للمشاركة في الزلزال (حرفياً) Three Gorges Dam الذي بدأ يتحرك بعنف.

آ بي بي ABB

بورصة نيويورك

NYSE: ABB, ADR (Also on Swiss and Swedish exchanges)

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 219.1 في المئة. ارتفاع الإيرادات 21.2 في المئة

تملك مجموعة البناء السويسرية هذه عقداً بثلاث مئة وتسعين مليون دولار أمريكي للعمل على مشروع Three Gorges، ووصلت مبيعاتها في الصين إلى 2.8 بليوني دولار أمريكي عام 2006، وتهدف لمضاعفة هذا الرقم عبر عروض الطاقة الكهرومائية.

جينغسو صنشاين كومباني Jiangsu Sunshine Company

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-SHA: 600220, A-shares H

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 70.2 في المئة، ارتفاع الإيرادات 17 في المئة

مع السباق الشمسي الذهبي الجاري أصبح سوق الطاقة الشمسية واحداً من بين الأسواق التنافسية في الصين المدعومة من قبل الحكومة والمعززة بالطلب العالمي. إن النمو المتوقع للصناعة كلها هو بين 20 و30 في المئة. إن الاختيار بين عشرات الشركات التي تظهر كل عدة شهور قليلة يتطلب الكثير من العمل. سبق أن ألقيتُ الضوء على صنتك Suntech بوصفها واحدة من العلامات التجارية الكبرى في الصين، لكن جينغسو صنشاين Jiangsu Sunshine هي نسيج الشركة التي قامت بالاستثمار الكبير لتصبح واحدة من أكبر مصنعي الخلية الشمسية في العالم، بعد عقد تحالف مع الأستاذ الذي اخترع الخلايا، والذي يدعي بأنها تنتج ضعفي التقانة الحالية.

ترينا سولار Trina Solar

مؤشر ناسداك NASDAQ: TSL

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح إلى 13.17 مليون دولار أمريكي بعد خسارة 370,000 دولار أمريكي. ارتفاع الإيرادات 27,826.8 في المئة

هوت الأسهم بعد الاكتتاب العام الأولي لشركة ترينا Trina عام 2006. تقوم هذه الشركة بتزويد العديد من الشركات بوحدات الطاقة الشمسية وخصوصاً ألمانيا، وتصمم الأنظمة الشمسية العامة. ودخلت شركة جديدة إلى هذا المجال وهي LDK Solar Hi-Tech ولا بد أن تكون قد عرضت

إصداراً أولياً عبر مؤشر ناسداك NASDAQ لأسهمها عندما ينشر هذا الكتاب. صناعة الرقاقة الشمسية في محافظة جيانجكسيJiangxi فتحت العديد من مراكز البحث والتطوير بما فيها مراكز في سيدني أستراليا وكاليفورنيا وSunnyvale.

هونغ شي دونغ باي إلكتريكال أبلينس كومباني

Huangshi Dongbei Electrical Appliance Company

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-B **SHA: 900956, B-shares**

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 600.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 90.4 في المئة

إن تعميم تصنيع الأجهزة المعروفة بضواغط التبريد قد بدأ بخط الأجهزة التي تعمل بالطاقة الشمسية. حيث يوجد ثلاثة آلاف شركة صينية تصنع سخانات الماء التي تعمل بالطاقة الشمسية، وأكثرها شركات صغيرة وغير مدرجة مثل خمسة النجوم Five Star وشركة الهيمن للطاقة الشمسية Himin Solar Energy Group وسينغهوا يانغ جوانغ Singhua Yang Guang - راقب هذه الشركات.

جوديان تشنغ يوان إليكترك باور كومباني

Guodian Changyuan Electric Power Company

بورصة شينزن: أسهم فئة-A **SHE: 000966, A-shares**

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 10.4 في المئة. ارتفاع الإيرادات 2,462.4 في المئة

إن الشركة التابعة لشركة Guodian Changyuan هي شركة Longyuan Power Company وهي مسؤولة عن 46 في المئة من ناتج طاقة الرياح في

الصين. واستثمرت تشاينا داتانغ China Datang الموصوفة بـ powering up في مزارع الرياح.

ريباور سيستمس آ جي Repower Systems AG

بورصة فرانكفورت FRA (Frankfurt Stock Exchange): RPW

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح إلى 9.7 مليون دولار أمريكي بعد خسارة 13.2 مليون دولار أمريكي. ارتفاع الإيرادات 53.1 في المئة

ما زال المنتجون الصينيون يكافحون لاقتحام صناعة توربينات الرياح المربحة. ووقّعت شركة Repower Systems الألمانية اتفاقية ترخيصاً مع Dongfang Steam Turbine Works وهي شركة ليست للتداول العام مملوكة للدولة مركزها شمال غرب الصين وتحتل 30 في المئة من سوق التوربينات المحلي. وتعدُّ شركة الرياح الذهبية للعلوم والتقانة Gold Wind Science and Technology أكبر مصنّع توربينات محلي في الصين، وهي شركة غير مدرجة حتى الآن، هذا وقد اشترت تصاميم من Repower. الرياح الذهبية GoldWind مقرها في أورومتشي في غرب الصين حيث يوجد الكثير من الرياح ولا شيء آخر.


@Ahmedyassin90

5

النقل:
تمهيد الطريق

من بين كل المشاهد الغريبة التي صادفتها عندما وطئت قدماي طرقات الصين -وربما الأغرب هو أنني لم أرَ مثلها من قبل على الإطلاق- إن المدن الكبيرة مثل بيكين وشنغهاي وجوانجزهو المكونة من أكثر من عشرة ملايين نسمة لا تحتوي اختناقات مرورية، وذلك لعدم وجود حركة مرور أصلاً - وفي الحقيقة، لا يوجد هنالك سيارات خاصة. يبدو أن «الطرقات الدائرية» التي شكّلت الطوق الصيني العملاق حول العاصمة الصينية، التي بناها ماو لتحل محل حائط المدينة القديم الذي هدمه، هي من أجل العرض أكثر من كونها للاستخدام الفعلي. ظهرت شاحنات النقل الخالية من العلامات التجارية، وسيارات الأجرة لخدمة السيّاح الغربيين الأوائل لتضم إلى أبطأ حركة مرور مخيفة على الطرق الفارغة. وانتشر في الليل المشاكسون الذين شغلوا أرصفة الطرق بغرض المتعة، ولكنهم هم والمخططين الصينيين ربما تنبؤوا بالشيء القادم. فلم تعد ساعة الازدحام في المدينة المحرمة Forbidden City أمراً ممتعاً كما هو الحال في التفاحة الكبيرة The Big Apple.

كانت الصين منذ سنوات قليلة مضت بلداً يتنقّل فيه الناس على الدراجة، وخُصّص للمسافرين الصبورين جانب من الطريق، فبالطبع ما زالت الصين تُصنّع ثمانين مليون دراجة هوائية لعام 2006، وهو ما يعادل 80 في المئة من الإنتاج العالمي (و تسيطر الصين أيضاً على تصنيع الدراجة النارية). تعدّ الدراجة الهوائية للكثيرين من الصينيين الاختيار الثاني لإبقائها في صندوق السيارة. يروّج المسؤولون في الحكومة اليوم لاستخدام الدراجة بدلاً من السيارة وذلك لمكافحة التلوث قبل أولمبياد بيكين؛ واضعين خطوطاً عريضة لعمل شيء كان يعدّ قبل سنوات قليلة فقط أمراً اعتيادياً، ألا وهو ركوب الدراجة إلى العمل.

نمت صناعة السيارات في الصين بسرعة أكبر من الاقتصاد كله، وقد تطلب ذلك بعض العمل. عام 2006، خططت الصين قبل اليابان لتصبح السوق الثاني عالمياً لاستخدام السيارات. ومن المتوقع أن تتجاوز الصين - التي وصل ناتجها السنوي إلى خمسة عشر مليون وحدة- الولايات المتحدة كأكبر منتج عالمي للسيارات بحلول عام 2020. حالياً تمتلك الصين علامات تجارية للسيارات في السوق أكثر من الولايات المتحدة. ولكن ما يزال في المدن الصينية الكثير من مرائب سيارتين التي لا تمتلك حتى سيارة واحدة. في الوقت الذي يوجد خارج حدود الريف ملايين الأميال التي لا تعد ولا تحصى بانتظار تعبيدها وتصميمها بأفضل أفكار ديترويت وطوكيو Tokyo Detroit.

عندما أنظر إلى الصين اليوم أراها وكأنها الولايات المتحدة قبل مئة عام، حتى قبل انطلاق هنري فورد بسيارته موديل تي Model T، وقبل

انتعاش اليابان بعد الحرب العالمية الثانية. هناك الكثير من المستهلكين وسائقي الشاحنات الذين لم يجلسوا حتى الآن خلف مقود القيادة. وهذا يترك مجالاً واسعاً على الطرق للنمو في المستقبل: فلدى الولايات المتحدة سبع مئة سيارة لكل ألف شخص، بينما تمتلك الصين أربعاً وعشرين سيارة لكل ألف شخص، على الرغم من الازدحام المتزايد.

إلى اللقاء أيتها الدراجة الموثوقة، وأهلاً بسيارات الصين المثيرة ذات السقوف القابلة للكشف. حتى لو كان التهافت على صنع سيارات محلية لطاقة إنتاجية فائضة أولاً، ولتخمة في السيارات الصغيرة القديمة ثانياً، فإن وسائط النقل ذات الأسعار التي هي في متناول اليد ستعني ارتفاعاً في إيرادات الطرق والقائمين على تشييدها وقطع الغيار والصيانة والمورّدين والسياحة ذات الصلة. أي في الحالتين ستكون هناك مكاسب كثيرة من صعود الصين إلى دفة القيادة في صناعة السيارات العالمية.

جنود الطريق

لقد كنت محظوظاً بأن استمتعت في أول رحلة لي عبر الصين وذلك عام 1988. لم تكن آنذاك في الصين طرقات سريعة ولا حتى طريق واحد. كانت عجلاتي تغوص في رمال الصحراء القاسية وكنت أتساءل فيما إذا كنت سأكمل الطريق بسلام. عبرت جداول موحلة وتمايلت حول شقوق واسعة في الطريق، في الوقت الذي كان على سائقي الشاحنات الانتظار طويلاً للعبور. إن الطريق الريفي اليوم معبّد كلياً. فقد تعلم الصينيون بناء الطرق السريعة من الألمان واليابانيين والأمريكيين. وباختصار، بنو سريعاً عدداً من الطرق -أكثر من مئة واثنين وعشرين طريقاً بحلول

نهاية عام2006- طرق جديدة ونظيفة وعصرية. نعم يا رفاق، طرقات جيدة! «إذا أردت مرور الطريق فادفع كلفة العبور!» وهو مثل صيني آخر. إن من يقبض ثمن الطريق اليوم ليسوا بقطاع الطرق بل بناة الطريق.

لا يوجد قانون في الطبيعة يقول: إن أفضل الطرق يمكن فقط أن تُبنى من قبل أصحاب قبعات راعي البقر أو شاحنات شيفي Chevy trucks. فقبل الغرب بوقت طويل صنع الصينيون العجائب في الهندسة المدنية: أنظمة طرقات مائية ضخمة مثل القناة الكبرى التي يصل طولها نحو 1,114ميلاً، وهي القناة الأكبر في العالم وقد بدأ بناؤها عام 486 قبل الميلاد، وتحتوي أربعة وعشرين قفلاً ونحو ستين جسراً. ويعد سور الصين العظيم، 3,946 ميلاً رائعة من روائع الهندسة المدنية -الذي عذراً يا رفاق- لا يمكن رؤيته من الفضاء، ولكن عندما رآه ريتشارد نيكسون قال فيه: «إنه حقاً جدار عظيم».

تحت اسم الاشتراكية، كان شعار الصين في التصنيع الإجباري «إعادة بناء الصين». والعبارة التنفيذية اليوم هي «طرق سريعة إلى الجنة» حيث تم إنشاء 28,210 أميال من الطرق السريعة بحلول نهاية عام 2006، يحق للصين أن تفتخر بثاني أطول شبكة طرقات مساوية تقريباً لتلك التي في كندا وألمانيا وفرنسا مجتمعة. وأُضيفَ في السنوات الأربع الأخيرة نحو 3,000 ميل من الطرق السريعة لمعدل كل سنة. وهناك خطط جارية لبناء وتعبيد الطرق ما يصل إلى ثلاثة أضعاف العدد الحالي.

ربما ستبدو الطرق في الصين كما الطرق في أمريكا، ويعود الشكر لإعلان مكدونالدز McDonald's التي قالت إنها ستنشئ ثلاثين ألف

طريق خاصة كملحق لمحطات غاز Sinopec شركة المنتجات البتروكيماوية الصينية على الطرق السريعة الرئيسة. (وفي الوقت الذي تسعى فيه الشركات الأجنبية للاستثمار في سوق الغازولين، وهو مصدر للأرباح في الغرب، فإن بيع التجزئة واستثمار العلامات التجارية يعد جيداً إذا اقترن بوجود محطات البنزين في مواقع تزخر بحركة المرور).

لطالما عُدَّ إنشاء الطريق الريفي السريع أحد الوجوه الرئيسة لبرنامج خفض الفقر الوطني الذي رفع مورد الرزق إلى ثمانين مليون شخص منذ عام 1994 ولغاية عام 2000. وطمست الطرق السريعة الفارق بين المدينة والريف الصيني، فعلى سبيل المثال منطقة لونغ غانغ Longgang الخاضعة للتطوير ذات المليون نسمة تقريباً؛ وهي منطقة قريبة من وينزهو Wenzhou سكانها من الفلاحين تركوا وراءهم أرضاً جدباء و«قدموا من الجبل»، يحصل سكانها البالغ عددهم أربعة آلاف ومئة نسمة اليوم على الخدمات المدنية.

ولدعم هذا التوسع تقوم الحكومة الصينية باستمرار بتنقيح القوانين والقواعد لجذب الاستثمار الأجنبي وجعل الأنظمة أكثر شفافية لتخدم المستثمرين، والمؤسسات الاستثمارية ذات النفوذ المالي التي تموّل المشروعات الضخمة خاصة. حتى وقت قريب، سُمح للشركات الأجنبية وأغلبها من هونغ كونغ وتايوان بإنشاء المشروعات المشتركة مع الشركات الصينية لتطوير أنظمة الطرق السريعة، وأنظمة الاتصال وأنظمة الخدمات البريدية والعديد من مشروعات البنية التحتية الأخرى، وعرضت العديد من الحكومات المحلية للمستثمرين الأجانب عوائد وإعفاءات ضريبية على مشروعات البنية التحتية مثل مشروعات الطرق والمطارات.

إن بناء الطرق الصينية التي تتلقى تمويلها بكثافة من الحزب الشيوعي عُرقلت من قبل السياسيين الفاسدين الذين استغلوا الناخبين الريفيين. وفي قضية حظيت بتغطية إعلامية واسعة، حُكم على مسؤول الطرق السريعة في مقاطعة سيشوان بالموت لقبوله رشى. وبالوتيرة نفسها، أعلنت إدارة بناء الطرق في مقاطعة زيانغ Zhejiang فجأةً امتلاك دار سمسرة عام 2006 في خطوة عُدّت ابتعاداً عن كفاءتها الأساسية التي أدت إلى تخلي المستثمرين عن أسهمهم.

إن الحاجة لبنى تحتية جديدة في هذا البلد العصري هي دوماً في ازدياد. فستستثمر بيكين 33.7 بليون دولار أمريكي في أولمبياد 2008 وحده، حيث خُصص من هذا المبلغ 64.3 في المئة للتشييد. ومن الممكن أن تفتر صناعة البناء بعد إتمام طفرة الأولمبياد، وربما يصيب الطاقة الفائضة الشيء نفسه الذي أصاب البلدان الأخرى بعد انتهاء الأولمبياد في بلادهم. ولكن بالكاد يوجد مدينة صينية لم تحصل على مركز مدني جديد أو طرقات أو مطار أو سد أو مشروع إسكاني رئيس في المخططات. إن الصين ضخمة جداً ولديها خطط طموحة، حيث يصعب تخيّل ألّا يبقى لدى قطاعها للبنى التحتية قدر من المشروعات اللازم إقامتها.

إن الصين هي المكان الذي لا يجب عليك وضع النقود التي حصلت عليها بشق الأنفس في جيوب باعة السيارات المستعملة، ففي الصين تستطيع أن تستثمر في الطرق التي تُستعمل على نطاق واسع.

ملفات جيم الصينية: بناء طبقة من الأسفلت

جيانغ سو إكسبرس وي كو ليمتد Jiangsu Expressway Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600377, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 36.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 32.2 في المئة

ليس بالضرورة أن تكون مصرفاً عالمياً في الصين لتحصل على حصة لتمويل الطرق السريعة الرئيسة. يوجد أكثر من عشرين شركة بناء وإدارة طريق سريعة مدرجة في بورصات هونغ كونغ والجزيرة.

فقد استفادت هذه الشركة من النمو السريع لمقاطعة جيانغ سو Jiangsu والمنطقة الخصبة حول شنغهاي مع نمو الناتج المحلي الإجمالي 50 في المئة أعلى من المعدل الوطني، وقفز نمو مالكي السيارات الخاصة أيضاً 35 في المئة سنوياً. فلا عجب أن رسوم الطرق السريعة تمثّل 64 في المئة من العائدات.

زهاينغ إكسبرس وي كو ليمتد Zhejiang Expressway Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 0576. H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 37 في المئة، ارتفاع الإيرادات 52.1 في المئة

استفادت هذه الشركة أيضاً من كونها في مركز الصين الساحلية، حيث يسير الناس على طول الطرق السريعة شنغهاي -هانغزهو Shanghai-Hangzhou بالإضافة إلى هانغزهو-نينغبو Hangzhou-Ningbo، حتى إنهم يملكون أعمالاً تجارية على طول الطريق مثل محطات وقود ولوحات الإعلانات.

أنهوي إكسبرس وي كو لميتد .Anhui Expressway Co., Ltd

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H

SHA: 600012, A-shares; HKG: 0995, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 96.9 في المئة. ارتفاع الإيرادات 33.6 في المئة

تشغل أنهوي Anhui خمسة طرق سريعة وقد أضافت خطوطاً جديدة استجابة للنمو السكاني السريع في عاصمة أنهوي Anhui، هيفاي Hefei (4.4 مليون نسمة).

تيانجن بورت ديفيلوبمينت هولدينغ لميتد

Tianjin Port Development Holding. Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H

SHA: 600717, A-shares; HKG: 3882, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 290.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 29.6 في المئة

إن تيانجن Tianjin هي المرسى الرئيس شمالي الصين، وتعد هذه الشركة واحدة من الشركات القليلة لإدارة الموانئ التي استطاعت إدراج أسهمها في بورصات الخارج.

شنغهاي كونستركشن كو لميتد «شركة بناء شنغهاي»

Shanghai Construction Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A وB SHA: 600170, A- and B- shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 21.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 48.3 في المئة

هل أنت بحاجة إلى بنّاء؟ تتضمن مشروعات الشركة الرئيسة إعادة تأهيل مطار شنغهاي الدولي بودونغ Pudong وطريق زهونغ هوانكسيان Zhong-huanxian السريع.

قيادة آلية بأربع عجلات

إن الطلب يتزايد من المستهلكين المتعطشين مع هبوط الأسعار الذي يرجع إلى تحسن كفاءة المبيعات والإنتاج بسبب الإنتاج الضخم: فلا عجب أن شركات السيارات تتمنى بعضاً من السوق الصينية. لكن في النهاية، ستستحوذ السيارات المصنوعة من قبل الصينيين؛ أنفسهم على الطرقات، حيث يوجد سلفاً 130 شركة سيارات محلية تصنّع سيارات الركاب في الصين، وهو رقم يفوق أي رقم في أي بلد آخر في العالم. إن العديد من هذه الشركات لن يكتب لها البقاء في السنوات القليلة المقبلة، ولكني أظن أن بعضها يمكن أن ينبثق كشركات عالمية.

تملك شركات السيارات الأجنبية اليوم أسماء تجارية لامعة وسمعة خاصة بها تدعمها في السوق الصينية، في حين ما يزال المستهلكون الصينيون العاديون يشكّون في جودة المنتجين المحليين، تباع نماذج مطابقة للسيارات الأجنبية المجمعة في اليابان أو أوروبة أو الولايات المتحدة (التي تدعى بالعامية «التجميع في بلد المنشأ») بسعر أعلى، بالمقارنة مع تلك التي تجمّع على أرض الصين (التي تدعى «التركيب خارج بلد المنشأ»). وسيدرك الصينيون يوماً ما قدراتهم الخاصة على إنتاج واحدة من أفضل السيارات، والأكثر وثوقاً في العالم، عندها فقط يمكن أن تخرج السيارات العالمية إلى السوق بأسماء مقلوبة رأساً على عقب.

هناك عدد قليل نسبياً من اللاعبين العالميين في مجال السيارات، حيث تحتل الأسماء الستة الأوائل للسيارات -GM, Ford, DaimlerChrysler Toyota, Honda, Nissan- جي إم، فورد، دايملر تشريسلر، تويوتا، هوندا، نيسان أكثر من 85 في المئة من السوق العالمية، ولكن فيما يتعلق بالشركات الأجنبية التي تدخل السوق الصينية يتطلب الأمر تحالفاً مع شركة محلية في مشروعات نسبة الشراكة فيها لا تزيد عن خمسين في المئة 50-50.حيث تعود هذه التحالفات بالفائدة الكبيرة على الشركاء المحليين. فعلى سبيل المثال، أنشأت سيارات شنغهاي Shanghai Automotive مشروعات مشتركة مع كل من فولكس فاغن Volkswagen وجنرال موتورز General Motors، ولا تهتم سيارات شنغهاي إذا خسرت فولكس فاغن زبائنها لمصلحة جنرال موتورز أو بالعكس. فهي تستفيد من المبيعات على الجانبين، وفي الوقت نفسه، تتبنى الشركة التقنيات المكشوفة نتيجة العمل المشترك مع الشركتين العالميتين لتطوّر إستراتيجيتها الخاصة بها.

قدمت سيارات شنغهاي في يونيو/ حزيران لمحة عما تخبئه لشركاء المشروعات المشتركة الأجانب؛ عن طريق الإعلان أنها ربما تعرض 2 بليوني دولار أمريكي في الاكتتاب الأولي العام في بورصة هونغ كونغ. وفي وقت لاحق من ذلك الشهر أعلنت سيارات شنغهاي أنها انتقت رئيساً لجنرال موتورز الصينية، وهو فيليب مورتف، وعينته مشرفاً على التصنيع الخارجي. وبعد شهر أعلنت الشركة عن خطط لإنفاق 1.7 بليون دولار أمريكي لتطوير علامتها التجارية بحلول عام 2010. وتقوم خطتها القصيرة الأمد على تقليل اعتمادها على كل من جنرال موتورز وفولكس فاغن.

ذات مرة باعت فولكس فاغن VW ثلاث سيارات من أصل عشر في الصين، ولكنها شهدت هبوطاً في حصتها إلى 17في المئة عام 2006. وباعت عبر مشروعين مشتركين أكثر من 690.000 سيارة في الصين عام 2006، في حين وصلت مبيعات الـ GM لنحو 400.000 سيارة. وكلاهما ستكون معتمدة أكثر وأكثر على الصين؛ لتبقيان في مضمار التنافس، ولمواجهة انخفاض الأرباح وزيادة المنافسة في الولايات المتحدة عرضت GM نماذج مطوّرة تحت عدد من الأسماء التجارية وهي ملتزمة في الصين بالسيارات الكهربائية الهجينة الأسرع من تلك الموجودة في الولايات المتحدة. دفعت هوندا وتويوتا أيضاً خطوطاً جديدة إلى السوق الصينية. وتوقعت فولكس فاغن مضاعفة عدد السيارات التي تصنّعها في الصين بحلول عام 2008، لتصل إلى 1.6 مليون سيارة. وحتى الآن، كان لضريبة 2007 على السيارات الفخمة في الصين، التي هدفت لترشيد استخدام الوقود، القليل من التأثير بوجود المسؤولين الكبار الراغبين في الإنفاق الباذخ من أجل سيارات الكاديلاك Cadillacs والبويك Buicks.

في الوقت الذي تحاول فيه الحكومة الصينية إبقاء الأسماء التجارية الأجنبية بعيدة عن الصين، انخفضت الرسوم الجمركية من 50 في المئة عام 2003، إلى 25 في المئة في حزيران عام 2006.

وهذه الرسوم ليست مختلفة كثيراً عن التعريفات في كثير من البلدان الآسيوية الأخرى. وقامت بعض الشركات بالالتفاف على هذه الرسوم بوساطة بناء معامل أو أجزاء من المصانع في البر الصيني (حتى هذه

يجب أن تُصدّر). وربما ما تزال الأسماء التجارية التي لا نعرفها هي التي تمد المستثمرين بالقوة اللازمة. احتلت صناعة السيارات المحلية عام 2005 27 في المئة من السوق الصينية، ولكن هدفها أكبر من هذا الحد. فقد قال الرئيس التنفيذي لإحدى شركات السيارات الصينية: «كلما امتزجت صناعة السيارات الصينية بالسوق العالمية فإن كيفية اختيار شركات السيارات الصينية لإيجاد الكفاءات والعلامات المستقلة شيء مهم جداً يجب أخذه بالحسبان».

احتلت الصين المركز الأول في تصدير السيارات والشاحنات عام 2006، حيث مثّلت الصادرات 120 في المئة السنة الماضية. وكان هذا عام الشركة الصينية أول مرة فقد أحدثت جيلي Geely حركة في عرض النماذج في معرض ديترويت Detroit للسيارات. وسعت وزارة التجارة لجعل صادرات السيارات وأجزائها تصل لـ 120 بليون دولار أمريكي في عشر سنوات. وفي آب (أغسطس) من عام 2006، رُشحت ثمانُ مدن من قبل الحكومة الصينية لتكون مناطق لتصدير السيارات، وستُقدم الحكومة العديد من الحوافز الضريبية لتشجيع تصدير السيارات في تلك المناطق. هذه المناطق هي: الموانئ الساحلية لشنغهاي وتيانجن وإكسيامن وتيازهو Shanghai، Tianjin, Xiamen, Taizhou بالإضافة لمدن نهر يانغ تز Yangtze وهان ووهو وشونغ كنغ Wuhan, Wuhu, Chongqing وشمال شرقي شنغ شن Changchun. وستزود هذه الشركات الإقليمية المنطقة بوسائل أخرى للاستثمار في صناعة السيارات الصينية المحلية.

يوجد، في الحقيقة، حالياً طاقة إنتاجية فائضة في مجال تصنيع السيارات في الصين، لذلك من الأفضل البحث عن مستفيدين ضمن هذا الإطار في مجال شركات مكونات السيارات مثل الزجاج أو الإطارات أو سلسلة الفنادق الرخيصة. في حين سيبقى الوحش الهائل لعالم السيارات يصدم رأسه بالآخر، وربما يكون بر الآمان في الاستثمار في قطع غيار سريعة الانتشار وسوق التوريد. لأكثر من عقد، تغيرت سمعة شركات قطع غيار السيارات الصينية في الصناعة من إنتاج نوعية رديئة، وقطع ذات أسعار رخيصة إلى أفضل المصنعين وأصحاب الجودة العالية في العالم.

حتى إن جنرال موتورز اشترت بـ 200 مليون دولار أمريكي قطع غيار للسيارات من صنع الصين عام 2005. وفي السنة ذاتها بدأت الصين، للمرة الأولى، بتصدير قطع غيار السيارات أكثر من القطع التي تستوردها (في الوقت الذي تعيش فيه الصناعة في أمريكة فوضى عارمة وتجد صعوبة متزايدة في المنافسة داخل الصين). وفي عام 2006، انضمت الولايات المتحدة للاتحاد الأوربي في تقديم مطلب لمنظمة التجارة العالمية لتغيير سياسة التعريفة الصينية المثبطة لاستيراد قطع غيار السيارات.

من الأسباب التي جعلت الحكومة الصينية تؤجل عمداً إعادة تقويم العملة هي مساعدة دعم الصناعات الصينية الناشئة مثل صناعة السيارات. وعندما تحرر الحكومة الرينمينبي وترتفع قيمة العملة ستصبح السيارات المستوردة أرخص بالنسبة للزبائن الصينيين، ويرتفع الطلب على السيارات الأجنبية. وهذا سيجعل الأمر أسهل بالنسبة للشركات

الصينية لتتوسع عبر ممتلكاتها الأجنبية. إن أفضل المعروف هو طبعاً سيطرة نانجينغ أوتو موبايل Nanjing Automobile على الشركة البريطانية المحترمة روفر Rover. وقامت نانجينغ في الوقت الحاضر بإعادة أنظمة التجميع والوظائف إلى الصين لأنها تأمل إنعاش سيارات جي إم GM الرياضية المميزة كسيارة صُنعت قطعها في الصين.

تُصدّر الصين نماذج للسيارات الصغيرة ذات السعر المنخفض لثلاثين دولة أغلبها من البلدان النامية. يبدو أن سيارة جيليAuto Geely وسيارة شيري Chery Auto أفضل المستعدين للتوسع. وربما أن سيارة شيري Chery Auto هي نسخة مطوّرة عن شيفيChevy، أو شيري «cherry» التي هُجِّيَتْ خطأ، لكن خططها في التوسع ليست مزحة -بالرغم من أن مبيعات نماذجها الصغيرة من السيارات إلى الأمريكيين لا تزال صعبة حتى الآن. وبعض مبيعات إيدسل Edsels ربما تكون على الطريق، لذا ربما تكون كامريس Camrys المستقبل. ومن كان سيفكر يوماً ما في أن الأمريكيين سيقضون عطلهم في Korean Kias؟

ملفات جيم الصينية: دليل السيارات

شنغهاي أوتو موتيف كو ليتد «سيارات شنغهاي»

Shanghai Automotive Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600104, A-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 28 في المئة. ارتفاع الإيرادات 307.2 في المئة

سيارة الصين العملاقة، شريكة في المشروعات المشتركة مع GM وVW وسانغ يونغ الكورية Ssangyong. عرضت سيارات شنغهاي عام 2006

العلامة التجارية لسيارتها الفخمة، روي Roewe 750 سيدان، ولديها خطط لعرض ثلاثين نموذجاً مختلفاً بحلول عام 2010 حيث ستصدّرها في النهاية. وارتفع حجم مبيعاتها عام 2006 إلى 1.34 مليون سيارة.

تيانجن فاو زيالي أوتوموبايل كو لميتد

Tianjin FAW Xiali Automobile Co., Ltd.

بورصة شنزن: أسهم فئة-A SHE: 000927, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 1,032.5 في المئة. ارتفاع الإيرادات 46.6 في المئة

باعت زيالي Xiali تقريباً مئتي ألف سيارة عام 2005، وقد شاركت شركة تويوتا. ربح مشروعها المشترك سيارة أودي A61 جائزة «سيارة الصين لسنة 2005» الممنوحة من قبل التلفاز المركزي الصيني. ولكن زيالي ربحت أيضاً «العلامة التجارية لسيارة الصين المستقلة لسنة 2005» لسيارة الركاب الخاصة بها فولكسين Fulixin N3. وقال المدير التنفيذي لسيارة زيالي Xiali: «إن الفولكسين هي خطوتنا الأولى نحو سيارة صينية حقيقية».

تشونغ كنغ شنغ غان أوتو موبايل كو لميتد

Chongqing Changan Automobile Co., Ltd.

بورصة شينزن: أسهم فئة - A؛ أسهم فئة - B

SHE: 00625, A-shares; 200625 B-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 50.9 في المئة. ارتفاع الإيرادات 38.6 في المئة

إن من بين العلامات التجارية المحلية التي ربما ترغب في أخذها لاختبار الدوران هي شنغ غان Changan، شريكة فورد للسيارات Ford Motor في الصين.

جيلي أوتو موبايل هولدنغز لميتد .Geely Automobile Holdings Ltd

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - H؛ تداول من فوق المنصة:GELYF

HKG: 0175. H-shares ; OTC: GELYF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 164.9 في المئة. ارتفاع الإيرادات 298.1 في المئة

أملت جيلي، التي كان ظهورها الأول في ديترويت Detroit، بيعَ السيارات في الولايات المتحدة بحلول عام 2008. ولكن اختبار الاصطدام وضوابط الانبعاث لم تكن بالمستوى المطلوب. وعلى الرغم من ذلك فلم يمنع هذا ارتفاع أسعار الأسهم في مؤشر هونغ كونغ فوق المعدل. وحذاري من الخلط بين شركة جيلي وشركة شيري أوتو موبايل .,Chery Automobile Co وهي شركة غير مدرجة للتداول العام حتى الآن. وتُصدّر سيارات ذات سعر منخفض إلى العديد من البلدان النامية، ولديها مصانع في روسيا وإيران.

جريت وول موتور كو لميتد .Great Wall Motor Co., Ltd

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - H؛ تداول من فوق المنصة:

GWLLF HKG: 2333, H-shares; OTC: GWLLF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 51.5 في المئة. ارتفاع الإيرادات 54.4 في المئة

إن جريت وول Great Wall شركة رائدة في مجال سيارات الدفع الرباعي والشاحنات الصغيرة، تُصدر منذ عام 2001 إلى الشرق الأوسط وجنوب أمريكة.

وانكسيانغ كيانشاو كو لميتد .Wanxiang Qianchao Co., Ltd

بورصة شنزن: أسهم فئة-A SHE: 000559, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 15.2 في المئة. ارتفاع الإيرادات 44.7 في المئة

يوجد في الصين، بحسب آخر الإحصاءات، 4,447 مُصنّع رئيس لقطع السيارات ووانكسيانغ Wanxiang هي أكبر المصنّعين. فقد بدأت محلاً لتصليح المعدّات الزراعية، وتُصنف الآن على أنها أكبر شركة غير مملوكة للدولة في الصين. حتى إن الشركة توظف ما يقارب ألف شخص في الولايات المتحدة وأوروبة. وللحصول على المزيد من الزبائن قامت الشركة بشراء العديد من الشركات الأمريكية.

ويشاي باور كو ليتد .Weichai Power Co., Ltd

بورصة شنزن: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H؛ تداول من فوق المنصة: WEICF

SHE: 000338, A-shares; HKG: 2338, H-shares; OTC: WEICF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 32.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 7.78 في المئة

المنافس الرئيس لـ وانكسيانغ Wanxiang

دنويه موتورز ليتد .Denway Motors Ltd

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - H؛ تداول من فوق المنصة:

DENMF HKG: 0203, H-shares; OTC: DENMF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 10.1 في المئة، انخفاض الإيرادات 16.8 في المئة

مورّد لقطع السيارات الرئيسة.

مسار آخر

بالتأكيد، من الصعب جداً على الصين ترك الشكل الأوربي المكرّس لقطاراتها، في حين تحتضن انطلاق السيارات المثير على الطريقة

الأمريكية. وتبقى مواصلات السكك الحديدية الاختيار الأول لسكان البلد فيما يخص الرحلات التي تبعد أكثر من ستين ميلاً.

بنى التجار البريطانيون أول سكة حديد في الصين في شنغهاي عام 1876، ومنذ ذلك الوقت سحب «الديك الحديدي» في الصين كل أثقال البلد الصناعية منها والبشرية. حتى عندما أشعل الرئيس ماو Mao الثورة قادها من عربة قطار خاصة وأتاح لحرسه الأحمر -أن يركبوا القطارات متى شاؤوا- أما اليوم فالقطارات مُجهزة بالمفارش والأغطية ويجتهد الحمّالون لإعادة ملء تِرْمُس المياه الحارة، حيث تساعد مقصورات الدرجة الأولى في الصين على تسهيل رحلات القطار اليومية المتعددة عبر المساحات الشاسعة في البلد والممرّات الجبلية المتعرجة (الطريق الغربي بين تشنغ دو Chengdu وكونمينغ Kunming التي تفتخر بامتلاكها أنفاقاً كثيرة على أي خط في العالم). ولم أجد حتى اليوم أفضل طريق لنحكم عبره على تقدم الصين أو تخلخلها الاجتماعي أفضل من فحص المحطات الرئيسة للمدينة الكبيرة ولا سيّما مغنطيسات العمل مثل جوانغزهو Guangzhou وشنغهاي Shanghai التي تجذب الوظائف إليها. الأرصفة والطرقات الجانبية تحولت هنا إلى مدن مؤقتة ومزدحمة حيث يتوقف «السكان العائمون» للتخييم أو النوم أو انتظار وسيلة نقل. وتجلس مجموعة محددة من الفلاحين القرفصاء في المحطات المسخمة (المسودة) التي تصنع واحدة من المناظر البشرية التي لا تنسى التي تشاهد فقط في أكثر بلد مزدحم في العالم وهو اليوم أكثر البلدان التي لا تكل ولا تمل.

يوجد في الصين أكثر من عشرة بلايين رحلة سفر كل سنة. كمدخل للحديث، أتمت الصين أكثر خطي سكة الحديد إثارة للإعجاب. والأحدث في هذين الطريقين أنهما «الأعلى في العالم» مساراً بطول 1,251 ميلاً لكي يمر في القفار المتجمدة frozen tundra. بلغت كلفته 4.2 بليون دولار أمريكي ووضع حيز العمل في يوليو/ تموز عام 2006. تخطط الصين لتوسيع ثلاثة خطوط عبر منطقة الجبل، لتربط أخيراً بالهند عبر حدودها. يعبر اليوم أربعة آلاف مسافر يومياً طريق التبت الجديد، الذي يبدو مثيراً، حتى إنه ربما يخرجني من المَسْنَد أو مقعد السائق. هذه ليست فقط تجربة سائح مذهلة، فهذا الخط الجديد الذي يعد صلة نقل سيسرّع -في كل الأحوال- عملية دمج التبت في الاقتصاد الصيني الذي من المحتمل أن يخلق فرصاً استثمارية أكثر في المنطقة التي ما تزال نسبياً غير متطورة (على الرغم من أن الشركتين اللتين تديران طريقي القطار غير مدرجتين للتداول العام).

طريق ثانٍ بكلفة 1.2 بليون دولار أمريكي ألماني التصميم كبير الاستيعاب يغطي المسافة من مطار شنغهاي الجديد بودونغ Pudong إلى مدينة شبكة مترو الأنفاق، ويسير بسرعة 267 ميلاً في الساعة، وسيرتبط في النهاية بهانغزهو Hangzhou، التي تبعد خمسة وثلاثين ميلاً، في خمس عشرة دقيقة. وبوجه عام، إن مثل مشروعات «الهيبة» هذه ليست بالاستثمارات المتينة فهي -كوضع أمريكة رجلاً على سطح القمر- ولكن يمكنك جني الكثير من الأموال بطريقة غير مباشرة عن طريق الموردين

والمقاولين المستفيدين. هناك الكثير من القطارات الرائعة على الطريق حيث تتدافع الشركات الفرنسية والألمانية واليابانية على عقود ضخمة لبناء «قطارات سريعة» تربط المدن الرئيسة مثل شنغهاي وبيكين. وكان الصينيون قد وضعوا في الخدمة قطارات عالية السرعة من بنائهم الخاص على ثمانية وعشرين طريقاً رئيساً.

تعمل الصين أيضاً لتصبح قوة رئيسة في النقل البحري. فقد شهدت شركة بناء السفن الصينية (CSSC) زيادة كبيرة في السنوات الأخيرة، حيث ساعدت في جعل الصين في المرتبة الثالثة في العالم بعد اليابان وكوريا. وبقيت شركة البناء الصينية (CSSC)، التي تأسست عام 1999، مملوكة للدولة ومرتبطة بالجيش؛ الأمر الذي يعني أنها إلى الآن غير مدرجة. استفادت الشركة من الشراكة مع أمريكة فورماست ماري تايم America's Foremast Maritime المملوكة للأمريكي الصيني جيمس تشاو James Chao، والد وزير العمل في إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش إليان تشاو. وتصنع شركة (CSSC) أيضاً الغواصات، ودخلت في شراكة للعمل المشترك لبناء سفن جديدة على نهر يانغتز Yangtze، الذي يهدف لزيادة قدرة مدينة شنغهاي أربعة أضعاف.

لكن القطارات لها الأولوية. ففي عام 2006، أعلنت الحكومة نيتها استثمار 190 بليون دولار أمريكي، وهو أكبر مبلغ استثماري في التاريخ الصيني، حيث خُصص 20 في المئة منه للتوسع في السكك الحديدية بحلول عام 2010. وستربط ثمانية خطوط جديدة المناطق البعيدة بعضها

ببعض، بينما ستصبح القطارات السريعة بين المدن القاعدة الرئيسة. وعلّق المحللون الصينيون وقت إعلان هذا الخبر بقولهم: «من المتوقع لازدهار صناعة السكك الحديدية أن يستمر للسنوات العشر القادمة».

ملفات جيم الصينية: جميع الركاب

داكن رايل ويه كو لميتد Daqin Railway Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 601006, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 82.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 124.2 في المئة

تجاوز اكتتاب شركة داكن Daqin في آب (أغسطس) عام 2006 حده بسبعين مرة - وأصبح بعد مصرف الصين ثاني أكبر اكتتاب لشركة صينية. اشترى المستثمرون الإستراتيجيون مثل تشاينا لايف إنشورينس China Life Insurance وشركة CITIC (شركة الاستثمار الأقدم والأقوى في الصين من بين شركات الاستثمار) نحو ثلاثين في المئة من الأسهم الجديدة. وتدير شركة داكن Daqin، ومقرها في مقاطعة شانكسي، أكبر سكة حديد لنقل الفحم الحجري، وتعرض خدمات للفحم الحجري بالإضافة إلى الكوك والإسمنت والحديد والفولاذ والخشب.

جوانجشن رايل ويه كو لميتد Guangshen Railway Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: تداول من فوق المنصة: SHA: 601333, A-shares; HKG: 0525; NYSE: GSH,ADR; OTC: GNGYF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 36.2 في المئة، ارتفاع الإيرادات 18.3 في المئة

تُعد هذه الشركة واحدة من أكثر الشركات المدرجة بنحو واسع في صناعة السكك الحديدية. احتكرت جوانجشن Guangshen الخطوط على نهر دلتا اللؤلؤي Pearl River Delta من جوانجزهو Guangzhou إلى شنزن Shenzhen (على الحدود مع هونغ كونغ). وفي عام 2006، أعلنت وزارة السكك الحديدية (التي تملك ثلثي شركة جوانجشن رايل Guangshen Railway) خططاً لمضاعفة قدرة استيعاب الركاب عن طريق إنشاء خط رابع للسكة، وتخطط الوزارة أيضاً لإتمام طريق الوصل السريع بين جوانجزهو Guangzhou وزهوهاي Zhuhai (المنطقة الصناعية الخاصة المجاورة لماكاو Macau)، وتوسيع طرق الوصل لووهان Wuhan (المدينة العملاقة على نهر يانغتز). إن الاستمرار في تسهيل إجراءات السفر بين الجزيرة وهونغ كونغ يعني فرصة أخرى لشركة جوانجشن.

تشاينا رايل ويه إيرجو كو ليتد .China Railway ErjuCo., Ltd

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600528, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 44.2 في المئة. ارتفاع الإيرادات 105.4 في المئة

في عام 2005، حصلت هذه الشركة التي بنت كل شيء بدءاً من الجسور إلى الأنفاق على 147 مشروعاً، ووقعت أخيراً اتفاقية إستراتيجية للعمل على التمويل مع الإخوة ليمان Lehman Brothers. وللملاحظة، أعلنت شركة

تشاينا رايل ويه كونستركشن China Railway .Construction Corp كورب، وهي إحدى أهم 500 شركة لدى مجلة فورتشن، عن خطط لإدراج

أسهمها في هونغ كونغ وشنغهاي، التي ربما تكون قد اكتملت وقت نشر هذا الكتاب. وقدّرت عائدات هذه الشركة المملوكة للدولة بـ 15 بليون دولار أمريكي عام 2005، وعليها الاستفادة بوجه خاص من طموحات الحكومة في توسيع السكك.

تشاينا سي أوو إس سي أوو هولدينغز كو لميتد

China COSCO Holdings Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H

SHA: 601919, A-shares; HKG: 1919, H-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 36.1 في المئة. ارتفاع الإيرادات 58.4 في المئة

تملك هذه الشركة أكثر من ست مئة سفينة تجارية ترفع العلم الصيني، لكن أرباحها انخفضت بسبب كلفة الوقود وأسباب أخرى.

عشية تأسيس الصين الشيوعية عام 1949م، افتتح البلد أكثر من ثمانية وستين ميلاً من السكك الحديدية، وبحلول عام 1997، أصبح مسار السكة الحديدية الكلية الوطنية أعلى ست مرات. ويبدو، اليوم، أن هذا ما هو إلا مرحلة أولى، وأن الصين في حركة دائمة بكل الوسائل الممكنة.



6

السياحة:
ترتقي وتتقدم

لدى كتابتي لهذا الفصل تكون أول مجموعة سياحية صينية في منتصف رحلتها البحرية إلى القارة القطبية الجنوبية. إن ثمن الرحلة الذي تطلبه وكالة سفر جريئة تتخذ من مدينة غوانغ زهاو جنوبي الصين موطناً لها -حيث لا يشاهد أهلها الثلج أبداً- هو 10.000 دولار أمريكي للسائح الواحد. إنني أتساءل فيما إذا كانوا يأخذون معهم عصي الطعام الخشبية ويا ترى بماذا ستفكر طيور البطريق. تبدأ الرحلة من أعالي الأرجنتين، وهي رمز احتفالي بعد دخول اسم الأرجنتين كبلد على قائمة الحكومة الصينية المسموح «بالذهاب إليها» لمواطنيها. منذ عام 2001، وعدد البلدان التي تمنح تأشيرات سفر لسياح البحر بطريقة متبادلة مع الصين في ازدياد مستمر وارتفعت من رقم متواضع بلغ 18 إلى عدد مذهل زاد على 132 بلداً.

ولكوني تجولت في معظم تلك الأمكنة عبر الرحلتين اللتين قمت بهما حول العالم، فإنني أُقدّر الحاجة الطبيعية لاكتشاف كوكبنا الذي نعيش فيه. يمكن أن تسميني جوّالاً لا يأخذه الملل. لا يجب على كل

إنسان أن يقطع 152,000 ميلاً في رحلة إجازة واحدة، لكن السير على الطريق هو أكثر من حق عالمي. إنه دافع كوني «لمشاهدة ما لم يشاهد من قبل وتذوق ما لم يجري تذوقه من قبل»، كما صاغها رجل صيني طاعن في السن. وهذه الرغبة الملحة كانت مكبوتة داخل صدور أكثر من بليون من البشر الذين تمكنوا منذ وقت قريب فقط أن يشبعوا شغف الترحال لديهم.

إن السفر بشقيه، الداخلي والخارجي، يقوم بوظيفة توسعه آفاق الريادة الصينية – وجعل الأمر فِناءً للاستثمار يساوي أكثر من مجرد سياحة قصيرة المدة. يمكنني القول: إنه يمكن المراهنة بكل ثقة على أن السياح الصينيين سيكونون موجودين في كل مكان يمكن أن تشد إليه الرحال على وجه الأرض، وأن يبلغ عددهم من الضخامة بمكان ليكون كافياً لتحويل مسار صناعة تقوم بتشغيل 9 في المئة من العمالة عالمياً وتسهم بأحد عشر في المئة من الناتج القومي الإجمالي لجميع دول العالم.

عندما يتعلق الأمر بالسياحة الداخلية، فإن إيراداتها ازدادت بوتيرة أسرع من الدخل القومي الإجمالي للصين كله على مدى ربع القرن الماضي. وأشارت التقديرات عام 2005 إلى أن السياحة الداخلية في الصين توفر عملاً لسبعة وسبعين مليوناً وست مئة ألف عامل، وولدت دخلاً مثّل نسبة 4.3 بالمئة من إيرادات البلاد في تلك السنة. لقد ارتفع عدد المسافرين ضمن الصين وحده بنسبة 15 في المئة عام 2006، ليصل إلى 1.3 بليون، وإيرادات تحققت لصناعة السياحة بلغت زيادتها 17.9 في المئة في ذات السنة.

بالعودة إلى الماضي عندما بدأت جولاتي السياحية في الصين، بدا لي وكأنني أقوم بها وحدي تقريباً. لقد كانت الكهوف العظيمة، ومشاهد الصحراء، والقلاع الأثرية بالإضافة إلى سور الصين العظيم بمنزلة أمكنة خاصة بي، أتمتع بها في سلام. وكانت لا تزال المعابد المبنية على قمم التلال، والمواقع الدينية في الصين أمكنة مهجورة، تثير القشعريرة وتذهب بالروع. أما الآن، فعليّ أن أدفع بمرفقي جموع الزائرين الذين يشبهون الغيوم المتلبدة؛ لكي أشق طريقي إلى داخل مواقع العبادة البوذية، والطاوية والكونفوشسية. واليوم بعض «الجبال البوذية المقدسة» في الصين مدرجة على لائحة سوق الأوراق المالية.

إن أكثر ما أثار إعجابي هو العمر النسبي القصير لهذه الصناعة. وتعود بي الذاكرة إلى الجموع الغفيرة التي اصطفت في الولايات المتحدة لتشاهد الطرقات السريعة المشيدة حديثاً للمرة الأولى وفكرة بناء الاستراحات والفنادق الصغيرة على الطريق أو عندما صارت سلسلة فنادق هوليداي-إنس صرعة في ذلك الزمان. أو لأفكر في ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية عندما جاء الوقت الذي استعاد فيه الناس مواردهم وطاقاتهم بنحو كافٍ؛ لكي يبدؤوا رؤية العالم من زاوية أفضل. فمن الزراعة وموارد المياه، إلى السفر -بصنفيه الخارجي والداخلي- الذي يمكن أن يكون أشد «أدلة - الركود» في نواحي الاستثمار. وعندما استطاعت الأسهم الصمود في الأوقات العصيبة، فإنها تحدثت عن الواقع الحاصل بصراحة لاَ لبْس فيها.

ولنتحدث عن الانطلاقة: لقد تنبأت غولدمان ساش Goldman Sachs في دراسة لها بزيادة سنوية قدرها 17 في المئة في عدد السياح الصينيين الداخليين لكل سنة من السنوات الثماني القادمة. وعندما يأتي الحديث عن السفر للخارج، فمن العدالة القول: إن عدداً ضئيلاً من مجموع 1.3 بليون من البشر يجب عليهم ختم جوازات سفرهم.

سيّاح الغرب

هناك طرفة متداولة في الصين تتحدث عن أهل مقاطعة كانتون الذين يحبون الطعام بأنواعه، وكانوا كلما ذهبوا إلى حدائق إفريقية يسيل لعابهم لدى رؤيتهم حيواناً يفترض أن يحافظوا على بقائه فيتمتمون بأفواههم: «إن مذاقه طيّب إن لحمه لذيذ...» وسريعاً سنعرف جميعاً ماذا يعني بالضبط الذهاب في رحلة «سفاري بحسب المواصفات الصينية».

إذا كنت تريد رؤية التغير الأكبر في السفر منذ اختراع الطائرة النفاثة، فلست بحاجة إلى النظر إلى أبعد من بضع مئات من الياردات من مسقط رأس ماركو بولو في فينيسيا. بالكاد على بعد ممرين مرصوفين بالحجارة السوداء وقناة مائية من مكان أول مؤرخ أوربي للصين هناك مطعم عُلقت فيه فوانيس حمراء. إل تيمبيو ديل براديسو Il Tempio del Paradiso (جَرَس الجنة) هو واحد من بين ثلاثين إلى أربعين مطعماً، يقدمون مكرونة الرافيولي على الطريقة الصينية لأولئك الآسيويين ذوي الفضول الذين يغزون المدينة عبر ممراتها المائية. مثلهم مثل اليابانيين من قبلهم، جماعات وزرافات من السياح الصينيين هم الذين يتم الغناء لهم على زوارق الجندول المتجولة في الممرات المائية للبندقية لقاء أسعار فوق المعتاد.

لقد كانت الظروف مشابهة، إن ما دفع اليابانيين للذهاب إلى متحف اللوفر والأهرامات حاملين عدسات التصوير نايكون Nikon في ثمانينيات القرن العشرين، كان بسبب القوة الشرائية العالية، والعملة النقدية القوية، وساعات العمل القليلة خاصة، وقريباً، ستبدو الموجة اليابانية كقطرة ماء في بحر، وبالنتيجة، هناك 125 مليون ياباني مقارنة بمليار وثلاث مئة مليون صيني -أكثر من عشرة أضعاف من جامعي الأشياء التذكارية. حتى لو بقي الكثير منهم فقيراً لدرجة العجز عن الإنفاق على رحلة سياحية، فإنه سيضاف إلى الملايين لهذا الرقم حتى الوقت الحاضر.

اذهب إلى بالي أندونيسيا وريودي جانيرو والطرف الغربي لمدينة لندن بعد زمن قريب من وقتنا الحاضر وسترى دكاكين تحمل عبارات الترحيب وبائعي حلي ذهبية - بالإضافة إلى علامات الطرق بالصينية، وأصناف وضعت في واجهات المتاجر خاصة بالزبائن الصينيين، وأعداد وفيرة من الأدلاء السياحيين الذين يتحدثون اللغة الصينية. انظر إلى المتاحف كيف بدأت تضع لصاقات تصويرية على القطع الثمينة المعروضة في ردهاتها. ستتألق محطات التلفزة الناطقة باللغة الصينية في فنادق خمسة نجوم كلها، حتى ربما في معظم الفنادق الرخيصة أيضاً. وهناك موجة سائدة وهي أن الصينيين الذين شغلت الرياضة حيزاً كبيراً من ذهنهم ولديهم دوماً هاجس الصحة قد أفرطوا في ممارسة رياضة التزلج لدى اكتشافهم لها. فمن عدد يقدر بمئتين من المتزلجين عام 1999، يوجد اليوم أكثر من مئتي مركز للتزلج -في أقصى شمال مقاطعة هيلونغ جيانغ Heilong Jiang يوجد منتجع من الطراز الأول تلقى مساعدة مبدئية من الحكومة قدرها

150 مليون دولار. تطلعْ على مقاطعات شمال الصين، حتى تلك الموجودة في أقصى الشرق من روسيا إذا كنت تبتغي المنفعة. بالطبع، سيسعى أولئك الصينيون المتأقلمون وراء المزيد من هذه الأماكن المفتوحة.

من الصعب الحصول على إحصاءات دقيقة لتلك الجموع من الصينيين المهاجرين (على متن سفن السياحة، وليس في داخل الناقلات)؛ ذلك لأن المناطق المكتظة في هونغ كونغ وجزيرة ماكاو التي يقصدها الكثيرون والتي عادت إلى الإدارة الصينية أعوام 1997 و1999، لا تزال تعد من المحطات الأجنبية التي تشد إليها الرحال. وليس هناك سبيل من تتبع الأعداد التي تتخذ من الجزيرتين عتبة للذهاب إلى أماكن أخرى.

تقدر إحدى الدراسات بأن ستة ملايين فقط من أصل ثلاثين مليون صيني سافروا للخارج عام 2005، قد ذهبوا إلى أبعد من هاتين المنطقتين المحصورتين على البحر الجنوبي للصين. ومع ذلك ازداد إجمالي السياح المغادرين بواقع 11.22 في المئة ليصل إلى 34.52 عام 2006، وتضاعفت نسبة الذين أكملوا طريقهم خارج الأراضي الصينية 250 في المئة في أثناء السنوات الخمس المنصرمة. وتتنبأ منظمة السياحة العالمية التابعة للأمم المتحدة بأن عدد السياح الصينيين الذين يسافرون في جولات خارجية سيحتل المرتبة الرابعة في العالم بحلول عام 2020. ولو أننا أسقطنا من الحساب بعض مظاهر إغلاق الحدود غير المبررة التي تتسبب في المكابدة لاحتل رقم السياح الصينيين المرتبة الأولى عالمياً في عام 2035. في السنوات القليلة القادمة ستأتي صناعة السياحة والسفر في الصين بإجمالها في

المرتبة الثانية فقط وراء الولايات المتحدة. وكل ذلك يحدث بوتيرة أسرع من التلفظ بكلمة «فندق حياة Hyatt Hotel».

إن القول: إن الصينيين قد أصيبوا بحمى السفر، لا يكون مفاجئاً. لقد تضرر الكثيرون من الحروب، والكوارث، والانهيارات الاقتصادية في حين كانت الرحلات الحديثة في طور التطور، بعد أن أمسك الحزب الشيوعي زمام السلطة عام 1949، كانت الرحلات محدودة للغاية، وأصبح حصول المواطن العادي على التحفة النادرة المسماة جواز سفر ضرباً من الأحلام، كان السفر للخارج متاحاً فقط للمسؤولين الرسميين ذوي المناصب الرفيعة أو من دار في فلكهم. وحتى في بداية عهد الإصلاح في ثمانينيات القرن الماضي لم تفعل الحكومة سوى النزر اليسير لصناعة السفر؛ لقلقها من أن المواطنين المتعلمين قد يفرون من البلاد باتجاه الدول الغربية، إذا ما أتيحت لهم فرصة مغادرة أرض الوطن، في البداية كان حكراً على وكالات السفر الخاضعة للرقابة الشديدة والمحدثة من قبل الحكومة أن تبيع بطاقات السفر للوفود التي تتلقى دعوات للزيارة.

في رحلته الأولى للصين، قيل: إن الرئيس الأمريكي رونالد ريغان فاتح الزعيم الصيني وينغ هيساو بينغ في حرية السفر، بوصفها من أسس الحرية للإنسان، وناشده أن يخفف من القيود كبادرة حسن نية، وبحسب هذه الرواية، فاجأ الزعيم الفطن دينغ الرئيس ريغان بإجابته التي أتت سريعاً «حسناً سأفعل ذلك، والآن كم تريد من الصينيين أن يأتوا إلى ولاية كاليفورنيا؟ عشرة ملايين؟ خمسين مليوناً؟ أو مئة مليون؟».

قريباً جداً، سيجد أولئك المئة مليون طريقهم إلى شاطئ سان تروبيه في فرنسا، وساحل كوستا برافا في إسبانيا، أو شاطئ أستراليا الذهبي. وهذا يمثل منافع ليس فقط لوكالات السفر، أو مواقع الحجز الإلكتروني، أو شركات الطيران، أو خطوط السكة الحديدية، ولكن أيضاً للفنادق والمطاعم الصينية، ومنتجعات المياه المعدنية الدافئة والشواطئ، وحدائق التسلية وأماكن الجذب الخاصة، والأنشطة ذات الصلة بالتزلج والتسوق حتى مصنعي حبوب أعراض دُوار السفر، ومستحضرات الوقاية من الشمس والأمتعة وحقائب الظهر، وبحسب ما ذكرت بعض الدراسات مستحضرات التجميل بدلاً من البطاقات البريدية المصورة. لقد أظهرت دراسة حديثة أن ستين في المئة من المتجولين هم من النساء وأن نسبة 65 في المئة منهم تحت سن الخامسة والأربعين، ويبلغ معدل إنفاقهم في الرحلة الواحدة 546 دولاراً أمريكياً. واليوم يسمح للمسافر أن يحمل معه 20.000 دولار من القطع الأجنبي كحد أعلى بعد أن كان سقف المبلغ في البداية محدداً بألفي دولار. في حزيران 2006، أوردت مجلة الإيكونوميست البريطانية أن السياح الصينيين ينفقون على التسوق في اليوم الواحد في الرحلة الواحدة أكثر من نظرائهم الأوروبيين، أو اليابانيين، أو الأمريكيين.

ولا يزال أكثر المسافرين قريبين من وطنهم، ومثّلت الدول الآسيوية التي قصدها المسافرون للخارج نسبة 90.4 في المئة بحسب الإحصاءات حتى تشرين الثاني 2005. وجاءت كل من تايلاند، واليابان، وسنغافورة، وماليزيا على رأس القائمة، في حين كانت نسبة الذين سافروا إلى كل من هونغ كونغ وماكاو سبعين في المئة. لقد بدأت الحكومة الصينية بالسماح للرحلات الجماعية إلى هاتين النقطتين في أوائل عام 1983، وبعد ذلك

بعشر سنين شرّعت «معيار السفر الفردي» بسماحها للمواطنين في المقاطعات المجاورة مثل مقاطعة غوانغ دونغ وشنغهاي وبيكين استحصال أذونات سفر إلى هاتين المدينتين ضمن وقت قصير ومصاريف أرخص من استحصال جواز سفر. اليوم يغطي هذا التشريع أربعاً وثلاثين مدينة ومئتي مليون نسمة من ساكني البر الصيني، مع وجود خطط للتوسع لتشمل هذه المزية 535 مليوناً من المسافرين «لدواعٍ شخصية».

إن هذه الدواعي بديهية، فهونغ كونغ، بوصفها مستعمرة بريطانية قديمة لتكون نافذة الصين الحرة على الغرب، هي المخزن الرئيس لتبادل السلع التجارية المعفاة من الضرائب، وعلى هامش كونها مشهورة بروعة مأكولاتها البرية فإن أهم سبب يدعو أهل الصين للسفر إليها هو رغبتهم في الإنفاق. وعلى الأقل في الوقت الحالي تقل أسعار المَحَافِظ من نوع لويس فيوتون Louis Vuitton أو العطورات الراقية بنسبة عشرة إلى خمسين في المئة عن أسعارها على طول الحدود مع الصين، مع وجود متسع أكبر لخمسين مليوناً من الصينيين -ولا يزالون يتزايدون- ليختاروا مقتنياتهم من البضائع الكمالية المعروضة في المجمعات التجارية في هونغ كونغ التي يؤمنون بفخامتها في قرارة أنفسهم. وأخذاً بالحسبان لليوم الذي لن تعود فيه هونغ كونغ تملك أي تفوق على شنغهاي في مجال تجارة التجزئة، فقد تصرف زعماؤها المدنيون بحكمة نحو إيجاد ديزني لاند هونغ كونغ، التي فتحت أبوابها أول مرة على الأرض الصينية أواخر عام 2005. (لكن انظر كيف فاتحت شنغهاي المسؤولين عن مدينة ديزني للألعاب لكي تأخذ ترخيصاً خاصاً بها لبناء مدينة مماثلة بالرغم من أنها لن تباشر العمل قبل 2010 على أحسن تقدير).

يُعدّ العامل الجاذب في جزيرة ماكاو أحادي الجانب على نحو بعيد. بالرغم من وفرة آثارها الثقافية والمعمارية التي تعود إلى خمس مئة عام من السيطرة البرتغالية على أول وآخر مستعمرة في آسية، فإن المصدر الرئيس للدخل في الجزيرة كان وما يزال نوادي الميسر -التي يؤمها باستمرار سكان هونغ كونغ الذين يقطعون رحلة نهرية مدتها ساعة لكي يصلوا إليها. وكانت النوادي محتكرة من قبل شركة اللعب المسماة ستانلي هوا ماكاو Stanley Ho's Macao Gaming Company (غير المدرجة في السوق). لكن عودة ماكاو إلى الوطن الأم في العشرين من كانون الأول 1999 أعطى إشارة البدء للعب القمار على مستوى لم يسبق تخيله من قبل. عندما وافق البرتغاليون على إعادة ماكاو إلى الصين بموجب الإعلان البرتغالي -الصيني المشترك عام 1987م، اشترطت المعاهدة على أنه من حق ماكاو الاحتفاظ بطراز حياة متفرد ومزايا خاصة غير متوافرة في أي مكان في الصين، وكان من أبرزها إباحة القمار قانونياً؛ ولأن ماكاو أصبحت المقاطعة التي يقصدها السياح الصينيون -حيث يقطن أكثر من بليون من البشر ضمن مسافة تتطلب ثلاث ساعات في رحلة جوية ولهذا فقد شهدت نواديها نمواً قدره 22 في المئة سنوياً في عام 2005. وهذه السنة كانت إسهام لعب الميسر في إيرادات ماكاو سبعين في المئة.

اليوم، دخل لاعبون كبار حلبة المنافسة جرياً وراء جني الأموال بتحول ماكاو إلى لاس فيغاس آسية. افتتحت المرحلة الأولى من مشروع تبلغ تكاليفه 13 بليون دولار على توسع في اليابسة ناتج عن ردم مياه البحر، ويعرف موقعه باسم قطاع كوتاي Cotai Strip عام 2007 ويضم بين

جنباته سبعة فنادق يمارس فيها القمار، وفيها جميع أسباب الترفيه، وتبلغ طاقتها الاستيعابية عشرة آلاف غرفة، إن المشغل الرئيس والمستفيد الأول من كوتاي هي شركة رمال لاس فيغاس Las Vegas Sands، التي سبق لها عام 2004 افتتاح رمال ماكاو Sands Macao بوصفه أول ناد على الطراز الغربي، على مساحة قدرها 163.000 قدم مربع. وسيفتح هذا الأخير نموذجاً خاصاً به على غرار فندق فينيتيان Venetian Hotel في لاس فيغاس، وكذلك واين ماكاو Wynn Macao الذي سيتم تشغيله من قبل منتجعات واين Wynn Resorts، الذي فتح أبوابه المذهَّبة في شهر أيلول من عام 2006. إن هذا الصرح الجديد الذي يتميز بمظاهر البذخ، يراهن على أن المقامرين الصينيين سيغدون أكثر حنكة والتصاقاً بالمكان بدرجة ترقى إلى القرابة الأسرية.

إن الرهانات عالية لأن الصينيين يقامرون حداً يفوق كثيراً غيرهم من شعوب العالم. وبحسب أرقام مصرف الاستثمار UBS فقد زار ماكاو عام 2005 18.7 مليون زائر مقارنة بـ 38.6 مليون أتوا إلى لاس فيغاس، ويبلغ وسطي إيراد طاولة القمار اليومي في ماكاو 12.000 دولار، في حين يبلغ إيراد الطاولة في لاس فيغاس 2.600 دولار يومياً. ووصل إجمالي إيراد لعب الميسر في ماكاو إلى 3.1 بليون دولار في النصف الأول من عام 2006 مقترباً كثيراً من لاس فيغاس التي وصل إيرادها في المدة نفسها إلى 3.3 بليون دولار.

واليوم، حتى سنغافورة الرصينة التي تشهد رواجاً كمقصد للصينيين بسبب نظافتها المنقطعة النظير، ومناخها الاستوائي، وتراثها الصيني

المشترك، أصابها إغراء منجم الثراء هذا. في نيسان عام 2005، رفعت سنغافورة الحظر المفروض على نوادي القمار الذي امتد لأربعة عقود برغم المعارضة المحلية الشديدة. وتقرر افتتاح اثنين من النوادي بحلول عام 2009، وهما سنتوسا Sentosa ومارينا بيه Marina Bay أو خليج المرفأ.

فبسبب قلة المناخ الاستوائي عند الصينيين، تملكتهم رغبة جامحة في الشمس والرمال. تقدر نسبة السياح الصينيين الذين يسافرون إلى سنغافورة باثنين وأربعين في المئة من أولئك الذين يتجولون خارج الصين أول مرة بحسب أحد التقديرات – وهو ما يعادل الطبقة العاملة من الإنكليز الذين يقصدون شواطئ إسبانيا الزهيدة التكاليف طلباً للمتعة. وأدى ذلك إلى نوع من العقاب «عائدات السياحة المساوية للصفر» – في أماكن مثل تايلاند تباع فيها بطاقات السفر وعروض الفنادق بخسارة، يحاول وكلاء السفر استعادة ما خسروه عبر العمولات التي يحصلون عليها من محال بيع الأحجار الكريمة، والحلي اليدوية، وعلى نحو خاص الأعشاب المنشطة جنسياً المشهورة، بما في ذلك لحم التمساح التايلاندي. لكن «السفر بسعر الكلفة» لن يكون النقطة التي ستقف عندها الجموع الغفيرة من الصينيين لوقت طويل.

ونظراً لثراء الهند الثقافي الهائل ومشاهدها الرائعة، وبوجود صلات أكثر سهولة تنمو باستمرار بين الدولتين كلما تقاربا وتحسنت علاقاتهما، فإن العملاق الآسيوي الآخر لابد أن يضاف في النهاية إلى قائمة المستفيدين من ازدهار حركة السفر في الصين في الأعوام القادمة. إن الهند رخيصة وقريبة المنال، لذا يتوقع تدفق السياح من كلا البلدين

باتجاه الآخر. وربما تستفيد شركات السياحة الهندية مثل شركة الضيافة الهنديةIndia Hospitality Corporation المدرجة في بورصة لندن بأحرفها الأولى IHC من هذا التوسع.

لكن حتى الآن لم تحظ أي من الولايات المتحدة أو تايوان «بالتصنيف كمقصد حائز على الموافقة» من قبل الصينيين. وهذا يعني أن كلتيهما ستشهدان ازدهاراً ضخماً عندما تخفف الحواجز في وجه التأشيرات.

يقال عن أمريكة بالصينية: إنها «البلد الجميل». لقد وثقت أمواج المهاجرين العلاقات التاريخية بين البلدين عبر المحيط الهادئ. إن للمعالم المشهورة في الولايات المتحدة وقعاً يقرب من الخرافة بالنسبة لمعظم الصينيين بما في ذلك جسر البوابة الذهبية، والوادي الكبير، وبناء الدولة الإمبراطوري. بسبب جاذبية لعب القمار تدخل لاس فيغاس دوماً في برنامج الرحلة الأولى. أيضاً، يحب الصينيون أن يشاهدوا الجامعات الشهيرة، ربما لكي يتقصوا أين يرسلون أولادهم، ويشمل ذلك ستانفورد، وجامعة يال Yale خاصة (حيث تخرج فيها أول طالب صيني في جامعة أمريكية عام 1854، وكان يدعى يونغ وينغ Yung Wing).

لكن منذ أحداث الحادي عشر من أيلول، تناقص عدد السياح باضطراد بسبب إجراءات منح التأشيرات المتشككة والصارمة. يلحُّ الكثير من جماعات صناعة السفر الأمريكيين على تغيير السياسات قبل أن يفوتهم هذا السوق الهائل. لقد عبرت الصين عن رغبتها في منح الولايات المتحدة وضع الدولة كمقصد للسفر، لكن الولايات المتحدة لم تبعث بالرد. وللسخرية، لما حذفت الصين الولايات المتحدة كبلد مقصود

للسفر، فإن أفضل وسيلة لزيادة عدد السياح الصينيين إلى الولايات المتحدة قد تكون بالسماح لعدد أكبر من السياح الصينيين بالدخول إلى الولايات المتحدة.

لاشك أن تايوان لها جاذبية أكبر، ويزداد عدد الصينيين الذين يتوجهون إليها، متحدّين مشقة السفر الطويل عبر الرحلات غير المباشرة* حتى يستمتعوا بهذه «المقاطعة المتمردة»، لتجريب أنواعٍ مختلفة من الطعام الصيني والينابيع الدافئة، أو رؤية الأهل والأقارب الذين باعدتهم الأقدار لزمن طويل. لقد كشف إحصاء قام به المشتغلون بالسياحة في تايوان في شهر آب 2005، أنهم توقعوا نمواً بين 20 و60 في المئة بمجرد أن تفتح في وجوههم الأبواب إلى البر الصيني.

وبازدياد، يسافر الصينيون إلى نقطة أبعد، لقد منحت المملكة المتحدة صفة البلد الذي تشد إليه الرحال فقط في عام 2005، وسافرت مجموعة قوامها ثمانون شخصاً من المواطنين المرموقين منذ أول يوم على متن الخطوط الجوية الأطلسية العذراء في رحلة لسبع ليال. لقد تضاعف عدد الزوار الصينيين منذ عام 2000 إلى أكثر من مئة ألف زائر في السنة، ومن المتوقع أن يرتفع العدد من 15 إلى 20 في المئة في السنة حتى عام 2015.

بمجرد أن تزداد العملة الصينية قوة، فإن سياحة ما وراء البحار ستغدو أكثر رخصاً بالنسبة للمواطنين الصينيين. إنهم لن يكتشفوا مواقع أبعد فقط، لكنهم سيجلبون معهم نقوداً أكثر. فمنذ أن بدّلت

* اتفقت الصين وتايوان أخيراً على تسيير رحلات جوية مباشرة بينهما (م).

الحكومة الصينية القوانين للسماح لكل مواطن أن يحمل معه خارج الصين مبلغ 20.000 دولار سنوياً ازداد الإنفاق على السفر بنحو درامي. وستصبح الأذواق والمطالب أكثر صقلاً -يتوافر في يومنا الحاضر سوق ينمو باضطراد للشقق المفروشة المتاحة مدة طويلة للصينيين في آسية- ولن يسمع سوى القليل من التذمر من أولئك البخلاء الذين لا يغادرون حافلة الركاب.

ومن الجيد أيضاً الاستثمار في مصانع حقائب الأمتعة. إن الصينيين على وشك حزم أمتعتهم.

ملفات جيم الصينية: مهمات سائح

سي تريب. كوم إنترناشيونال المحدودة Ctrip. Com international, Ltd.

مؤشر ناسداك **NASDAQ: CTRP, ADR**

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 80.7 في المئة، ارتفاع الإيرادات 132.8 في المئة وأيضاً.

إي لونغ .elong, Inc

مؤشر ناسداك NASDAQ: LONG, ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح إلى 1.11 مليون دولار بعد خسارة قدرها 18.38 مليون دولار، ارتفاع الإيرادات 91.1

أُحْدِثت كلتا الشركتين عام 1999، ويمكن الاستثمار فيهما عن طريق شهادات الإيداع الأمريكية ADR's. توفر خدمة السفر صاحبة الشهرة عبر الشبكة العنكبوتية العالمية Internet Web للباحثين عن

خدمات السفر أفضل البيانات عن الفنادق والرحلات الجوية إلى المدن الداخلية وكذلك الخارجية. مثلها مثل ترافيلوسيتي Travelocity، تحقق مجموعات الحسومات هذه إيراداتها عن طريق العمولات، حيث تتوجه أهداف عملها نحو الباحثين عن تمضية وقت فراغهم في شيء ممتع أو المسافرين في رحلات عمل. تملك إكسبيديا Expedia حصة نسبتها 52 في المئة في إي لونغ. لم تستطع أسعار أسهم سي تريب Ctrip أن تجاري أسعار أسهم إي لونغ، مما يبعث على الدهش لشركة تستعمل اللغة الإنكليزية على الشبكة العالمية.

تشاينا تورز هولدينغ كومباني ليمتد

«شركة الصين القابضة للسياحة المحدودة»

China CYTS Tours Holding Co., Ltd.

بورصة شنغهاي أسهم فئة-A SHA: 600138, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 26.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 64.2 في المئة

أضحت (خدمات السفر لشباب الصين) أول شركة لخدمات السفر تدرج أسهمها في سوق الأوراق المالية عام 1997. وهي وكالة سفر كغيرها وتمارس أيضاً عملياتها عبر الإنترنت، ومرتبطة بشركة خدمات السفر لشباب الصين التي تدار من قبل الدولة، وتصنف ضمن أفضل خمس مئة شركة في الصين، غير أنها ليست مدرجة في السوق. تولت الشركتان إصدار بطاقات السفر وترتيباته لما يقرب من نصف مليون زبون عام 2005، سواء للمغادرين والقادمين، أو المجموعات السياحية.

شنغهاي جين جيانغ إنترناشيونال ترافل كومباني، ليمتد

شركة «شنغهاي جين جيانغ الدولية للسفر المحدودة»

Shanghai Jinjiang International Travel Co., Ltd.

بورصة شنغهاي أسهم فئة B SHA: 900929, B – shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 47.2 في المئة. ارتفاع الإيرادات 33.4 في المئة

كوكالة لاستصدار بطاقات السفر، عددت شنغهاي جين جيانغ أنشطتها لتشمل التصميم الداخلي وخدمات الشحن الجوي.

ترافل سكاي تكنولوجي ليمتد Travel Sky Technology Ltd.

بورصة هونغ كونغ أسهم فئة H: من فوق المنصة

HKG: 0696, H– shares; OTC: TSYHF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 15.3 في المئة. ارتفاع الإيرادات 33.4 في المئة

وهي مزود لخدمة تقانة المعلومات التي تخدم صناعة السياحة المزدهرة. أُحدثت في عام 2000 من قبل إحدى وعشرين شركة صينية للطيران، تطور الشركة منتجات وخدمات عمليات المسافرين في المطارات. وتعمل على تطوير قواعد التجارة الإلكترونية المتعلقة بالشحن الجوي لخطوط الطيران، والمطارات، ومزودي خدمات السفر، ووكالات السفر، والشركات. في عام 2005، تمكن نظام توزيع السفر الإلكتروني للشركة من إتمام حجوزات أكثر من 151.4 مليون مسافر على متن الخطوط الداخلية والخارجية التجارية، بما يمثل زيادة عن عام 2004 بمقدار 14.5 في المئة.

لاس فيغاس ساندز كوربوريشن Las Vegas Sands Corporation

«شركة رمال لاس فيغاس»

بورصة نيويورك NYSE: LVS

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 10.7 في المئة، ارتفاع الإيرادات 86.9 في المئة

وهي شركة أمريكية يتأتّى نموها المستقبلي من عملياتها في الصين. إن استثماراتها في ماكاو هي بوضوح المحرك الرئيس وراء ارتفاع أسعار أسهمها، التي تضاعفت أكثر من مرتين في السنوات الخمس الماضية. وحدث هذا قبل أن يصبح فندق فينيتيان يعمل بطاقته التشغيلية الكاملة ولا تزال الشركة بانتظار الإذن لها لتحويل جزيرة ضئيلة المساحة تقع على مقربة من ماكاو التي تعد تقنياً جزءاً من مدينة زهاوي Zhuhai الصينية إلى ركن كبير للعب الميسر. هناك أسماء رنانة مثل فندق الفصول الأربعة Four Season (بورصة نيويورك) وشانغري لا (بورصة هونغ كونغ أسهم فئة HKG: 0069, H) وفندق هيلتون (بورصة نيويورك NYSE: HLN) لديها ملكيات في كازينو ميغا الواقع في قطاع كوتاي الجديد.

فار ايسترن إير ترانسبورت كورب Far Eastern Air Transport Corp

«مجموعة الشرق الأقصى للنقل الجوي»

بورصة تايبيه TPE: 5605

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 400 في المئة، ارتفاع الإيرادات 8.8 في المئة

كلما راجت الإشاعات عن قرب السماح بالرحلات المباشرة بين تايوان والصين، كما حدث في حزيران 2005، تصاب أسعار أسهم شركات السياحة المدرجة في بورصة تايبيه بحمى الارتفاع فوراً. في عام 2003،

شهدت أسعار أسهم هذه الشركة التايوانية قفزة قدرها عشرة في المئة عندما سمح للرحلات الخاصة المباشرة بين الصينيتين.

ليس هناك من مكان كالبيت

عندما رحّب أهالي واحات صحراء هامي Hami بالكشافة الأوروبي ماركو بولو Marco Polo قدّموا له زوجاتهم لكي يختار التي تثير إعجابه. لم يحالفني مثل هذا الحظ عندما وطئت قدماي أرض الصين أول مرة. عندما حاولت جاهداً أن أنام حين أويت إلى فراشي في الفندق الرخيص والوحيد في هذه المدينة، لاحظت أن الوسادة تغلب عليها الغلظة خاصة. عندما فحصتها بدقة تبين لي أنني كنت أوسد رأسي على كيس محشوّ بالأَرزّ.

بالعودة إلى الوراء خمس عشرة سنة فقط، فإن «صناعة الضيافة» في الصين إذا تجرأت ودعوتها كذلك، لم تكن تعطي نزلاء الفنادق مفاتيح لغرفهم. وكانت المضيفات اللواتي تبدو عليهنّ علائم الممرضات المؤذيات يتفحصن في جولاتهن التفقدية الردهات ويسمحن للزوار بدخول غرفهم كلما كان ذلك ضرورياً. لكن دوماً كن يدخلن الغرف لكي يضعن تحت نظر أعينهن الشياطين الأجانب بهدف الرقابة أو لكي يملآن مياه الشرب المغلية في حافظات الحرارة. لقد كانت الفنادق المليئة بالفخامة مثل شيراتون السور العظيم في بيكين بمنزلة عرض مهرجاني للحياة على الطراز الغربي، تماماً كما كانت ملاذات نادرة للمسافرين الذين يعانون السأم والضجر بسبب الخدمة البطيئة ذات الطابع الشيوعي. لا عجب إذاً أنني كلما تفوهت بسؤال يكثر عرضه أكثر من غيره، كانت

الكلمات الأولى التي تلقى على مسامع الزوار «لا يوجد أبداً ما تطلبه» وتلفظ بالصينية «مايو» «لقد نفد مخزوننا» «لا يوجد هناك مجال» أو «انسَ الأمر برمته».

اليوم عادت الصين وانضمت إلى الخط الآسيوي الرئيس في كرم الضيافة والاستقبال بمعنى الكلمة لإرضاء الضيف. لم يتعلم الصينيون الانحناء كما تعلموا أن يتلقوا الثناء (ويتمتعوا بالجوائز) عندما تؤدَّى الأعمال على أكمل وجه. والغربيون هم قلة بارزة، حيث إن مؤسسات ثرية أكثر قد وجدت على نحو ضخم من أجل حركة صينية متعاظمة.

منذ وقت ليس ببعيد، كان يتعذر على المرء أن يشتري بطاقة عودة بالطائرة في الصين، فالأجانب وأهل البلد على حد سواء كان عليهم أن يمضوا أياماً كاملة حتى يشقوا طريقهم إلى أول الصفوف ليحصلوا على مقعد لدى سفرهم لمقاطعة ما، ومن ثَمّ عليهم فعل الشيء نفسه حتى يعودوا من حيث أتوا. كان العديد من طرقات الصين محظورة على الأجانب، وتقريباً شبه ممنوعة بالنسبة لقلة من أصحاب السيارات المحليين. اليوم تخدم شبكة مترامية من الخطوط الجوية الحديثة، والطرق السريعة، ومراكز الإقامة عدداً كبيراً من الناس الذين تمكنوا للتو من الحصول على مدخولهم الأول المتاح للإنفاق وسيارتهم الأولى. وبينما قد يكون المزاج السائد أقل بريقاً من أندية القمار الواضحة في ماكاو، فإن الازدياد الكبير في حركة السفر ضمن الصين نفسها تملأ غرف الفنادق وكذلك الجيوب أكثر فأكثر.

ومرة أخرى قد تكون الأرقام المتناثرة هنا وهناك مدعاة للتضليل. تعد الحكومة الصينية أي رحلة تستغرق ست ساعات بغض النظر عن الداعي «سفراً». وتشير إحدى التقديرات إلى أن 80 في المئة من الصينيين لا يزالون ينفقون في المتوسط أقل من 15 دولاراً للرحلة الواحدة. ولكن مجمل القول: يقدر للدخل المتوقع لصناعة السياحة الصينية أن يتجاوز عتبة التريليون عام 2007 (بالعملة الصينية الوان أي ما يعادل رقماً كبيراً بالدولار الأمريكي وهو 130 بليوناً).

كبار القادة مثل نائب رئيس الوزراء وو ي Wu Yi كانوا وما يزالون يحثون هذا القطاع الناشئ على أن يؤدي دوراً أكثر أثراً في «توسيع الاستهلاك الداخلي». في عام 2006، تم تشغيل قطار للمسافرين هو الأعلى من نوعه في العالم؛ ليصل إلى التيبت كما لم يحصل من قبل. وفي يومنا الحاضر ليست أماكن الجذب البعيدة مثل مدينة لي جيانغ Lijiang القديمة، وهي موقع تاريخي بحسب تصنيف الأونيسكو وتقع في المنطقة الجبلية شمال كنمينغ Kunming التي كانت مصدر إلهام التعبير «شانغري لا Shangri-La» سهلة الوصول، بل إنها نالت قدراً فوق العادة من التطوير والتشغيل. لعقد من الزمان بدأ عام 1991، ارتفع عدد السياح القادمين إلى لي جيانغ على سبيل المثال من 198.000 إلى 3.270.000. ويعيش اليوم أكثر من نصف السكان على حركة المسافرين بدلاً من الزراعة، وازداد أيضاً معدل الدخل من ستين دولاراً إلى ست مئة وخمسين في السنة.

وهناك تقدير حكومي آخر يفيد أن عدد سكان المدن الذين يقصدون أماكن الهواء النظيف والاستراحات في الريف الذي لا يزال بكراً يبلغ 300 مليون. أما المدن فلم يكن نصيبها التجاهل أيضاً. فبداعي رغبة كل إنسان في الصين في أن يشاهد ساحة تيان إن من Tiananmen وغيرها من المعالم الوطنية، استقبلت بيكين 132 مليون زائرٍ عام 2006، بزيادة قدرها 14 في المئة عن السنة التي قبلها. وبالتأكيد ستزيد الألعاب الأولمبية هذا العدد عندما تقام عام 2008*. أما شنغهاي فقد جذبت إليها 90 مليوناً.

كل هذا في بلد يعد فيه التنقّل فكرة جديدة. بموجب النموذج السماوي، كان الحفاظ على الطابع الاجتماعي يتم عبر العمل المفروض على كل فرد وعلى مكان إقامته الثابتة.

كان محظوراً على الناس أن يسافروا إلى ما وراء المدن التي يوجد سجلهم فيها، وربما تتطلب الإقامة في الفندق أو حتى الحصول على الطعام إذناً مكتوباً. كانت الضيافة تحدد بحسب الرتبة، حتى إلى وقت قريب في عام 1991، كانت درجة الركوب في القطار تحدد بحسب مركز الشخص المسافر. ربما كان المثال الوحيد على السياحة الجماهيرية في أثناء الأربعين عاماً الأولى من الجمهورية الشعبية هو المدة القصيرة عندما كان يتم تحفيز الحرس الأحمر الشاب المتحمس على السفر بالقطارات بالمجان لا بدافع أن يستمتعوا بركوب الدرجة الأولى أو الثانية وإنما لإثارة «صراع الطبقات».

* ترجم هذا الكتاب بعد إقامة الألعاب في بيكين.

اليوم، يأخذ كل فرد ثلاث عطلات وطنية طويلة استحدثت عمداً من قبل الحكومة عام 1999 لتشجيع وتنشيط حركة السفر. هذه الأسابيع الثلاثة الذهبية كما يطلق عليها لتسمية رأس السنة الصينية، يوم أيّار (استبدل «بيوم العمل»)، وذكرى شهر تشرين الأول التي يحتفل فيها بتأسيس الجمهورية الشعبية هي مواسم تزدحم فيها المناكب، حيث يقوم كل فرد بالسفر إلى بيوت الأجداد أو الذهاب إلى مواقع الجذب السياحي، وكل هذا في وقت واحد. قُدر عدد المسافرين عام 2006 بثلاث مئة مليون، وبتسعة وعشرين مليوناً يزرون المواقع السياحية في يوم واحد. في أول يوم من عطلة شهر أيار عام 2005، بلغ عدد المسافرين على متن الرحلات الجوية ثلاثة ملايين شخص.

وبينما يحصد وكلاء السفر وأماكن الطبيعة الخلابة أرباحاً ضخمة، يسود القلق بعض موظفي الحكومة بشأن الازدحام الضاغط على المطارات الداخلية لدرجة أنهم بدؤوا يتحدثون عن فكرة توزيع العطلات على مهرجانات تقليدية أخرى مثل كينغ مينغ Qingming، أي عندما يقوم الصينيون بزيارة قبور أجداهم. يبدو أن الصينيين سيخففون حمى الحركة داخل نفوسهم مرة واحدة -من أجل المنفعة الأعظم للمسافرين وصناعة السفر. وبحسب مصادر إدارة السياحة الوطنية في الصين، فإن 92.2 مليون إنسان سافروا أثناء إجازة سبعة الأيام في شهر شباط (فبراير) من عام 2006، وهي زيادة بنسبة 17.7 في المئة.

لقد عاد الصينيون واكتشفوا تراثهم الخاص بإفراط عبر إعجابهم بعروض كونغ فو في معبد شاولين Shaolin الشهير وأيضاً بتقديرهم تصريح

الطاغية نانجينغ الأب الحديث للصين، صن يات سن Sun Yat-sen الذي يزار من قبل الصينيين أكثر من زيارة الأجانب له. عندما كان هناك زمن يصعب الحصول على مكان يبيع شراب الصودا أو أي تذكار، يوجد اليوم مدن برمّتها مليئة ببائعي الطعام المتجولين المنتشرين في كل مكان. تتضمن خطط تحسين مناطق الجذب في العاصمة بيكين بمناسبة الأولمبياد إزاحة البائعين المتجولين والمتسولين بعيداً عن سور الصين العظيم أول مرة، مع توفير كراسٍ للمقعدين ووضع إشارات باللغة الإنكليزية في كل مكان بدءاً بقبور أسرة مينغ الملكية وانتهاء بالقصر الصيفي.

لا يعني هذا أن «الضيوف الأجانب» سيتم تجاهلهم -أو إزاحتهم عن مقاعدهم. ربما ليس هذا بالصورة الجديرة للأمة حيث تتضح عظمة الاقتصاد، أو جاذب المدن التاريخية أو معابد كونغ فو، أو حتى التسهيلات المتطورة، ولكن في عام 2004، تخطت المملكة المتوسطة إيطاليا المشهورة لتحتل المرتبة الرابعة عالمياً من حيث عدد القادمين إليها. ولو أضيفت أرقام هونغ كونغ، ستكون الصين في المرتبة الثانية. لقد وضع الإيراد المتحقق عبر السياحة - والذي بلغ 35.5 بليون دولار - الصين في المرتبة السادسة في العالم. وهذا يمثل مئة ضعف زيادة عما كان عليه عام 1978، عندما كان ينظر إلى الناس الذين يأتون لزيارة البلد بعين الريبة وكأنهم جواسيس. ومرة ثانية تقدر المنظمة العالمية للسياحة التابعة للأمم المتحدة أن الصين وبمساعدة «أبنائها في المهجر» في هونغ كونغ، وماكاو، وتايوان ستحتل المركز الأول عالمياً كمحطة للوصول وذلك قبل عام 2020.

بالطبع، يحمل هذا الوضع في طياته أنباء سارة لسائقي الأجرة، أدلاء السياحة الذين يتحدثون لغة ثانية (والذين تشهد خدماتهم طلباً واسعاً عليها)، ووكالات السفر وانخفاض واضح في الأعداد التي ستحصل على الترخيص، بموجب شروط اتفاقية التجارة الدولية، كل ذلك سيوفر فرصة ثمينة للكثيرين من العاملين في الخارج لكي يجدوا عملاً لهم في الصين. وتزخر أماكن الطهي الخاصة الجديدة والمعاهد الفندقة بأعداد هائلة من أبناء الفلاحين الذين ينظرون إلى السياحة كأفضل فرصة متاحة لتأمين حياتهم المهنية.

وبالرغم من الوسادات المحشوة بالأَرُزّ، فقد سيطرت العلامات التجارية الأجنبية المعروفة على قطاع الضيافة منذ البداية. لكن يبدو الآن أن سلسلة الفنادق الأجنبية هذه كانت تركز جهودها على النمو الحقيقي الآتي في المستقبل. والسوق الذي كان حظه التجاهل في الماضي يتمتع الآن بإشغال كامل. ولا يزال هناك متسع كبير في سوق شهد أول التشريعات الحكومية فقط في وقت ليس بالبعيد عام 2002. وماذا عن حركة سير العمل في مدنها المئة الأخرى التي تأتي ثانية من حيث الاتساع والتي يقطنها مليونان من السكان أو يزيدون؟ من بين 11.180 فندقاً مسجلاً في البلاد عام 2005، كانت سلاسل الفنادق تمثّل 14.5 في المئة بالمقارنة مع نسبة 80 في المئة يتم تشغيلها وإدارتها من قبل سلاسل الفنادق في الولايات المتحدة.

في عدد يقدر بمئتين وستين ألفاً من الفنادق، هناك ستون ألفاً تقدر طاقتها الاستيعابية بثلاثة ملايين غرفة مصنفة كتسهيلات «معقولة

الثمن» من قبل إدارة السياحة الوطنية. أتمنى لو أن مجموعة فنادق مثل بيست فاليو إن Best Value Inn وبست ويسترن Best Western، حتى هوارد جونسون Howard Johnson كانوا موجودين عام 1984، عندما كانت الفنادق الرخيصة القذرة هي القاعدة السائدة. إن كل سلاسل الفنادق تسير في طريقها نحو الصين وبسرعة ليست بالبطيئة.

لابد للصينيين المخصص لهم ميزانية محددة من أن يأكلوا أيضاً وأن يظهروا بالمظهر اللائق أمام زملائهم في العمل. وكنتيجة لذلك، فرضت مدن مثل نانجينغ غرامات على الطلبات الزائدة عن الحد بالاستناد إلى وزن مخلفات أطباق الطعام، بغية الحد من الإسراف والتبذير في هدر الطعام. وهذا تبدل في الحال الذي وجدته في أيام غزواتي الأولى -عندما كان من الصعب العثور بالمرة على أي مطعم. ولم تكن هذه المطاعم لتفتح أكثر من بضع ساعات في اليوم. كان على المرء أن يأخذ حياته ومعدته بين يديه عابراً الأرض المتّسخة بعظام الدجاج حتى بالكاد يأخذ مكاناً له على طاولة بدون غطاء مخيّط وعليه طبقات من الغبار.

لكن الآن، وفي مدن مثل بيكين يقال: إن فيها ما يربو على مئة ألف مطعم. ولكن من الذي يقوم بالإحصاء؟ ففي مناطق نائية مثل مدينة تشينغدو في مقاطعة سيشوان Sichuan's Chengdo، يتهافت المقاولون لافتتاح أماكن للطعام في كتل طويلة من الأبنية -تتوافر فيها وجبات العشاء الشاعرية لعشرة آلاف زبون، ويأتون بسماعات الأذن- التي تعرض طراز معالجة مقادير الطعام العصرية مثل الكركند، والعصفر، والكافيار. بمجرد أن تحقق هذه المطاعم شهرة لاسمها فإن

الذين يديرونها يسارعون إلى افتتاح خط من التراخيص المشابهة في المدن الساحلية الأكثر ثراءً. واحدة من أكثر السلاسل الناجمة هي ساوث بيوتي South Beauty، التي تخدم معارض سيشوان المتطورة إلى جانب البحيرات الداخلية التي تصب على المنصات الحجرية فوقها خيام لوجبات العشاء الخاصة. وتعرض أسعار هذه المطاعم على خطوط الطيران، ولديها خطط لتتوسع في نيويورك، وقد أعلنت للتو عن خطط لإصدار أسهم أولية للاستثمار فيها. ومن المثير للدهش أن عشر إمبراطوريات من الذين يقدمون الطعام قد حصدت ما يقرب من نصف حصة المطاعم الراقية من الإيرادات عام 2005، ومعظمها من البيوتات التي تقدم وجبات الحلويات المقلية السريعة وهي تنتشر مثلما هي مشهورة أكلة الكعكة المقلية المعدة من البيض والطحين؛ لكن أشهرها الذي أسس في منغوليا الداخلية عام 1999 وهو الحَمَل الصغير. بإمكان المرء تصور قائمة الطعام -التي يمثِّل لحم الخروف أساسها وأطباق أخرى كثيرة- وذلك فيما يربو عن سبع مئة نوع.

تتضاعف أيضاً الحدائق الجديدة، وحدائق الحيوان، وأماكن المياه الدافئة والمنتجعات، ومجمعات التسوق، والمتاحف الهادفة بسرعة مذهلة (أغلقت حديثاً حديقة ترفيهية لأنها وعدت بجوائز «مزيفة» وصلت إلى 35.000 دولار لكل حلقة تسقط حول الوتد الخشبي). وهناك العديد من الأنشطة ذات الصلة بحركة السياحة التي أعجز عن ذكرها كلها.

سأورد فقط تلك التي ليست إلا رمزاً للصين الرأسمالية الحديثة: ألا وهي لعبة الغولف. هذه الرياضة المرتبطة بالرجال الأثرياء ونواديهم

الخاصة تجذب الآن مشتركين جداً، بل قل مدمنين، وبسرعة جعلت الصينيين يطلقون عليها تعبير: «الأفيون الأخضر» منذ بناء الملعب الأول في فندق ينابيع تشانغ شان الدافئة Chung Shan Hot Spring عام 1984. الخالي من وسائل النقل أو التجهيزات، يوجد في الصين الآن أكثر من مئتي ساحة لعب لهذه الرياضة، لتضعها في المرتبة الخامسة عالمياً حالياً، مع زيادة متوقعة قدرها عشرون في المئة في السنة. وتحاول الحكومات المحلية القلقة أن تحد من هذا التوسع بتحديد الأراضي الصالحة لمثل هذه الملاعب. وسواء اعتقد جيل الشباب أن هذه الرياضة مفيدة للعمل أو للصحة فإنهم يذهبون زرافات وجماعات إلى المدارس والدورات لتعلم فنون هذه الرياضة. حتى مبيعات أدوات أندية الغولف تزايدت بنسبة 25 بالمئة عام 2005. وتفاخر الصين اليوم بأن لديها أكبر ملعب للغولف في العالم وهو ملعب شينزن المثير للإعجاب المسمى ميشن هيلز Mission Hills؛ الذي يوجد فيه 216 حفرة.

عندما يأتي دور الكلام عن أسهم السياحة في الصين ربما تكون أفضل فكرة إتمام صفقة متكاملة.

ملفات جيم الصينية: ترك المصباح متوهجاً

شنغهاي جين جيانغ إنترناشيونال هوتلز ديفلوبمنت كومباني، ليمتد
Shanghai Jinjiang International Hotels Development Co., Ltd.
«شركة شنغهاي جين جيانغ الدولية لتطوير الفنادق المحدودة».

بورصة شنغهاي: أسهم فئة ـ A، فئة ـ B

SHA: 900934, A–shares; 600754, B–shares;

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة H HKG: 2006, H–shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 49.3 في المئة. ارتفاع الإيرادات 7.6 في المئة

تدير هذه المجموعة الوقور أكثر من 150 فندقاً على المستوى الوطني. لقد أقامت تحالفاً للعمل مع إكسبيديا، وجمعت إصداراتها الأولية التي عرضت في بورصة هونغ كونغ في أواخر عام 2006 2.4 بليوني دولار من أجل ترميم وتجديد فندق السلام التاريخي Peace Hotel والعديد من الممتلكات العقارية في جين جيانغ. لقد استطاعت المجموعة تقريباً مضاعفة استيعاب غرفها في كل سنة من السنوات الثلاث المنصرمة.

هوم أينز وهوتلز مانجمانت إنك

Home Inns & Hotels Management Inc.

مؤشر ناسداك NASDAQ: HMIN, ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 685.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 510 في المئة

وهي مثال على سرعة ازدهار صناعة السياحة في الصين. استحدثت من قبل أحد مؤسسي سي تريب Ctrip وهو جي كي JiQi في عام 2002، وتدير هوم إين أربعة فنادق معتدلة السعر في بيكين، لكن في عام 2007، اندفعت لتفتح 145 فرعاً في إحدى وأربعين مدينة. يشمل نموذج عملها الإيجار لطالبي تراخيص العلامات التجارية. قفز سعر سهمها 59.4 في المئة في أول يوم من أيام التداول.

من الصعب جعل كلمة 168 موتيلاً «نزلاً» كلمة صينية في الواقع إنها أول سلسلة تحمل لقباً إنكليزياً. لكن هذه المنشأة غير المدرجة حتى الآن

والمملوكة في شركة شنغهاي ميلانج Shanghai Meilinge غير المدرجة أيضاً تسير بإقدام نحو التوسع الكبير في سوق الإقامة المنخفض الثمن. توب ستار Top Star وهي شركة ناشئة هشة أخرى ذات ملكية خاصة، تتعهد بافتتاح ألف فرع بحلول عام 2015.

بسبب الألعاب الأولمبية وحوافز أخرى في الذهن تخطط مجموعة إنتركونتيننتال هوتلز (بورصة نيويورك NYSE: IHG) وهي واحدة من أقدم المجموعات الفندقية ولديها حالياً أكثر من خمسين فندقاً كلها في الصين (بما في ذلك تعهدها بإدارة الفندق الفخم المقام في الموقع الرئيس لأولمبياد بيكين) لتتملك أكثر من سبعين فندقاً بحلول عام 2008، ومشتملة على العلامة الفارقة كراون بلازا Crown Plaza. ويخطط ماريوت Marriott (بورصة نيويورك NYSE: MAR) ليتوسع في خمسة وثلاثين إلى مئة فندق في عام 2010، واعتمدت آكور Accor التي تتخذ من فرنسا مركزاً لها (EPA: AC; OTC: ACRFF) الصينَ كأهم أسواقها، وتقوم الآن بتطوير ثلاثين فندقاً.

بيكين كابيتال توريزم كومباني ليمتد

Beijing Capital Tourism Co., Ltd.

بورصة شنغهاي أسهم فئة-A SHA: 600258, A–shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 30.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 8.3 في المئة

تمتلك هذه الشركة فندقين أربع نجوم: بيكين مينزو Beijing Minzu Hotel وجينغ لون Jinglun في بيكين، وتتوقع أن تستفيد من دورة الألعاب

الأولمبية في بيكين. لكنها تدير أيضاً منتجعات على أرض جزيرة هاينان Hainan الاستوائية، ولها وكالات السفر الخاصة بها.

إيمي شان توريزم كومباني، ليمتد Emei Shan Tourism Co., Ltd.

بورصة شينزن: أسهم فئة-A SHE: 000888, A-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 10.1 في المئة. ارتفاع الإيرادات 30.5 في المئة

هذه هبة في أكثر موقع محبوب في سيشوان وهو واحد من الجبال الخمسة الأكثر قداسة في الصين. يأخذ الحجاج أياماً حتى يكملوا الرحلة الصعبة هنا، مع مساعدة الحمالين وبائعي الطعام، حتى يقفوا ويأخذوا نظرة إلى المناظر الخلابة المحتجبة خلف الضباب من حرم المعابد. تحتكر الشركة مبيعات تذاكر ركوب عربات التلفريك بالإضافة إلى فندق ووكالة سياحة.

هوانغ شان توريزم ديفولبمنت كومباني، ليمتد

Huangshan Tourism Development Co., Ltd.

«شركة هوانغ شان لتطوير السياحة المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئةA وB

SHA: 600054, A-shares; 900942, B-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 107 في المئة. ارتفاع الإيرادات 54.1 في المئة

تدير الشركة كسابقتها جبل الصين الأصفر الخرافي في مقاطعة آن هيو Anhui. ربما تكون قد شاهدت جروفه الصخرية الكلسية

شديدة الانحدار، ومناظر ورسومات الطبيعة الأخَّاذة الصينية أو في أفلام السينما كالنمر المروَّض أو التنّين المختفي. هناك ملاحظة لتوخّي الحذر لهذه البقرة الحلوب التي تحتكر المواقع الشهيرة: فهناك قواعد جديدة ستحد من الزيادة في سعر البطاقة إلى 35 في المئة في أثناء الأعوام الثلاثة القادمة.

جويلين توريزم كوربوريشين ليمتد

Guilin Tourism Corporation, Ltd.

بورصة شينزن: أسهم فئة-A **SHE: 000978, A-shares**

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 21.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 22.2 في المئة

تمتلك منطقة طبيعية فيها طرقات مشهورة في الجنوب الغربي لنهر لي Li River عبر كهوف متشكلة، ولابد أن يشاهد السياح ذلك سواءً كانوا صينيين أو أجانب.

تيبيت شينغ دي كومباني، ليمتد **Tibet Shengdi Co., Ltd.**

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A **SHA: 600749, A-shares**

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 2.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 15.1 في المئة

هذه هي الشركة الوحيدة في التيبت المدرجة. تؤمن الشركة تطوير السياحة في الموقع، ولديها عروض سياحية، وخدمات فنادق، وتصدر المياه المعدنية. بافتتاح خط السكة الحديدية ما بين كينغ هاي والتيبت Qinghai – Tibet في منتصف 2006 استقبلت التيبت عدداً غير مسبوق من السياح الذي يجب أن تستفيد منه الشركة.

ترتيب الطائرات النفاثة بمواصفات صينية

عندما ذهبت للصين أول مرة، كان يحلو لكل شخص أن يقول: إن الأحرف الأولى من (إدارة الطيران المدني للصين The Civil Aviation Administration of China) وهي الهيئة المحتكرة للنقل الجوي، ترمز إلى «الخطوط الجوية الصينية دوماً تتحطم Chinese Airlines Always Crash». اليوم تنوعت أعمال الشركة وصارت هذه الطرفة السمجة من مخلَّفات الماضي. في الواقع، إن عمليات الاندماج والتخصيص التي طال انتظارها، وأساطيل الطائرات التي تزداد كفاءتها باستمرار، وحركة المسافرين المتنامية باضطراد قد جعلت من صناعة الطيران الصينية تبدو بحالة صحية قطعاً ومحمية جيداً من جميع أنواع الحوادث الجوية.

عادة أنا جسور للاستثمار في الطيران، وهذا بالتأكيد يشمل الصين. وبالنتيجة، فقدت الصناعة على المستوى العالمي البلايين ما بين عامي 2000 و2006، مع وجود خمس شركات رئيسة على الأقل أعادت تنظيم نفسها أو أشهرت إفلاسها. وإذا لم يكن هذا إشارة لنتيجة ما فإنني لا أعرف ما هو. ولا يوجد شخص غير عارف بتقلبات أسعار الوقود بعد الآن. كل واحد يعرف عن مشكلات إيرباص، وبوينغ التي بيعت، حيث إن توريد الجيل الآتي من الأساطيل الجوية سيكون محدوداً، حتى المطارات يجب أن تُماشي النمو أيضاً. لكن لا بد أن يكون هناك خمس سنوات جيدة في الأفق، وربما أكثر في السوق الصينية التي لا تزال متوثبة لكي تسير على المدرجات.

ببساطة، يمكن القول: إن صناعة الطيران الصينية هي الأسرع نمواً في العالم. ظل الوضع على حاله حتى عام 1980، عندما أَذِنت الحكومة بتأسيس خطوط جوية تدار على نحو مستقل كما نعرف. استُحدثت الخطوط الجوية لجنوب غرب الصين، وهي واحدة من الشركات الست الرئيسة التابعة لإدارة الطيران المدني للصين، عام 1987. وتألَّفت طيران الصين، وهي الناقل الوطني، عام 1988. لكن الصناعة وقعت في مستنقع من الخسائر الضخمة بسبب ارتفاع أسعار النفط وعدم الكفاءة بوجه عام. حدث ذلك قبل إعادة الهيكلة عام 2004، عندما قررت إدارة الطيران المدني للصين أن تنقسم إلى ثلاث مجموعات: طيران الصين، وشرق الصين، والصين الجنوبية. وتتولى هذه الشركات الثلاث نقل أكثر من نصف الركاب المسافرين. في الوقت ذاته، تألفت ست شركات نقل جوي لا تتبع إدارة الطيران المدني وأسست بمجملها مجموعة منشآت طيران السماء للصين. كانت تشغل هذه المجموعة مجتمعة ما يقرب من ألف طائرة تخدم رحلات خمس مئة خط لكن في السنة الماضية، خرج العديد من اللاعبين الرئيسين من المجموعة واندمجوا في مجموعة إدارة الطيران المدني للصين.

يتزاحم في يومنا الحاضر كل صانع للطائرات ومورد لصناعة الطيران لكي يملأ طلبات البيع الصينية. بوينغ على سبيل المثال، تقوم بتجميع ثلث قطع أساطيلها في الصين الآن، وقد ابتهجت للغاية بالطلب المقدم إليها عام 2005 من قبل ست شركات صينية لشراء ستين طائرة من الطراز

المتقدم 787 التي ستكون في الخدمة عند انعقاد دورة الألعاب الأولمبية. صرح وزير التجارة بو زيلاي BoXilai عام 2006، أن الصين ستحتاج إلى ألفي طائرة في عام 2020 لكي تقوم بخدمة سوق يتجه ليصبح أكبر ثلاث مرات من سوق الولايات المتحدة. تقدر إدارة الطيران المدني للصين أن الخطوط الجوية الصينية ستقوم بإضافة ما بين مئة إلى مئة وخمسين طائرة إلى الخدمة في كل سنة من السنوات الخمس الآتية. ولن تظل الصين مشترياً للطائرات لوقت طويل. لقد أعلن كبار الرسميين أن الحكومة قد جعلت على رأس أولوياتها بناء طائرة نفاثة عريضة الهيكل في الصين في خمسة عشر عاماً.

لكن السؤال الرئيس الذي يواجه الخطوط الجوية الصينية هو فيما إذا كان بإمكان الشركات استخدام الطاقة الاستيعابية المضافة على نحو فاعل. فعلى هذه الشركات أن تدرب وتؤهل رقماً قياسياً من الطيارين في زمن قياسي. بالإضافة إلى أن هناك حاجة ملحّة أكثر من ذي قبل إلى الرحلات والطائرات القصيرة المدى. وبينما تبلغ نسبة الطائرات في الولايات المتحدة التي تحتوي سبعين مقعداً أو أقل 38 في المئة في السوق الأمريكي، فإن هذه النسبة لا تتعدى 9.8 في المئة في الصين. وتقوم المطارات الإقليمية الصغيرة بخدمة ما نسبته ستة في المئة من المسافرين في الصين حتى الآن.

حتى المطارات نالت قسطها من التحديث مع شق بيكين طريقها نحو التوسع متوجهة إلى الألعاب الأولمبية أيضاً. في عام 2004، نشرت مطبوعة

عن المطار تستعرض مدى التغيير: «لقد أخذ مطار بيكين زمناً قدره ثلاثاً وثلاثين سنة لكي يصل عدد المسافرين منه وإليه سنوياً من الصفر إلى عشرة ملايين، سبع سنوات ليزداد الرقم من عشرة إلى عشرين مليوناً، وعبر أقل من أربع سنوات فقط ليكبر من عشرين مليوناً إلى ثلاثين». بحلول عام 2006، سيربو العدد على أربعين مليوناً. ومثلها مثل سائر المطارات في آسية، فإن مطارات الصين الجديدة ستضع سائر العالم أمام واقع مخجل. خذ نظرة على مطاري كينوي ولاغوارديا في نيويورك إذا كان عليك شق طريقك مثلي تماماً وسترى بأم عينك التسهيلات المكتظة الكالحة التي تشبه مثيلاتها في دول العالم الثالث. إن بعض قاعات استلام العفش ليس فيها تراخيص وتثير الحرج من أول نظرة داخلها إذا قورنت بمسالك طائرات الصين التي تشع كأنها مدن برمّتها، مكتملة بمجمعات تسويق، ومراكز استشفاء، وفنادق داخلية.

إذا كان على المرء أن يرى إلى أين وصل الإيمان في الأسواق المالية للصين، فليتأمل عدد الهيئات التي تقوم على خدمة قاعات السفر قبل التوجه إلى الطائرة. كل منشأة، تبدو وهي تنشد الوجاهة ورأس المال العامل الذي يأتي مع إدراج الأسهم في السوق المالية. وقد تكون المطارات ذاتها سبيلاً أنيقاً للاستثمار في صناعة الطيران الآخذة بالتوسع دون المخاطرة الناتجة عن أي اضطراب بسبب الاندماجات والتحالفات المحتملة.

بدأ ذلك كله بمعاونة أمريكية. في عام 1929، انضمت كوريتس - رايت Curtiss – Wright، التي أصبحت أضخم شركة طيران في الولايات

المتحدة، إلى الحكومة الصينية في تأسيس شركة الطيران الوطنية للصين. ولم يمض وقت طويل حتى أدت الخلافات مع الزعيم الوطني للصين تشيانغ كاي تشيك Chiang Kai-Shek إلى أن تبيع كورتيس – رايت الشركة إلى بان أميركان. أثناء الحرب العالمية الثانية، قامت الشركة بتسيير رحلات توريد عبر مسارات خطرة ما بين الصين والهند –عندما منع اليابانيون المؤن من أن تصل عبر طريق بورما غير المشهور. قام طاقم شركة الطيران الوطنية بثمانية وثلاثين ألف رحلة فوق جبال الهملايا لينقلوا موادً حيوية ويعملوا إلى جانب الوحدة الأمريكية الشهيرة المعروفة باسم النمور الطائرة. عندما تأسست جمهورية الصين الشعبية، أجبرت بان أم على بيع ما بقي من حصتها في الشركة، التي ذابت في إدارة الطيران المدني للصين التي استُحدثت عام 1949.

اليوم، تسعى طيران الصين لتكوين اتحاد مع غيرها بهدف رفع قدرتها على المنافسة مع منافسيها من شركات الطيران العالمية العملاقة الذين يتهافتون على تسيير رحلات عبر خطوط جديدة في الصين، مثل بعض الناقلين الجويين الذين بالكاد نعرف أسماءهم حتى الآن، كشمال الصين التي سوف تنادي أكثر فأكثر على رحلات تصل إلى محطات دولية. فيما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، أثبتت الصين أنها وصلت إلى مرحلة من النضج في الطيران الدولي بإعانتها غير المباشرة لشركات النقل الدولية على تحويل مسارات الرحلات الجوية من مناطق الحرب في أفغانستان.

لقد كان هناك فيض من الحوادث أصاب شركات النقل المحلية ما بين عامي 1999 و2001، لكن منذ التحسينات التي طرأت فيما بعد، لم

يعد هناك سوى القليل من الحوادث. وبالرغم من التهكمات القديمة فإن شركات الطيران التي ترفع العلم الوطني للصين لديها سجل جيد من حيث الأمان.

ملفات جيم الصينية: سبل لامتطاء رحلة جوية

إير تشانيا ليمتد .Air China Ltd

«طيران الصين المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H؛ فوق المنصة

SHA: 601111, A-shares; HKG: 0753, H-Shares; OTC: AICAF, AIRYY

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 24.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 34.9 في المئة

طيران الصين هي الناقل الوطني والشريك الرسمي لألعاب بيكين الأولمبية عام 2008. في عام 2006، عقدت صفقة قدرها 8.2 بلايين دولار هونغ كونغ مع شركة كاثي باسيفيك، بعد أن باعت حصتها في دراغون إير «طيران التنين» (وبمدخل إلى خطوط البر الصيني الرائجة) في مقابل 17.5 في المئة من أسهم كاثي باسيفيك (وشبكتها الدولية، بالإضافة إلى تمثيل كل للآخر في مجال المبيعات). كذلك انضمت طيران الصين مع ستار آليانس Star Alliance لكي تساعدها في دفع قطاعها الدولي.

تشاينا إيستيرن إيرلاينز كومباني، ليمتد

China Eastern Airlines Co., Ltd.

«شركة الخطوط الجوية الصينية الشرقية»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H؛ بورصة نيويورك

SHA: 600115, A-shares; HKG: 0670, H-shares; NYSE: CEA, ADR

منحى ثلاث سنوات: خسائر 336.4 مليون دولار بانخفاض عن أرباح 66.8 مليون دولار. ارتفاع الإيرادات 85 في المئة

مركزها شنغهاي، قد تكون تشاينا إيستيرن أكبر خطوط للطيران في العالم لم تسمع بها من قبل. إنها ثالث أكبر خطوط طيران في الصين من حيث الإيرادات، وازدادت رحلاتها بمعدل 49 في المئة في عام 2006، بالرغم من أن الأرباح تضررت كثيراً بسبب ارتفاع أسعار النفط، وتدهور وتغييرات في الإدارة. بيد أنها ستحول ما تبقى من أسهمها المملوكة للدولة القابلة للتداول كجزء من بيع 20 في المئة منها إلى الخطوط الجوية السنغافورية. إن المعرض الدولي لشنغهاي عام 2010، لن يتأذى من هذه الخطوة.

تشاينا ساوثرن إيرلاينز ليمتد China Southern Airlines Ltd.

«الخطوط الجوية لجنوب الصين المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H؛ بورصة نيويورك؛ من فوق المنصة

SHA: 600029, A-shares; HKG: 0753, H-shares; NYSE: ZNH, ADR; OTC: CHKIF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 29.7 في المئة. ارتفاع الإيرادات 34.1 في المئة

تخطط طيران جنوب الصين لتستخدم قاعدتها لكي تصبح صلة وصل رئيسة لشركاء الصين الجدد في إفريقية. وتسير حالياً خطاً من غوانغ زهاو إلى لاغوس وهي الآن تؤسس أول مرحلة مباشرة إلى أنغولا كجزء من عشرة خطوط دولية أعلن عنها في مطلع عام 2007.

هاينان إيرلاينز كومباني ليمتد .Hainan Airlines Co., Ltd

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A، فئة-B

SHA: 600221, A-shares; 900945, B-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 100.3 في المئة. ارتفاع الإيرادات 48 في المئة

تتخذ الشركة من جزيرة المنتجع مركزاً لها، وهي رابع أكبر خطوط جوية في الصين من حيث الإيرادات. في عام 2006، حصدت ثلاث جوائز من أرفع مستوى لرحلاتها «الآمنة -ملتزمة المواعيد، ورضا الزبائن» منحتها إياها إدارة الطيران المدني للصين مما يعد أمراً ذا مغزى لصناعة طالما عانت التأخير. تركز الشركة على الرحلات القصيرة عبر اسم تجاري جديد، مطار الصين السريع الجديد العظيم Great New China Express؛ وسوف توحد شركاتها البنات الثلاث الإقليمية؛ وقامت منذ وقت قريب بشراء مئة طائرة من شركة إمبرير البرازيلية المدرجة في [بورصة ساو باولو] ورموزها (EMBR3, EMBR4; NYSE: ERJ, ADR).

كذلك تجرب شركات الطيران ذات الأسعار الاقتصادية حظوظها في الصين. تعمل تشانغ يو .Chungiu Ltd، وهي شركة تابعة لوكالة سفر تحمل الاسم نفسه، خارج شنغهاي لتوفير رحلات سياحية كاملة. وتتوقع

الخطوط الجوية جون ياو Juneyao Airlines باستهدافها رحلات عمل مستمرة أن تتوسع لتملك ثلاث عشرة طائرة في 2007. أما أوكيه إير OK Air فإنها تضيف خدمات الشحن لمسافريها، وهي تعمل خارج تيان جين Tianjin منذ عام 2005. وإنني أهيب بالقارئ أن ينظر يوماً ما في المستقبل إلى أسهمها المدرجة في السوق المالي.

بيكين كابيتال إنترناشيونال إيربورت كومباني ليمتد

Beijing Capital International Airport Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ أسهم فئة-H؛ من فوق المنصة

HKG: 0694, H-shares; OTC: BJCHF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 43.7 في المئة. ارتفاع الإيرادات 0.84 في المئة

هل تحب أن تكون لك حصة في مطار أوهير في مدينة شيكاغو، أو مطار لوس أنجلوس، أو مطار دنفر الدولي الجديد؟ إذا لم تقدر على ذلك، فلماذا لا تقوم بالأمر في الصين؟! بوجود الكثير من مطارات الصين الحديثة التوسع التي تسعى إلى أن يكون لها قدْر كبير عندما تصبح شركة مسهمة، أصبح الأمر منفذاً عظيماً لجني الربح الحاصل من نمو صناعة الطيران في الصين. وسيسهم الأولمبياد في ازدهار هذه المنشأة المتمدنة كثيراً.

زيامن إنترناشيونال إيربورت كومباني ليمتد

Xiamen International Airport Co., Ltd.

«شركة مطار زيامن الدولي المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600897, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 59.6 في المئة. ارتفاع الإيرادات 34.5 في المئة

تستحق هذه الشركة أن يلقى عليها نظرة، فزيامن هي محطة الوصول الرئيسة للرحلات الجوية ما بين الصين والفيليبين، حيث يأتي الكثير من الفلبينيين من أصل صيني قادمين من مقاطعة فوجيان (القريبة جداً من تايوان).

شنغهاي إنترناشيونال إيربورت كومباني ليمتد

Shanghai International Airport Co., Ltd.

«شركة مطار شنغهاي الدولي المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة ـ A SHA: 600009, A shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 17.2 في المئة. ارتفاع الإيرادات 25.6 في المئة

وهي منشأة أخرى عالمية المستوى التي ستشهد حركة ملاحية متزايدة. شيدت في العهد الحديث لبودونغ Pudong عام 1999، وبإمكانها توفير الخدمة لستين مليوناً من المسافرين في السنة، لكنها ستشهد حركة مسافرين أكثر من هذا العدد في أثناء معرض شنغهاي الدولي عام 2010.

راقب هذا الكوكب الفريد! إن أمثال ماركو بولو يربطون الآن حزام الأمان بدلاً من اعتمادهم على قافلة من الإبل. سيعودون مثله من هذا البلد حاملين معهم مشاهد رائعة عن الشرق.

7

الزراعة: هل سبق لك أن استثمرت فيها؟

ليست حبوب الصويا فقط لا تتمتع بالجاذب الجنسي. وليس زارعو الأرز واحة للأحلام. ولا تصنع فاكهة البساتين العناوين الكبيرة على الصفحات الأولى مثل الشباب الصينيين الذين يقودون سيارات الفيراري الرياضية أو المدن المزدهرة التي تنفرد برقصة العالم للهولاهوب.

لكن ماذا عن أنباء الصين التي لديها أدنى نسبة من الأراضي الصالحة للزراعة، وفي الوقت ذاته تصنف في المرتبة الأولى عالمياً في الإنتاج الزراعي؟ بالطبع، هناك الكثير من الإثارة عند الكشف عن كنه الإنتاجية لدى الكتلة البشرية الكبرى في العالم الفريدة ضمن علم الأجناس: قدرت الأرقام الرسمية عدد سكان المناطق الريفية في الصين بتسع مئة وأربعين مليون نسمة عام 2005.

لقد أحدثت مبادرات الحكومة، وعمليات الإنتاج الفاعلة، والارتفاع المدهش في الصادرات المتخصصة منعطفاً هائلاً في الريف الصيني. كان عام 2006 السنة اللافتة التي تحمل عنوان كل السنين: قفزة مقدارها 14.1 في المئة في إنتاج الصين الزراعي مصحوبة بزيادة 20 في المئة في

الأسعار. وبسبب ضغوط الأسواق العالمية وقواعد منظمة التجارة الدولية المناهضة لأساليب الحماية التي سآتي عليها لاحقاً، خفضت الدولة منذ أمد قريب الضرائب البائدة مع زيادة الحوافز والاستثمارات للمساعدة على إنعاش الإصلاحات التي طال انتظارها والمتعلقة بالزراعة التي تطال العمل الزراعي الحديث.

بينما تتضاعف الإستراتيجيات بسرعة كشهَوَاتٍ، هناك سباق واعد من أجل تأسيس نماذج المملكة الوسطى لشركات مثل آرشر دانييلز ميدلاند Archer Daniels Midland، وجنرال ميلز General Mills، وكيلوغ Kellogg. ومن أصناف الغذاء إلى الأنبذة (الخمور) المعتقة يمتد مجال الصين فيما تستطيع أن توفره من كم هائل من احتمالات الاستثمار غير الملاحظة.

وكأي من الرحالة الآخرين الكثر، فوجئت عند سماعي تحية شائعة في الصين بين الناس وهي السؤال بكل أدب: «هل أتيح لك أن تتناول وجبة طعام؟» إن ما سيأتي ذكره لاحقا هو بعض الفرص المتاحة في الإجابات الجديدة المتداولة الآن في الصين عن هذا السؤال القديم. وكما أن القيادة الصينية حسمت أمرها وأخذت الزراعة على محمل الجد، فلعلك تقوم بالشيء ذاته أيضاً.

الآلام المتنامية

هناك سبب وجيه يدعو حكام الصين الحاليين للشعور بالقلق على الشريحة الكبيرة في مجتمعهم وهي المزارعون. فالقرون خلت

وانتفاضات الفلاحين كانت تساعد في التخلص حتى من أعتى الأباطرة. بالعودة إلى الوراء في ثمانينيات القرن العشرين مثّلت عملية الإصلاح في الصين قفزة نوعية لهذه الفئة من الناس. لقد اختار وينغ هيساو بينغ بحكمة الأرياف لتكون مسرحاً شاهداً على إصلاحات السوق عبر تحرير المزارعين من عبء الإنتاج لمصلحة فئات غير فاعلة وإزالة كيان ضوابط السيطرة على الأسعار. تحت ما كان يطلق عليه نظام مسؤولية أرباح البيوت، سمحت الحكومة المركزية لأُسر المزارعين كي يمارسوا العمل لمصلحتهم الخاصة، والحصول على عائدات إضافية، الأمر الذي كان محظوراً في الدولة الشيوعية. لقد عمل هذا النظام المؤسس على الحوافز على تحقيق رقم قياسي للمحاصيل في أعوام 1982 و1983 و1984 فيما يخص القمح والقطن، وغلالاً أخرى، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه بثّ الجرأة عند المزارعين لكي يصبحوا روّاداً في وجوه أخرى من حياتهم. انبثقت الأسواق الخاصة وباتت المدن الريفية مراكز للتجارة والمبادلات. في بواكير أعوام الإصلاحات، أضحت الأعمال المنتشرة في الريف القطاع الأسرع نمواً في اقتصاد الصين بنسبة راوحت ما بين 30-20 في المئة سنوياً.

وبحلول عام 1987، مثّلت الأنشطة غير الزراعية أكثر من نصف اقتصاد الأرياف. بدأ الرخاء يعم القرى. لقد استطعت أن أرى ذلك بأم عيني عندما جُلْتُ في أرجاء جنوب شرق الصين عام 1986. وعلى مدى النظر، زالت الأكواخ التي كان يسكن فيها المزارعون وحل محلها منازل حديثة مؤلفة من طابقين وزينت بعض مداخل البيوت بالتماثيل المنحوتة،

وانضم ارتفاع الدخل في المناطق الريفية إلى اللوازم الغذائية عالية الجودة، لكي يؤديا إلى إقناع قادة الصين لتحرير مناطق المدن في الصين من نيرها الشيوعي أيضاً، وساعدت الزيادة في عوائد الضرائب التي كان مصدرها القرى والمدن الصغيرة التي زخرت بالصناعات الصغيرة الجديدة على تمويل الارتقاء بالبنية التحتية في كل مكان.

ومنذ ذلك الحين، تبادلت الأرياف والمدن المواقع. فبمجرد انطلاق قطاعي الصناعة والخدمات، لم تستطع الزراعة الصينية التي اعتمدت على الآلات التي أصابها الاهتراء والمساحات المزروعة الصغيرة (الموزعة بحسب آخر تعداد على مئتي مليون أسرة) الصمود. فبعد أن كانت الزراعة تسهم في 50.2 من الناتج القومي الإجمالي عام 1952، هبطت النسبة إلى 15 في المئة عام 2005، لتوفر أقل من خمسة في المئة من واردات خزينة الدولة. لقد ازداد التفاوت في الدخل بين المدن والأرياف من 2.6 مقابل 1 لمصلحة المدن عام 1978 إلى 3.2 في المدن مقابل 1 في الريف عام 2006. وبالرغم من الموجة الريادية الهائلة التي اجتاحت الأمة بأسرها، بقي الريف الصيني ضعيف الإنتاجية نسبياً، إذا علمنا أن زراعة الهكتار الواحد يلزمها مزارع واحد (في حين أن عاملاً زراعياً بمفرده يستطيع العناية بمئة وأربعين هكتاراً من الأرض في الولايات المتحدة). وإذا أردنا الإيضاح أكثر، تقول الإحصاءات إن «القيمة المضافة» التي يحققها العامل الريفي في الصين لا تزال تقل مئتي مرة عن مكافئه الأمريكي. فلا غرابة أن يهجر الرجال الذين تراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والأربعين سنة الأرض الزراعية للعمل في المدن، مما أدى إلى قيام منشآت «مخيفة»

انتهى بها الأمر إلى استئجار الأراضي الشاسعة المهجورة وإدخال المَكْنَنَة الحديثة إليها.

ومع الاحتجاجات التي تقوم من حين لآخر اعتراضاً على مستويات المعيشة والفساد، بات الاضطراب الاجتماعي في الريف الصيني باعثاً متزايداً للقلق، وربما تحوَّلت القوةُ الشرائيةُ المتدنية لستين في المئة من إجمالي المستهلكين في البلاد إلى حالة مزعجة بدرجة أكبر للاقتصاد الصيني. ولهذا وضعت الحكومة الصينية في أحدث خطة خمسية ثقلها لردم الهوة بين المدينة والريف، لقد كان السياسيون الصينيون وعلى أرفع مستوى، كرئيس الوزراء الحالي وين جياباو Wen Jiabao على سبيل المثال، وما زالوا يخاطبون بحرارة وحماسة جماهير الناس المحتشدة في مناسبات الزواج في الريف، لكي يتحدثوا عن وعود الحكومة بتوفير مياه أنظف، وزيادة الكَهْرَبَة، وجيل جديد من بيوتات المدارس في الريف ينال قسطاً وافراً من دخول أجهزة الحاسوب إليه. لقد تم إنفاق 42 بليون دولار من الاستثمارات في البنية التحتية الزراعية إنفاذاً ووفاءً لهذه الوعود. تهدف الحكومة إلى مضاعفة الأموال المخصصة للبحث الزراعي، ولتأسيس أنظمة ريّ أكثر كفاءة، وأسواق لمبيعات التجزئة، والتجارة الإلكترونية. وإن دعماً بهذا القدر سيساعد من ثمَّ على خلق كمّ وافر من الفرص أمام المستثمرين من القطاع الخاص.

وبأخذ مخاوفهم على السواد الأعظم من التركيبة السكانية بالحسبان ربح المفاوضون الصينيون حول اتفاقية منظمة التجارة العالمية WTO المساومة على الاستمرار في توفير الدعم الحكومي، لتحسين أوضاع

المزارعين وتجهيزاتهم، ليصل إلى 8.5 في المئة من الناتج الزراعي. وأتى مع المساعدة الهادفة إلى تحديث التجهيزات الموجودة في حيازة المزارعين إجراءات تحويل المصارف المعاونة للمزارعين إلى قطاع خاص، مما أدى إلى مضاعفة القروض الممنوحة للمزارع ما بين عامي 2001 و2005. منذ دخولها حيز التطبيق الفعلي عام 2001، سمحت فقرات اتفاقية منظمة التجارة العالمية للحكومة الصينية: أن تستمر بدفع أثمان أعلى من الأسعار العالمية لبعض السلع الرئيسة، وهو مسلك اعتمد بعد ملاحظة الانكماش الذي حصل ما بين عامي 2001، 2004 في مساحة الأرض، التي تزرع فيها محاصيل الأرز، والقمح، والذرة.

لكن فقرات منظمة التجارة العالمية حصرت حق الصين في استيراد المنتجات دون اللجوء إلى مؤسسات التجارة العائدة للدولة أو الوسطاء. لقد ساعد ذلك على كبح سلطة التحكم بالتسعير وتحديد الكميات من قبل الاحتكارات، التي تتلقى تمويلها من الدولة في حقول مثل التبغ والقطن، بينما فسح المجال أمام المنشآت الأجنبية لتِلجَ أكثر من ذي قبل إلى قطاعات النقل والتوزيع. لقد تم خفض التعرفة الجمركية الصينية بمقدار النصف على وجه العموم على المستوردات من زيت الصويا والنبيذ والذرة من مستويات لا تطاق إلى أخرى معقولة. لقد أجبرت هذه المنافسة المزارع الصينية على أن تعمل بكفاءة إنتاجية أكثر وعلى وجه السرعة، مما صار يعني كسر نظام زراعة المساحات الصغيرة التقليدي، والذي أدى بالحكومة الصينية لتتخلى عن تأمين الولاء لها، مقابل سياسة مكلفة تحقق «اكتفاءً ذاتياً كاملاً»، وتوفر الغذاء للبلد كله.

وبالنتيجة، ارتفعت أثمان المستوردات الزراعية ما بين عامي 2002 و2004 مما يقرب من 10 بليون دولار أمريكي إلى 25 بليوناً. قد تبدو هذه المستوردات في بلد كالولايات المتحدة لديه محصول كبير من الذرة والقمح وزيت الصويا، كعلامة محتملة تدل على ضعف الصين، على أن تفضي هذه المستوردات إلى توفير مؤشرات على نهضة الصين الغذائية، وتمنح أساليب أكثر لدخول الحلبة. عند التطلع إلى المنشآت الأمريكية والأوربية التي تتمتع بأفضل المواقع ضمن مثيلاتها، لتكون مسؤولة عن توريد الغلال لمدة طويلة. وفي حقيقة الأمر، لا يبدو الاقتصاد الصيني وكأنه يقف في الجانب الخاسر، لكنه يحقق المكاسب من وراء السماح لمكانة السوق من أن تملي استخداماً أكثر ترشيداً لتربة الزراعة الثمينة. وإنه من العقلانية للصين أن تستمر في وضعها كمستورد للمحاصيل التي تتطلب استخداماً كثيفاً للأرض الزراعية كالقمح والقطن، الأمر الذي ليس بمقدورها أن تديره كما يجب، أو أن توفر له الإمكانات اللازمة، ومن الأفضل لها أن توجه المزارعين المحليين للتركيز على التصدير. وبحسب تقديرات المصرف الدولي، فإن اقتصاد الصين بالإجمال يستطيع الإفادة من خمسة بلايين دولار فيها لو استمر خفض زراعة الحبوب الأساسية حتى عام 2010.

وبالمثل تخلى رجال الضريبة في الصين تماماً عن النظرة التقليدية، التي مفادها: أنه يجب على أولئك الذين يعملون في الأرض أن يدعموا الرسميين، الذين يعملون خلف المكاتب. ومنذ عام 2004، علّقت عشرون مقاطعة في الصين مفعول جميع أنواع الضرائب، التي كانت مفروضة على عوائد زراعة

الحبوب. في عام 2006، اتخذت الحكومة المركزية خطوة غير مسبوقة بإزالة المكوس المفروضة على كل أسرة زراعية، وهي إتاوة كانت سارية المفعول منذ عام 1958 -وتعود جذور وجودها بنحو أو بآخر إلى 2.600 سنة! لقد كان هذا القرار ذا مغزى أكثر من كونه رمزياً، لكون الضريبة الفردية مثّلت في الماضي ثلاثة في المئة من إيرادات الحكومة على مستوى الأمة بأسرها. لقد أظهرت إحدى أحدث استطلاعات الرأي في الصين (وهي صناعة أخرى ناشئة) أن إزالة هذا العبء الضارب في القدم قد أدخل «السرور على 98 في المئة من المزارعين». إنني لأتعجب من هم الاثنان في المئة الآخرين*!

وتستطيع المنشآت الزراعية المتكونة حديثاً التي تسهم في جعل المأكولات صحية أكثر أن تستفيد من الإعفاء الضريبي أيضاً. فعلى سبيل المثال بمقدور بوديسن بيوتيك Bodisen Biotech التي سيرد ذكرها لاحقاً أن تطلب استثناءها من الضرائب الزراعية والضرائب على الدخل، لأنها تقوم بتصنيع أسمدة جديدة صديقة للبيئة.

لقد بدأ النشاط الزراعي العصري الذي يمارس في الدول النامية يضرب له جذوراً في الأرض، وباتت المعلومات المتعلقة بالعوائد والأسعار أكثر موثوقية، وهو أمر له مغزاه، ويعوّل عليه المستثمرون، الذين هم بحاجة بناء القرارات على معلومات دقيقة. أما في أثناء (القفزة الكبيرة للأمام Great Leap Forward)، وهي الحركة التي أثارها زعيم الصين ماوتسي تونغ، لبعث صدمة في الزراعة عن طريق تحويل الملكيات الزراعية الصغيرة

* أعتقد أنها هامش الخطأ الإحصائي، الذي يمكن أن يقع عند استطلاع الرأي (م).

إلى ملكيات جماعية، فقد كانت هذه المزارع الجماعية تبادر بسرعة وعن عمد بإرواء سنابل القمح القديمة، لتجعلها تتطاول إلى قياس مدهش من أجل نيل رضا الزعيم ماو عندما يمر قطاره عبر الحقول، وللحصول منه على مكسب ما. حتى وقت قريب، كان حكام المقاطعات يبالغون دوماً بكمية المحاصيل لكي يلمعوا صورتهم، وتكتمت المؤسسات الدولية التي تحتكر التجارة على أرقام احتياطات الغذاء كما تحجب بعض الأمم المعلومات عن مخزوناتها من قضبان وقود اليورانيوم. لكن منشآت الصين الزراعية الناشئة فهمت الرسالة التي مفادها: أن ثمن دخول نشاطها في السوق العالمي هو الإفصاح والرقابة المحاسبية والفحص والتدقيق وتسمية الأمور بمسمياتها. قد يكون هناك بعض المحاصيل الفاسدة وسمعة سيئة تطفو على السطح، وهو فأل سيئ للمستهلكين، بالرغم من أنه من حسن طالع المستثمرين، لكون المصاعب المؤقتة قد تفضي إلى فرص للاستثمار، لكن الصين ستتعلم كيف تنسجم وتبدأ بوضع ضوابط لصناعاتها الغذائية على وجه أكثر دقة، وأمانة، وعلى نحو بادٍ للعيان.

ومع الأرباح الجديدة المتحققة بالعملة المحلية، فإن الاستثمار في الزراعة الصينية ربما يكون أيضاً وسيلة أنيقة للدخول إلى الارتفاع الحتمي لعملة الصين رينمينبي Renminbi. يبقى فقط قيد مكبل واحد. فبسبب تأخر عملية الإصلاح، تبقى الزراعة أكثر تذبذباً، فهي معرضة للتحولات المفاجئة بسبب القحط أو الفيضانات أو أسعار السلع العالمية أو نزوات الاحتكارات التجارية الباقية. إن معضلات الجودة والأمان المتصلة ببعض الصادرات الغذائية الصينية، كما حدث في صيف عام 2007، لهي

أمثلة على ذلك. لكن يمكن أن يكون هناك جوائز ثمينة لتلك الشركات التي هي مؤهلة أكثر من غيرها للتخفيف من آلام الصين المتنامية.

ملفات جيم الصينية: وداعاً للمزارع الجماعية، مرحباً بالاتحادات

كوفكو إنترناشيونال ليمتد COFCO

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H؛ من فوق المنصة

HKG: 0506, H-shares {as Chaina Foods Ltd.}; OTC. CFITF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 257.9 في المئة، ارتفاع الإيرادات 54.9 في المئة

هل تتطلع إلى زيت الطهي، النبيذ، الشوكولا، الدقيق، طعام الحيوانات؟ إن كوفكو التي مركزها هونغ كونغ مهيأة، لكي تكون المورّد الأكثر قوة، وهي منشأة متعددة ومتنوعة الأعمال وبصماتها موجودة في أغلب صناعة الأغذية. إن النمو المذهل لهذه المنشأة المملوكة للدولة الذي بدأ عام 1952، أتاح لها تحوّلاً سلساً حين أصبحت عام 1999 شركة مسهمة وصار أداؤها صلباً متماسكاً. إنها أيضاً واحدة من شركاء التعبئة لكوكا كولا. إذا كان الكبر مبعث ارتياح لك، فإن كوفكو هي جزء من خمس مئة من المحظوظين Fortune 500، ومثّلت تجارتها الإجمالية 4 في المئة من صادرات وواردات الصين من رقائق الذرة، والزيوت، والمواد الغذائية. لقد أعلنت الشركة عام 2007 أنها بصدد إدراج وحدات العمل المنفصلة التابعة لها في خمس سنوات.

شنغهاي داجيانغ (غروب) ستوك كو.، ليمتد

Shanghai Dajiang [Group] Stock Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A، فئة-B SHA: A-Shares, B-Shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الخسائر من 30.8 مليون دولار إلى 6.97 مليون، انخفاض الإيرادات 28.7 بالمئة

بالرغم من تراجع سعر أسهمها كما هو ملاحظ، فإن داجيانغ على ما يبدو مصممة لصبح واحدة من أكبر وسطاء الغذاء في الصين عبر توسعة جوهر عملها الذي هو إنتاج علف الماشية والدواجن، خاصة الخنازير والطيور. لقد اشتغلوا ببيع قطع الدجاج بدرجة كبيرة، وهم يسوقون كل شيء من كرات لحم الخنزير إلى الهمبرغر المجمدة وتعهّدوا «بتطوير نكهة محلية خاصة ونكهة مثيرة في كل من أوروبة، وأمريكة، وجنوب شرق آسية، وأمريكة اللاتينية، تلبية لأذواق المستهلكين على اختلاف طوائفهم».

تشاينا أنيمال هازباندري إندستري كو.، ليمتد

China Animal Hasbandry Industry Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600195, A-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 46.7 بالمئة، انخفاض الإيرادات 78.7 في المئة

وهي مورد رئيس آخر للعلف، بحسب علامتها التجارية هوالو Hualo، وأمصال لقاح الحيوانات.

هاي تونغ فود غروب كو.، ليمتد. Haitong Food Group Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600537, A-Shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 41.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 6.4 في المئة

تقوم هاي تونغ التي يقع مقرها الرئيس في دلتا نهر اليانغتز الخصبة بمعالجة مئتي صنف من المنتجات المهدرجة المثلجة والمعبأة بطريقة الكونسروة. لقد ظلت تشدد على «الطعام الأخضر»، وتدعي القيام بإجراءات الفحص لمبيدات القوارض والبعوض والذباب. إنها أيضاً تصدّر طرازاً يابانياً إلى جزيرة تايوان وكوريا الجنوبية، بالرغم من أنها تعتمد التحول إلى معايير يابانية وضعت أخيراً.

الانطلاقة الصينية الكبرى

عبر القرون لم تكن أرض الصين الجيدة معطاءً لأهلها، كما قال الروائي الأمريكي بيرل باك Pearl Buck عنها برومانسية: إن الحقيقة التي لا مفر منها أن الصين لديها 7 في المئة من مساحة العالم الصالحة للزراعة لإطعام 20 بالمئة من سكان العالم. لنعرض للأمر من وجه آخر، لدى الصين ثلاثة أرباع الأرض الصالحة للزراعة المتوافرة للولايات المتحدة، وعليها توفير الغذاء لأفواه تبلغ أربع مرات ونصف المرة مما هي عليه في الولايات المتحدة.

ولأنني سافرت على نحو لصيق بالأرض عبر تجوالي على دراجتي، فقد عبرت عملياً كل نوع من رقع الأرض المثبطة: قطع جرداء من الأرض، وممرات صخرية، وصحراء قاسية. لكن شكراً لبراعة البستنة التي لها جذور تعود لمئات السنين، كان الأمر عادة بضع بوصات قبل أن تفضي الأرض القاحلة إلى صفوف مرتبة متخمة بالخضرة (حقيقة، ابتدع

الصينيون فكرة نثر البذور في صفوف مرتبة). ولما كانوا قد تحرروا من مزارعهم الجماعية، استطاع الفلاحون الصينيون عبر زراعة الأرض عدة مواسم واستعمال الأسمدة أن يولدوا عائداً للهكتار الواحد يتجاوز المعدل العالمي في كل ناحية تقريباً، وأفضل كثيراً من الولايات المتحدة عندما يأتي الكلام عن حدائق الخضراوات.

بقي زعماء الصين ملتزمون أن يشاهدوا البلاد تكفي نفسها من الغذاء: لقد التزمت دراسة من قبل مجلس الدولة تعود إلى عام 1996، عنوانها: «مشكلة الحبوب في الصين» تحقيق هدف يؤمن 95 في المئة من الاكتفاء الذاتي. وعلى نحو لافت للنظر نجحوا في تحويل الأمل إلى واقع على الأرض في معظم المناطق. في عام 2002، على سبيل المثال عندما دخلت الصين سنتها الأولى في عضوية منظمة التجارة العالمية، وتطلّب الأمر خفض الرسوم، وتكهن العديد من الناس بأن مستوردات الحبوب الأساسية مثل الدقيق ستقفز للأعلى، صارت الصين على عكس ذلك، فغلب التصدير على الاستيراد للمرة الأولى. وبالرغم من المستهلكين المتعطشين فالمنحى لا يزال قائماً. ما بين عامي 2000 و2004، قفزت الصين من المرتبة التاسعة إلى المرتبة الرابعة في العالم: كمصدرٍ للسلع الزراعية بتركيزها على المنتجات التي تملك بشأنها تفوقاً نوعياً.

عندما قمت بزيارة بلدة هامي Hami التي هي واحة في صحراء في أثناء جولات سفري، تعلمت كيف كان يحصل إمبراطور بيكين على ما تشتهيه نفسه من ثمرة الجح (البطيخ) التي تزرع في البلدة والمفضلة

لديه والمقطوفة طازجة، وذلك عبر بضعة أيام. ومن أجل تسريع ودوام الشحنات، فالصين بصدد تأسيس مركز تجاري دولي للفاكهة والخضراوات في تشينغدو Chengdu، عاصمة «سلة الخبز» في مقاطعة سيشوان. ولما كان مزارعو الصين ليسوا مجبرين بعد الآن على نقل بضائعهم بوساطة دراجاتهم الهوائية، تضاعفت قيمة صادراتهم في أقل من عقد من الزمان، ومنذ العضوية في منظمة التجارة العالمية عام 2001، حشدت هزة النقلة دَفْعاً أكثر، ليس فقط في تحقق عوائد أعلى، ولكن أيضاً في مضمار الشحن الحديث، ومنشآت العصير والأطعمة المجمدة، وتركيز حديث على المحاصيل التي تتطلب وفرة في العمالة التي تمكن الصين من الإنتاج بما تملكه من ميزة تنافسية.

فعلى سبيل المثال، لابد لبساتين الفاكهة أن تتولاها يد العناية بالتقليم والحماية على الدوام. ربحت بلدة تشاندونغ مقاطعة فيشينغ Feicheng بطاقة دخول إلى مجموعة غينيس Guiness للأرقام العالمية القياسية، التي تنتج ثمار الدراق (البرقوق)، التي كانت محبة للأباطرة لقرون خلت، لإنتاج أكبر بستان في العالم لهذه الفاكهة بغلّة بلغت ثلاثة ملايين ونصف المليون ليبرة من محصول واحد. وشهد عام 2005 رقماً أعلى للنمو للمربين: 189 مليون دولار من صادرات الفاكهة؛ بقفزة زادت عن 66 في المئة عن السنة السابقة. وإن كلفة إنتاج تلك الثمرة في الصين 40 بالمئة بالنسبة إلى مثيله في الولايات المتحدة و20 بالمئة مما هو عليه في اليابان.

لا عجب أن معظم تفاح فوجي Fuji يأتي من الأشجار الصينية! أو أن صادرات عصير التفاح تشهد انفجاراً: تضاعفت قيمة مبيعات العصير

الصينية ثماني عشرة مرة. وكل ذلك دون عون يذكر من الصينيين أنفسهم، حيث يقل استهلاك الفرد فيهم عن ليترين من العصير سنوياً، مقارنة بمعدل يبلغ أربعين ليتراً في الدول المتقدمة. وبينما نعرف جميعاً أن لا شيء يماثل «كل - الأمريكيين كشطيرة التفاح»، فإن 95 في المئة من المادة المركزة المستخدمة في أنواع عصير التفاح الأمريكية تأتي من الصين. وفي حين فرضت غرامة على صانعي العصير الصيني بسبب إغراق السوق بمنتجاتهم بسعر يقل عن نصف الأسعار العالمية السائدة، فإن ذلك لم يوقفهم عن شق طريقهم وسط اقتصاديات مناطق زراعة التفاح الأمريكية.

هناك الكثير الذي يمكن تذوقه في هذا الطراز من الانطلاقة الصينية، حتى لو كان يأخذ مكانه في حاويات السفن بدلاً من صناديق الورق المقوّى. روسيا أيضاً هي سوق لأصناف مثل جوز الهند، والعنب، والكُمَّثْرَى (الإجاص)، والمشمش المجفف. كذلك تشق أنواع الفطر الصيني والثوم طريقها إلى المجمعات الاستهلاكية في جميع أرجاء العالم. البرتقال الماندريني والأقرب إلى ثمرة اليوسفي لدينا ورمز الولادة من جديد، أغرق بقية قارة آسية أثناء احتفال رأس السنة القمرية. لكن صناديق الحمضيات الصينية من جميع الأنواع أصبحت مكاناً عاماً يقصده المستهلكون طوال الفصول الأربعة للسنة.

اليوم يراقب الصينيون عن كثب بأعينهم أسواق الاتحاد الأوربي المتعطشة للحمضيات وهم يقومون بخطوات واسعة في هذا الإطار مما استدعى المزارعين الإسبان كنظرائهم الأمريكيين، ليرفعوا عقيرتهم عالياً

لحماية أكثر. حتى توت الأرض (الفريز) الصيني يشق طريقه. وقد أذاعت الشركة البلجيكية الأهم ماتيرن-كونفيلكس Materne - Confilcux التزاماً مدوّياً منذ وقت يسيرٍ بإقرارها بأن اختيارها وقع على التوت الصيني الذي تنتجه شركة باودينغ بينغهوا Baoding Binghua للأغذية بسعر يبلغ نصف ثمن التوت البولندي. ليس بوسعهم منافسة أسعار الصين.

ملفات جيم الصينية: ندية أكثر من الفاكهة ذات العصارة

إس دي آي سي زونغلو فروت جوس كو.، ليمتد

SDIC Zhonglu Fruit Juice Co., Ltd.

«شركة زونغلو لعصير الفاكهة المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600962, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 60.9 في المئة. ارتفاع الإيرادات 54.9 في المئة

تنتج زونغلو التفاح والكمثرى والجزر والتمور نعم، عصير التمر. إنها تستحوذ على حصة قدرها عشرة بالمئة من السوق العالمية، وتؤمن المواد الأولية لشركات متعددة الأنشطة مثل نستله. في عام 2004 أصبحت زونغلو أول شركة صينية شبه مسهمة ضمن صناعة تصنيع العصير التي تدرج أسهمها في السوق.

شركة يانتاي نورث أندريه ليمتد

Yantai North Andre Juice Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 8259, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 23.4 في المئة. ارتفاع الإيرادات 39.5 في المئة

هذا القادم الجديد في زمن قدره عشر سنوات، وضع استثمارات ضخمة في منشآت حديثة، وأيضاً البحث والتطوير لأمور مهمّة مثل: «تقنية إزالة الرسوبات الثانوية» لكي تصبح رائدة في منجم التفاح الثري الناشئ. وإلى الآن تذهب نسبة 95 في المئة من النشاط للتصدير. ربحت شركة شاندونغ لصناعة العصير المصفى المركز أعلى جائزة للعلامات الصينية التجارية، ومصانعها التي تصنع هلام المربى تتمتع بالأصالة والشرعية.

تشاينا هيويان جوس غروب ليمتد .China Huiyuan Juice Group Ltd

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H   HKG: 1886, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 851.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 78.3 في المئة

استطاعت هيويان جمع 307 ملايين دولار عبر إصدار أسهمها الأولي في آذار 2007. تحتل المرتبة الأولى في المبيعات المحلية وكذلك التصدير. ومن ضمن المستثمرين الإستراتيجيين غروبيه دانون Groupe Danone، وربيرغ بينكوس Warburg Pincus، ويوني بريزيدنت Uni-President.

أورينتال فود «هولدينغز» ليمتد .Oriental Food {Holdings} Ltd

«أطعمة الشرق القابضة المحدودة»

بورصة سنغافورة: أسهم فئة-S   SIN: 5FT, S-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 83.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 0.01 في المئة

بالرغم من أداء هذه الشركة المتوسط، تستحق اللوزيات أن تذكر. إنها واحدة من أقدم المحاصيل في الصين، ولا تعقد مأدبة في الصين

دون وجودها على الطاولات. تصدر منشأة اللوزيات هذه إلى اليابان وكوريا وتصنع الزيت، وأصناف البودرة، ومنتجات أخرى من هذه الوجبة الخفيفة.

تغذية الطلب

عندما ذهبت أول مرة إلى الصين، بدت معظم المآدب التي أقيمت على شرفي وكأنها تعطي عذراً لمضيفيّ المحليين أن يزوردوا يلتهموا الأطباق المترفة النادرة (مثل قطعة من لحم البقر، وإذا حالفهم الحظ سمكة كاملة). اليوم يوجد لدى كل مطعم فاخر خزانات متخمة بالسمك، ويستمتع مصنعو اللحوم بقفزات من المبيعات قدرها 30 في المئة كل سنة. في آخر تعداد، أسهمت 312 شركة إلى ما يصل 71 في المئة من إجمالي إنتاج اللحوم في آسية.

تتبوأ الصين في الوقت الحاضر المرتبة الأولى في العالم في إنتاج لحم الخنزير، والثانية في إنتاج لحوم الدجاج، والثالثة في إنتاج لحم البقر. عندما يأتي الحديث عن الماشية عموماً، تضاعفت قطعان العجول والدواجن أربعة أضعاف ما بين عامي 1990 و1998، (بينما ارتفع إنتاج الحليب ست مرات، والبيض ثمانية أضعاف).

ومعظم هذه الزيادة توجهت نحو إشباع الاستهلاك المحلي، ولاسيّما أن أهل المدن يحبون أن يضعوا على موائدهم أصنافاً ذات جودة عالية، وتستمر صناعة الطعام في التوسع بوتيرة عالية.

وهذا يعني أن كل شيء في الدورة الزراعية، مثل حقول الغذاء - حتى مصنعي الجرارات والتجهيزات الزراعية- تجني الفائدة من الطلب المتزايد. لا يطلق عليها «سلسلة الغذاء» دون مبرر. فمثلاً، ارتفع العلف اللازم لتربية الحيوانات في الصين من 0.6 مليون طن عام 1978، إلى 63 مليون بعد عشرين سنة. ولذلك زاد مصنعو الأعلاف المحليون الإنتاج بنسبة قدرها 15 في المئة كل سنة أثناء التسعينيات (من القرن العشرين). في آخر خمس سنوات خلت قفز عدد المطاحن التي تنتج الأعلاف عشر مرات.

بالمقابل، أدى ذلك إلى حاجة أضخم كثيراً للذرة وحبوب الصويا، ومنتجات أخرى تدخل في الأعلاف عالية البروتين. هذه الحيوانات شهية أكثر من البشر، حيث دفعت إلى الأعلى مشتريات الصين من الحبوب والبروتينات الأخرى. ويا للعجب، شكراً للقطعان بحسب الأسلوب الأمريكي، إن الأرض التي ابتدعت مرق (صلصة) الصويا قد أضحت المشتري الأكبر لحبوب الصويا على وجه الأرض. ابتاع الصينيون مقداراً بلغت قيمته 3 بلايين دولار من المزارعين الأمريكيين أو أربعين في المئة من المبيعات العالمية لعام 2005. حالياً، يتم إبرام عقود حبوب الصويا في بورصة داليان للسلع Dalian Commodity Exchange وهي واحدة من ثلاث بورصات يجري فيها تداول الصفقات المستقبلية في الصين، بالإضافة إلى شنغهاي وزينغزهوا Zhengzhou بحجم يفوق ما يتم في بورصة شيكاغو. لذلك يمكن النظر إلى صادرات الصويا الأمريكية بوصفها وسيلة غير مباشرة للاستثمار في الصين أيضاً.

فيما يتعلق بالبائعين أو المشترين، ستصبح الصين قوة رئيسة في أسواق السلع والزراعة منذ الآن فصاعداً. لكن أربعة أخماس اللحوم في كل الصين لا يزال يأتي من طرف صغار المنتجين، مما يعني أن الشركات يمكن أن يكون لها دور مساعد في المراقبة، ووضع العلامات التجارية، والتجميع، ولا بد أن تكون إضافة الشروط الصحية لخط إمداد اللحوم في الصين موضع طلب في السوق. وكلما ازدادت أحجام الأراضي المزروعة، ستتناقص أعداد الجرارات القديمة العهد التي تعمل بسيلندر واحد، والتي تشبه مثيلاتها، وسبق استعمالها لإعاقة تجوالي على العديد من الطرق الريفية التي صادفتني، وكانت تبدو وكأنها ولد غير شرعي للعربات ذات العجلتين وآلات قص العشب. لقد تم استبدال الجرارات القديمة بأخرى أكبر وأكثر تقدماً، لا سيما أن المنشآت الأمريكية حتى الهندية تراقب عن كثب الطلب الصيني المتنامي والمدعوم بمساعدات الحكومة للمزارعين بما يصل إلى ثلث التكاليف. لكن أنواع التجهيزات الصينية المتينة يتم تصديرها على نحو متزايد عبر العالم، وتكتسب موطئ قدم بسبب أسعارها التنافسية. وحالياً هناك رابطة لمالكي الجرارات الصينية تتخذ لها مركزاً في الولايات المتحدة الأمريكية الخيّرة.

ملفات جيم الصينية: بذار النقود

هينان شوانغهيوي إنفستمنت آند ديفيلوبمنت كو

Henan Shuanghui Investment and Development Co.,

بورصة شينزن: أسهم فئة ـ A **SHE: 000895, A – shares**

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 49.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 50.5 في المئة

يبدو أن المستثمرين الأجانب يسيل لعابهم من أجل صناعة إنتاج اللحوم في الصين. بالمراهنة على التعاظم المستمر في استهلاك اللحوم أسس منذ وقت قريب كل من غولدمان ساش Goldman Sachs وسي دي إتش انغستمنت CDH Investment شركة تضامنية برأسمال يقرب من 250 مليون دولار، حيث يتم في هذه الشركة تصنيع اللحوم التي يقال عنها: إنها أكبر واحدة في الصين.

تشاينا يوران فود غروب ليمتد .China Yurun Food Group Ltd

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 1068, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 188.7 في المئة. ارتفاع الإيرادات 82.7 في المئة

وهي منشأة أخرى لتصنيع اللحوم تجتذب المستثمرين الأجانب، وهي تركز على ذبح الخنازير ومبيعات لحمها المجمد. بالإضافة إلى كونها واحدة من المنشآت الصينية التي تعرف كيفية صنع شرائح لحم الخنزير المنكهة بسكر القيقب maple-cured Bacon والسجق الغني بالتوابل (ببيروني pepperoni).

غانسو دان هوانغ سيد كو. ليمتد .Gansu Dunhuang Seed Co., Ltd

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600354, A-shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 57 في المئة. ارتفاع الإيرادات 19.8 في المئة

على نحو يثير الدهش، تكرس الصين مساحة من الأرض لزراعة الذرة أكثر من أي بلد آخر سوى الولايات المتحدة، وإن نصف تلك المساحة موجود في مقاطعة غانسو البعيدة. للتو دخلت دوبونت Du Pont في شراكة

مع غانسو دان هوانغ لإنتاج بذور الذرة المهجنة أكثر من ذي قبل. تمد الشركة أيضاً يد المساعدة في الصين لقطاف القطن وأنواع ثمر البطيخ.

تشانغ دونغ دينغ هاي سيدز كو.، ليمتد

Shandong Denghai Seeds Co., Ltd.

«شركة تشانغ دونغ دينغ هاي للبذار المحدودة»

بورصة شينزن أسهم فئة ـ A SHE: 002041, A – shares

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 92.9 في المئة. انخفاض الإيرادات 4.7 في المئة

ابتاعت مجموعة بايونير الأمريكية ما يقرب من نصف الحصص السهمية في تشانغ دونغ دينغ هاي التي أسست عام 2000، وتختص بالذرة والخضراوات على حد سواء، مع قدرة إنتاجية هائلة (فمثلاً، خمسة وعشرون مليون ليبرة من بذار الذرة سنوياً). كانت بداية نشأتها من صناعة تهتم بالبحث عام 1985، وباستثمار قدره 2.400 دولار، واليوم تصرّح بموجودات تبلغ قيمتها 116.1 مليون دولار. ويشتهر مؤسسها لي دينغ هاي Li Denghai بلقب «ملك الذرة» لكونه حطم الرقم القياسي العالمي لعائد الذرة وزاد عنه أكثر من ستة عشر طناً للهكتار الواحد.

جيانغ سو يودا يان شينغ تراكتور مانيوفاكتشر كو. ليمتد

Jiangsu Yueda Yancheng Tractor Manufacture Co., Ltd.

«شركة جيانغ سو يودا يان شينغ لتصنيع الجرارات الزراعية المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة ـ A SHA: 600805, A – shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 19.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 44.4 في المئة

كلما كانت عربات التسوق في المجمعات الاستهلاكية (السوبر ماركت) كبيرة كانت الجرارات الزراعية كبيرة أيضاً. والجرارات الزراعية الصينية في طريقها لتصبح صناعة ضخمة. جيانغ سو يودا هي من يقوم بتصنيع جرارات جينما Jinma الزراعية الواسعة الانتشار والعديد غيرها، بما في ذلك العلامة التجارية هوانغ هاي Huanghai «الجرار السائر». تملك الشركة التي تأسست عام 1959، قدرة إنتاجية تمكنها من تصنيع 110.000 آلة سنوياً، تبيعهم في الولايات المتحدة، وفرنسا، والشرق الأوسط. بالإضافة إلى ذلك تقوم هذه الشركة القابضة بإدارة عدد يسير من الطرقات السريعة.

فيرست تراكتور كو.، ليمتد First Tractor Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة H- HKG: 0038, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 632.4 في المئة. ارتفاع الإيرادات 43.7 في المئة

فيرست تراكتور هي لاعب أساسي آخر في التجهيزات الزراعية. لكن هوبيي ماشينري آند إيكويبمنت إيمبورت وإكسبورت كورب Hubei Machinery and Equipment Import & Export Corp. «شركة هيبوبي لتصدير واستيراد الآليات والتجهيزات» هي واحدة من بين أكبر مئتي شركة في الصين من حيث المبيعات التي لا تزال غير مدرجة حتى الآن.

من الزعيم إلى العقيد (الكولونيل)

يشتهر الصينيون بأنهم يأكلون كل شيء. أعلم جيداً من لقاءاتي القريبة مع متعهدي الأفاعي المشهورين الذين يشقون الحويصلة الصفراوية

ويفرغون محتواها بعصرهم للمادة الصفراوية التي تحتويها ثم يفرغونها في شراب النبيذ المخلوط (الكوكتيل). لكن في هذه الأيام، ذهب آكلو الطعام المغامرون في الصين إلى أبعد من تناولهم لظلف الجمل إلى قوت مثير حقاً. ماذا يمكن أن يكون أغرب في بيكين القديمة من شرائح الجبن المسماة فيلي (Philly) أو بيتزا هاواي، التي تعلوها قطع فاكهة الأناناس؟ إن تدفق التسويق الغربي والطعام الغربي قد صنع تحولاً في النظام الغذائي القديم، الذي يعتمد على الخضراوات والأرز. وهذا يعني مكاسب جمّة لقطاعات جديدة متنامية في الزراعة.

في عام 1966، عندما حض ماو الحرس الأحمر لكي «يخدم الشعب» فلعلهم فكّروا في امتهان تقديم الطعام والشراب: مثّلت مادة النشاء 67 بالمئة من تناول الحريرات في الصين، في حين حصل اللحم على حصة أربعة بالمئة، والسكريات 1.3 بالمئة، والخضراوات التي تعد نادرة (ما يقرب من ثلاثين رطلاً في السنة للفرد). اليوم انحدرت نسبة الأرز من 37 بالمئة إلى 27 بالمئة، واللحم والسمك زادت وفرتها أربع مرات. ومع تماثيل الكولونيل ساندرز التي يفوق عددها تماثيل الزعيم ماو، وأغلبية محال ماكدونالدز الحديثة افتتحت في الصين، فقد حصلت زيادة قدرها 40 في المئة في إنتاج البطاطا الصينية لإشباع الطلب المتزايد على قطع البطاطا المقلية. وكما يحقق كل من ستارباكس Starbucks وبيتزا هات Pizza Hut نجاحاً منقطع النظير، أيضاً. فهذا يعني شريحة أكبر لسوق الجبن والحليب في رقعة من الأرض، حيث يعتقد أن أغلب الناس فيها يفتقدون إلى الأنزيمات الأساسية اللازمة لهضم سكر اللاكتوز.

بحلول عام 2006، امتصت الصين 13 في المئة من كميات الحليب المعروضة عالمياً. وإذا ما أخذنا عدد سكان الصين، فإن أي زيادة نسبة متواضعة تترجم إلى نماء ملحوظ في الطلب على منتجات الحليب، وإن عوامل الطلب كانت وما زالت في ازدياد بنحو 9.5 بالمئة في كل سنة في أثناء العقد السابق من الزمان. وإذا ما افترضنا الخبرة الموجودة في البلدان الآسيوية الأخرى، فهناك مسافة كبيرة للنمو. بحسب إحصاءات وزارة الزراعة الأمريكية، تستهلك كوريا الجنوبية من الحليب بمقدار سبع مرات للفرد الواحد، أما تايوان فالنسبة 11 إلى 1، وتصل النسبة في اليابان إلى ستة عشر ضعفاً.

لا عجب إذاً أنه بحلول عام 2002 كانت تعمل 1600 منشأة في الصين في صناعة منتجات الحليب. حتى إن بعض هذه المنشآت بدأ في إنتاج مقادير صغيرة من جبن الغنم والجاموس لكي يستفيدوا من الموارد الفائضة. أما مبيعات الألبان فهي في طور الارتفاع بمستوى مماثل خاصة مع الثقافات «المؤيدة لأساليب الحياة الصحية» الحديثة ذات الموجة الطاغية. في مقاطعة لياونينغ، تضاعفت قطعان الماشية المنتجة للحليب ثلاث مرات منذ عام 2000.

في كل بلد زرتها، لاحظت رغبة في استهلاك كمية أكبر من الطعام تأتي لاحقة لنمو اقتصادي مفرط. ومع اعتياد الشريحة الفتية من السكان على المشروبات الغازية بدلاً من الشاي، وبوجود عدد أكبر من الأفراد القادرين على توفير ثمن المثلجات «البوظة» والمعجنات، فهذا

يعني قفزة كبيرة في الطلب على سلع عالمية غير تلك الرئيسة. في الواقع، قفزت الصين في الوقت الحاضر مسافة بعيدة لكي تحتل المرتبة الخامسة بين البلدان المستهلكة لأصناف الحلوى.

وهذا يفترض نقصاً سنوياً يقترب من مليوني طن من السكر في السنوات القريبة التي خلت -بالرغم من ازدياد إنتاج الصين من مادة السكر أربعاً وثلاثين مرة أثناء ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، ويأتي تصنيفها اليوم في المرتبة الرابعة عالمياً على مستوى الإنتاج. بيد أن الصناعة تظل عرضة للتقلبات.

فالمنافسة من جهة الواردات منذ اتفاقية منظمة التجارة العالمية سنة 2001 أرجعت الأسعار إلى الوراء بمقدار 30 بالمئة. هذا يعني أنه في عام 2006 سيكون هناك مئة وخمسون من مزارعي السكر الصغار عرضة للإفلاس. بالإضافة إلى عوامل أخرى كان لها تأثيرها مثل الطقس الرديء، وبالتأكيد، فإن الصينيين يتحولون إلى مواد التحلية الصناعية المحتوية نسبة أقل من الدسم.

ملفات جيم الصينية: وجبات الطعام الجاهزة

نانينغ شوغر مانو فاكشترينغ كو.، ليمتد

Nanning Sugar Manufacturing Co., Ltd.

«شركة نانينغ لتصنيع السكر المحدودة»

بورصة شينزن: أسهم فئة-A SHE: 000911, A –shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 32.1 في المئة. ارتفاع الإيرادات 56.7 في المئة

تتولى تصنيع وتصدير ما نسبته 4 في المئة من حصة الصين إلى أوروبة، والشرق الأوسط، وبقية قارة آسية، وفي ذات الوقت تزود الزبائن الدائمين مثل بيبسي وكوكا كولا.

تشاينا صن بيو تشيم تيك غروب كو.، ليمتد

China Sun Bio-Chem Tech Group Co., Ltd.

بورصة سنغافورة: أسهم فئة-S، من فوق المنصة

SIN: C86, S-shares; OTC: CBTKF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 63.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 109.7 في المئة

تهتم بزراعة بدائل السكر الرائجة شعبياً، تخطط الشركة لإنتاج المحليات المصنوعة من الذرة. لدى الشركة حالياً قدرة إنتاجية تؤهلها لإنتاج نشاء الذرة، والمكثفات الأساسية في المطبخ الصيني، بالإضافة إلى منتجات مثل سائل الزلال، حتى أيضاً الإيثانول الذي تحتاجه السيارات بوجود مصنع يقع في شين يانغ Shenyang وهي المدينة الرئيسة في شمال شرق الصين وبطاقة إنتاجية تصل إلى مئة ألف طن.

تشاينا مينغ ني دايري كو.، ليمتد China Mengniu Dairy Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H، من فوق المنصة

HKG: 2319, H-shares; OTC: CIADF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 120.1 في المئة. ارتفاع الإيرادات 125.2 في المئة

تعد الشركة من الأوائل في بيع الحليب في الصين وهونغ كونغ. تنتج الشركة بودرة الحليب، والحليب السائل، ولبن الزبادي، والمثلجات،

والحلويات التي تعتمد صناعتها على الحليب. إن الترجمة الحرفية لاسم الشركة وعلامتها التجارية هي «البقرة المغولية»، لكنها أيضاً جناس «للبقرة القوية». كان مخطط التسويق الأذكى للشركة يرعى ما صار إليه مكافئ صيني لطَيْفٍ أمريكي محبوب - سمّي لبعث الشهية لمسابقة مينغ ني فتاة اللبن المتفوقة. لقد جذبت آخر حلقة من البرنامج أربع مئة مليون مشاهد عام 2005، وهو واحد من أكثر البرامج التلفازية التي يقبل عليها المشاهدون عبر التاريخ في الصين. حتى إن الشركة وجهت بحثها عن مدير تنفيذي جديد عبر حملة دعائية مثيرة -بوضعها إعلانات في مجلة بيزنيس ويك Business Week- لكن انتهى بها المطاف لتعيين الرأس المدبر للفتاة المتفوقة في منصب المدير التنفيذي.

أميركان دايري، إنك .American Diary, Inc

«شركة منتجات الحليب الأمريكية» أو «شركة الألبان الأمريكية»

بورصة نيويورك NYSE: ADY, ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 218 في المئة، ارتفاع الإيرادات 228.1 في المئة

ليس في هذه الشركة شيء أمريكي سوى اسمها، لكنها شركة قابضة تملك حصة في شركة فيهي دايري Feihe Dairy في مقاطعة هيلونغ جيانغ Heilong jiany بالإضافة إلى ثلاث شركات فرعية مملوكة لها كلها. تنتج الشركة طيفاً واسعاً من منتجات الحليب والبودرة، حتى بودرة الجوز المجففة. أشار تقرير الربع الثالث لعام 2006 إلى زيادة في الإيرادات بنسبة 129 في المئة و157 في الأرباح الإجمالية عن السنتين الماضيتين.

آنجل ييست كو.، ليمتد Angel Yeast Co., Ltd.

«شركة خميرة الملائكة المحدودة»

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600298, A-Shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 42.5 في المئة، ارتفاع الإيرادات 58.6 في المئة

بسبب الزيادة في المعجنات ذات الطابع الغربي والمنتجات العديدة المرافقة، قد تأخذ هذه الشركة الأحدث من بين الخمسة الأوائل من صانعي الخميرة على المستوى العالمي موقعاً مرموقاً. تستخدم منتجاتها الفرعية في تخمير الجعة، وعلف الحيوانات، والفيتامينات، وفي عمل التوابل. إن الشركة تسهم في زيادة استهلاك كعك الحلوى، والأرباح في أكثر من ستين بلداً بما في ذلك إفريقية.

هينان ليان هوا غورميه باودر كو.، ليمتد

Henan Lianhua Gourmet Powder Co., Ltd.

«شركة هينان ليان هوا لبودرة الذواقة المحدودة»

بورصة شنغهاي: تصنيف-A SHA: 600186, A-listed

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 363.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 94.9 في المئة

ولكن كيف يكون الطعام صينياً بحق من دون ملح التوابل (غلوتامات الصوديوم الأحادي)؟ هذه الشركة واحدة من المصنعين الرئيسين لنكهة أعشاب البحر، التي يفضلها الطهاة في المنازل والمطاعم (ولا تزال تسوق على نحو كبير من قبل مبتكرها الياباني آجينوموتو Ajinomoto). ثم إن الشركة تنتج مواداً أخرى أساسية كنشاء الذرة، وهي تخوض الآن في مجال «الطاقة الحرارية والكهربائية».

عملاق أخضر مرح؟

عندما استطلعت أول مرة أساليب الزراعة الصينية، كانت عضوية كأي شيء يمكن أن أحصل عليه، لم ألاحظ في البداية، لكن تلك الأكواخ التي زرعت في أرجاء معظم الحقول، لم تكن تجمعات لزمر من الهنود الحمر الشرقيين، أو مجرد أضرحة. لقد كانت بيوتاً للخلاء، وضعت في أماكنها على نحو مريح لتسهيل توزيع فضلات البشر التي تجمع في «دلاء العسل» المعلّقة في نهايات الصواري الخشبية، ومن ثَمّ يتم توزيعها بوصفها سماداً رخيصاً.

منذ ذاك الوقت، أتخم الصينيون حقولهم بالمواد الكيمياوية أكثر من أي مكان على وجه الأرض. (بالمعدل، كان المزارعون الصينيون يضعون ضعف الأسمدة التي تستخدم في الولايات المتحدة، وبعضها سامٌ جداً لكي يمنع في الولايات المتحدة). وبسبب المجاعات التي حدثت في الماضي، فإن الأمر الذي يبدو قريباً للعقل هو أن يركز الفلاحون على عائد أكبر بأي ثمن. من غير أي مناقشة، لا يوجد بلد أسرع من الصين في تبني منافع «التقدم»، بما في ذلك البذور المعدلة جينياً.

لكن كل ذلك سيتغير الآن وبوتيرة سريعة كلفظ كلمة: «بذور تفاح جوني Johnny Apple - Seed». يدفع التدقيق والتمحيص العالميين، بالإضافة إلى حاجة الصين لتسويق منتجاتها بوصفها آمنة وموثوقاً بها، الزراعةَ الصينية لكي تصوِّب تصرفاتها. فمثلاً، ستؤثر معايير عام 2006 المتشددة التي تحكم البقايا الكيمياوية في اليابان -التي افتضحت

أمر السبانخ الصينية المجمَّدة التي فشلت في اجتياز الاختبار الدقيق- في نحو ستة آلاف منشأة صينية. حالياً تملك الصين ما نسبته 11 بالمئة من الأرض العضوية الصالحة للزراعة في العالم؛ وعلى الأغلب، فإن أي حبة من اليقطين العضوي، أو بذور نبات عباد الشمس، والفاصولياء العريضة والسوداء، ستأتي من الصين. حقيقة، لقد افتتحت البلد مركز تطوير الغذاء العضوي الخاص بها منذ زمن يعود إلى عام 1994. وابتداءً تقريباً من درجة الصفر، حققت الصين بحلول عام 2003 رقم مبيعات زاد على أربعة بلايين دولار من الإنتاج العضوي، أسهمت فيه ثماني مئة شركة عضوية معتمدة.

وبخلاف ما حصل في الغرب، حيث بدأت الزراعة العضوية بواسطة بعض المتمردين المستقلين الصغار، فإن الصناعات الكيمياوية الحرة في الصين -بحكم الأجور الرخيصة والأسعار المرتفعة التي ساعدت على تكوين هوامش ربح مجملة وصلت إلى نسبة 70 بالمئة- تقوم بما يشبه نحت تحفة فنية بصقل قطع كبيرة من أرض البلد في الشمال الشرقي، التي لا تزال تحتفظ بنقائها. وبينما كانت في زمن ما ينظر إليها كمصدر تلويث للعالم، فإن الميزة التنافسية التي تتمتع بها الصين تحوِّلها في الوقت الراهن إلى العملاق الأخضر القادم في العالم.

لكن الزراعة لا تزال تتحرك ببطء مقارنة بسائر المجتمع الذي وصل إلى درجة فسح فيها مجالُ الاكتفاء الذاتي الطريقَ أمام الاهتمامات لجودة وحياة أفضل. لو قام المرء هذه الأيام بانتقاء أي صحيفة من

الصحف التي تدار من قبل الدولة في الصين، لوجد عناوينها الرئيسة تتناول بالخبر والتحليل المبادرات ذات الصلة بتعهد بيكين بإقامة ألعاب أولمبية خضراء*. لا بل ذهبت الصين لأبعد من ذلك عندما اختارت قطارات المسافرين الخضراء الخاصة بها، التي تعرض محاضرات عن البيئة، في حين تشق هذه القطارات طريقها عبر جبال كونمينغ Kunming والأراضي العشبية لمنغوليا. وستنال الحياة البرمائية يوماً ما حظها من التطوير.

إن لمقاطعات الصين ارتباطات تتعلق بدعم بدائل النظام الغذائي الصحي، حتى قبل أن تترجم كلمة «عضوي» إلى اللغة الصينية - بتأسيسها مساحات لتطوير باكورة الغذاء الأخضر، وخدمة صناعة ينضوي تحت لوائها 2.836 منشأة. صدّق أو لا تصدّق، إن آخر دفعة من رواد الفضاء الصينيين قد أثاروا نقطة جديرة بالاهتمام؛ بأن أخبروا العالم أنهم يتقصّون ويستطلعون في الفضاء نظام تغذية من الطعام الأخضر الخالي من الكيمياويات يتم إنتاجها بموجب شروط خاصة في «مدينة الفضاء» في الصين. لقد تناول رواد الفضاء كمّاً جمّاً من الأرز، مع كرات لحم السمك والفاكهة مثل -نعم- فاكهة الإمبراطور المفضلة بطيخ هامي Hami Melon! أخبر بهذا رجال الفضاء الأمريكيون، الذين روّجوا ذات مرة وهم في الفضاء لمشروب تانغ Tang الشهير ذي المذاق الحلو والمصنّع على هيئة البودرة.

* كُتبت هذه السطور من قبل المؤلف والصين على أعتاب إقامة الألعاب الأولمبية صيف عام 2008 (المترجم).

وآخر المطاف أن الصينيين كانوا أول من تبنى الفكرة القائلة: «شخصية المرء بحسب ما يأكل»، بنظرتهم لآثار التوازن الغذائي للأطعمة على الجسم البشري على أنها مرتبطة بالأدوية. لذلك فإنه لا غرابة في أن الطبقة الوسطى المتنامية في الصين بدأت تنضم إلى الطلب العالمي على الطعام الأكثر صحة ونظافة. اليوم تبدو الأصناف العضوية في الأسواق المنتشرة في مدن الصين جلية للعيان، حتى إن شنغهاي لديها سوقها الخاص الذي لا يحتوي إلا أصنافاً عضوية، التي جعلت من الحرف اللاتيني «O» كناية لها، حيث تبتدئ كلمة «Organic» بهذا الحرف، ومعناه بالعربية عضوي. لن يجد المرء فقط كمّاً وفيراً من أنواع الشاي الصينية (منشأة واي يان Wuyuan للأغذية العضوية في مقاطعة جيانغزي Jiangxi غير المدرجة حتى الآن، التي باعت ما مقداره ثلاثة ملايين دولار في السنة الماضية) ولكنَّ هلاماً عضوياً اسمه يأتي من الشجرة اللثية -وربما يأتي يوم- نرى وجه خنزير عضوي.

إن طلباً داخلياً كهذا سيكون في اتجاه الزيادة ليدفع بالاهتمامات اليابانية مثل آساهي Asahi للتخمير ليستثمروا في المنتجات العضوية التي تستهدف السوق الداخلي للصين. ومن السخرية بما فيه الكفاية، أن معظم الأراضي التي خصصت لإنتاج الغذاء للغربيين الذين يتوخَّون الطعام الصحي موجودة في هيلونغ جيانغ Heilong jiang وجيلين Jilin وهي مناطق كان يرسل إليها من يطلق عليهم المتعلمون الشباب لكي يتضوَّروا جوعاً «للتعلم من الفلاحين» في معسكرات العمل القسرية. لكنها مزية الصين التنافسية، التي تمكِّنها من زراعة

محاصيل عضوية خاصة وبحجم صغير مستفيدة من كثافة القوة العاملة، هذه المحاصيل زهيدة التكاليف، وأرخص جداً من أي مكان في العالم، مما سيسهم في دفع عجلة هذه الصناعة المتنامية.

ملفات جيم الصينية: مراعي الكلأ الأكثر اخضراراً

تشاودا موديرن آغريكالتشر «هولدينغز» ليمتد

Chaoda Modern Agriculture {Holdings} Ltd.

«شركة تشاودا للزراعة الحديثة القابضة المحدودة»

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 0682, H – shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 34.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 50.3 في المئة

واظبت هذه الشركة الرائدة بالرغم من مواسم القحط والجفاف والفيضانات، وانتشار وباء السارز SARS الذي تفشى عام 2003، على إنتاج 150 فصيلة من الخضراوات والفاكهة العضوية: الفطور الصالحة للأكل، وأنواع الشاي العضوية، والفاكهة الاستوائية، وعلى الماشية على حد سواء. والشيء الملفت للنظر أكثر، أن ثلاثين في المئة من مبيعاتها ذهبت لما وراء البحار.

باين أغريتك ليمتد Pine Agritech Ltd.

بورصة سنغافورة: أسهم فئة-S SIN: P39, S-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 293 في المئة. ارتفاع الإيرادات 198.8 في المئة

تصنع باين أغرتيك حبوب الصويا الأمريكية المستوردة لتحولها إلى منتجات ركيزتها حبوب الصويا القليلة الدسم، وتشمل كل

شيء من بروتين الصويا المعزول وزيت الطهي إلى السوائل اللزجة الصحية.

بوديسن بيوتيك، إنك .Bodisen Biotech, Inc
بورصة الأسواق الأمريكية «سوق لندن للاستثمارات البديلة»؛ من فوق المنصة
AMEX: BBC; AIM {London Alternative Investment Market}: BODI,OTC: BBCZ

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 180.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 168.6 في المئة

هل تعتقد أن المزارعين الصينيين سيراهنون على الأسمدة العضوية؟ إذاً جرّب حظَّك مع بوديسن بيوتيك. هذه الشركة التي تتخذ من ميرلاند مركزاً لها لديها خطوط إنتاج في يانغ لينغ Yangling، تحاول جاهدة أن تستعيد مكانتها إثر فضيحة لحقت بها عام 2006، بشأن الإفصاح الكامل عن قيمة أصولها. لكن فوربس صنفت منذ زمن مضى الشركة المبتكرة في المرتبة السادسة عشرة من بين الشركات الصينية الأسرع نمواً، والشكر موصول لمبيداتها الحشرية البيولوجية العضوية الموثقة وأسمدتها البيولوجية، هل باستطاعة بوديسن أن ترفع الضرر عن نفسها كما فعل المزارعون الصينيون؟

في حال كونك تريد أن تغطي جميع الموضوعات، فإن الشركات الكيمياوية لابد أن تستمر بالإفادة من التوسع الزراعي. سينوبيك Sinopec التي ذكرت سابقاً هي المنتج الصيني رقم واحد للأسمدة الآزوتية واليوريا. تشانيا بلو China Blue هي وحدة الأسمدة العائدة لـ CNOOC عرضت إصداراً أولياً للأسهم في شهر أيلول 2006.

بدلاً من الثورة الثقافية، تشهد الصين ثورة عضوية. أظن أن ما يدور حولنا ستؤتى ثماره يوماً ما، حتى لو كان سماداً بشرياً.



8

الصحة، التعليم، الإسكان:
في خدمة الشعب

عندما ذهبت أول مرة إلى الصين، كان تقريباً كل شخص عضواً منتمياً للحزب الشيوعي. وكان الصحفيون الأجانب يصابون بالصدمة عندما يطلب إليهم تسجيل كلابهم وقططهم المدللة في «وحدة العمل» في الشركات التي يعملون فيها. تم توفير الرعاية الصحية الأولية والتعليم والإسكان والأجور التقاعدية بالإضافة إلى وجبة طعام في المصنع -في نظام، عندما كان هناك حقاً وجبة غذاء مجانية إذا عُدَّ الأرز البارد هو كأس الشاي لديك- لقاء أجر زهيد كجزء من «شبكة أمان»، التي تشبه كيساً من الخيش الخشن، أتى التأمين وهو مفهوم غربي غير معروف من الإيمان بالعناية من قبل «القائد العظيم» ماو، الذي منح مزارع الدولة بدلاً من توزيع أرباحها. ولكن منذ الإصلاحات في أواخر ثمانينيات القرن العشرين أصيبت زبدية الأرز الحديدية بالشروخ، ومن ثَمّ تكسرت إلى قطع متناثرة، وتحولت أخيراً إلى شظايا. وحلّ «الدفع الفوري» محل «من الرحم إلى القبر»، ويعتمد كل صيني أو صينية حالياً على نفسه، وليس هناك بعد الآن شيء مضمون، ولكن كل شيء ممكن. ويتهدد الخطر

بوجه خاص الأجور التقاعدية مع عدد أقل من الأطفال ودعم المزيد من كبار السن خاصة (ومعظمهم لم يعمل شيئاً تقريباً). وينطوي ذلك على تحسُّن لبعض الناس، ومصاعب لبعضهم الآخر، ومنافسة كبيرة بين المشروعات الجريئة، التي قفزت لملء الفراغ في العقد الاجتماعي للصين. ولا شيء على المحك أقل من الرفاهية الاجتماعية وبليون حصة شهرية تصل إلى البريد، في حين يلتمس البلد نظام رعاية صحية عملياً وخيارات متخصصة في التعليم والإسكان، وهذا ليس للمطورين فقط، بل يمكن أيضاً للمستثمرين أن يربحوا عبر نظام الصين المخصخص، الذي يقترب من المصلحة العامة.

تشخيص صحي

في الغرب يرتبط الطب الصيني بطرق الوخز بالإبر والمسحوق المجفف لقرن الأيل. أنجبت الصين في الحقيقة العديد من الأطباء البارعين منذ القدم عندما كانوا ينقشون وصفاتهم على هياكل السلاحف، وربما كان إنشاء نظام الرعاية الصحية الحديث الذي بالكاد بدأ أحد ساحات الحرب الرئيسة بين المصالح العامة والمصالح الخاصة مع تشخيص الإنفاق والتوسع الكبير.

وبعد تأسيس الجمهورية الشعبية في عام 1949، قام «الأطباء القرويون» المتدربون نصف تدريب بتوسيع الرعاية الصحية، لتشمل العديد من المناطق التي لم تعرف مثل هذه الرعاية من قبل. وبعد أكثر من ثلاثة عقود فقط ارتفع معدل متوسط العمر المتوقع من 35 إلى 70، ونقص معدل وفيات

الأطفال من 200 إلى 31 كل 1000 طفل. وفي مطلع الثمانينيات عندما بدأت الإصلاحات الاقتصادية كان لا يزال يُسمح لـ 71 في المئة من عامة الناس في الصين بالحصول على الخدمات الصحية الحكومية المجانية. وبعد أكثر من عقد انخفض هذا الرقم إلى 21 في المئة.

ومن الواضح أنها أخبار ليست جيدة وفقاً لمنظمة الصحة العالمية، ففي مقارنة موسّعة كان أداء نظام الرعاية الصحية في الصين قبل عام 1980، أفضل من أنظمة الرعاية الصحية في البلدان الأخرى، وانخفض منذ عام 1980 على نحو كبير. وصنّفت قبل خمس سنوات منظمة الصحة العالمية الرعاية الطبية الصينية في المرتبة 144 في العالم، حتى إنها أتت بعد أكثر البلاد الإفريقية. وبالعودة إلى الستينيات قضت الصين عملياً على الأمراض القديمة مثل الجدري والكوليرا والسل، والآن تعود مثل هذه الأمراض للظهور، وشخّصت 1.4 مليون حالة سل في الصين عام 2004، جاعلاً منه السبب الرئيس والمعدي للموت.

وأضف إلى هذا قلقاً آخر مصدره عامة الناس المعمرة بوجه عام، وزيادة 30 في المئة سنوياً من فيروس الإيدز، حيث بلغت الحالات 840,000 حالة عام 2004. وبعد سنوات من الإنكار أوردت الحكومة الصينية خبر مصافحة الرئيس هو جينتاو HU Jintao لأحد ضحايا الإيدز مع وضعه هدفاً؛ وهو احتواء إصابات مرض الإيدز إلى أقل من 1.5 مليون بحلول عام 2010. تضاعف التمويل المرصود لمكافحة الإيدز بين عامي 2004 و2005، وكلف الخوف من تفشي فيروس SARS عام 2003 الصين أيضاً

نحو 36.3 بليون دولار أمريكي من الميزانية الاقتصادية، والتزمت بعد ذلك الحكومة الصينية تمويل تحسين مراكز السيطرة على الأمراض.

و تزايدت تكاليف الرعاية الصحية للأشخاص والمجتمع على نحو كبير. ففي عام 1978، كانت النسبة المئوية لتكاليف الرعاية الصحية المدفوعة من قبل الأشخاص عملياً صفراً، حيث ارتفعت كلفة الرعاية الصحية الكليّة المدفوعة من قبل الأشخاص بمقدار 53.6 في المئة عام 2004، وارتفع المبلغ الكامل للخدمات الطبية من 1.7 بليون دولار أمريكي عام 1980، إلى 92 بليون دولار أمريكي عام 2004. ومرة أخرى تعد كلفة الإنفاق بين الريف والمدينة مفتاحاً، والسبب أن أكثر الفوائد تذهب للأغنياء المدنيين الذين يستطيعون الدفع من أجل رعاية أفضل، أو حتى إنهم يدفعون الرشى غير القانونية المخزية، بل الرشى من تحت الطاولة؛ التي باتت سمة عامة للحصول على رعاية الممرضات أو الفحوص. وبينما يحصل المدنيون على الأفضل بالمال الذي يدفعونه أظهر استطلاع أجرته الحكومة أنّ 60 في المئة من المقيمين الريفيين لا يستطيعون تحمّل تكاليف المستشفى، وأن 90 في المئة ليس لديهم تأمين صحي، ولم يكشف عليهم الأطباء. وعُدّت خطة وضعت حديثاً وتؤهل للفلاحين سبيلاً لزيارة الأطباء لقاء دولار واحد في السنة مكلفة للكثيرين. وعلى الرغم من أن 400 مليون صيني تقريباً لديهم تغطية صحية عبر خطة التوظيف إلا أن هذا لم يساعد بتغطية القوة العاملة الهائلة والمهاجرة في البلاد. فلا عجب أن الرؤساء الصينيين يتحدثون عن تحسين نظام الخدمة الصحية كمسمار عجلة لأي خطة في سبيل تحسين الكثير في الريف الصيني.

وفي عام 2004، أنفقت الصين 4.7 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي على الرعاية الصحية مقارنة بـ 8 في المئة أو أكثر في البلدان المتقدمة (و16 في المئة في الولايات المتحدة). وفي مطلع عام 2007، وكجزء لجعل الرعاية الصحية أولوية رئيسة أعلن رئيس الوزراء ون جياباو Wen Jiabao عن إنشاء تجربة «الخدمة الطبية التعاونية» في 80 في المئة من الصين بحلول عام 2010. وستضاعف الحكومة الإعانات المالية لتصل إلى 1.53 بليون دولار أمريكي، وستعرض مبالغ صغيرة لدفع الصكوك الطبية لكل سكان الريف. وهذه خطوة أولى باتجاه مواكبة الطلب المتزايد والكبير للسكان، وهي حالياً ليست تحت الخدمة وحسب، بل بحلول عام 2020، سيملك 170 مليون شخص فوق الستين هذه الإعانة، بالإضافة إلى عدد من الذين يعانون أمراضاً مزمنة. وستُعزّز الأجور التقاعدية للمسنين وأنواع الضمان الاجتماعي الأخرى، بإضافة 35.7 بليون دولار أمريكي عام 2007. وأعلن في الوقت نفسه نائب وزير المالية: أن الصين ستشجع وبنشاط الاستثمار الخاص في قطاع الرعاية الصحية؛ عارضةً السياسات الضريبية التفضيلية لأولئك الذين يرغبون في المساعدة على تحسين نظام البلاد مرتفع التكاليف وغير الكفء. وهذا كله يجب أن يعني فوائد مقابل ظهور شركات الرعاية الصحية وأولئك الذين يستثمرون فيها.

وأظهرت دراسة أجريت عام 2003 أن 8 بالمئة فقط من مستشفيات الصين الـ 12,599 التي تعالج 3 بالمئة من المرضى تعمل من أجل الربح. ويملك المستثمرون الأجانب 60 مركزاً طبياً فقط، من أصل 29,000 مركز طبي مسجل. وارتفعت استثمارات ما وراء البحار في الخدمات الصحية

في الصين، حيث قدرت عام 2003 بـ 2 بليوني دولار أمريكي، وما زال تملّك مركز طبي كامل من قبل الأجانب غير مسموح به. وعلى كل حال إن فكرة خصخصة المستشفيات تكسب النقود. وعرضت مدينة القناة القديمة سوزهو Suzhou مناقصات خاصة بمستشفياتها، وبيعت العديد من المستشفيات في المنطقة سلفاً لمصالح أجنبية.

وفي الوقت نفسه ستؤثر التعليمات الجديدة للإبقاء على التكاليف منخفضة في إنفاق المستشفيات والمستهلكين الصينيين، وبدورها ستؤثر في مصنعي الأدوية المحليين والأجانب، وستكون كمية وصفات الأدوية التي تستطيع المستشفيات العامة توريدها محدودة عند 15 بالمئة فوق سعر الشراء بالنسبة للمستشفيات العامة، وستكون الأدوات الطبية ومنظّمات القلب تحت المراقبة، وسيكون لكل هذا تأثير كبير في مبيعات الأدوية. هذا وقالت منظمة اليونيسيف: إن 60 بالمئة من الإنفاق في قطاع الرعاية الصحية في الصين يذهب إلى الأدوية، مقارنة بمتوسط الإنفاق العالمي الذي يصل إلى 15 بالمئة - وتحقق المستشفيات في المدن الساحلية نصف عائداتها من هامش الربح على الأدوية.

وأصبحت الأدوية الغربية التي كانت في يوم من الأيام تستخدم كخيار أخير، تستخدم اليوم على نحو شائع. وتتوسع مواد الصيدلة عموماً مع ارتفاع قدره 20 في المئة في المبيعات التي وصلت إلى 11.7 بليون دولار أمريكي عام 2005، منها 75 في المئة من الأدوية الأجنبية، و25 في المئة من الأدوية الصينية التقليدية. وتعاني هذه الصناعة الكثير من القوانين، لذلك يجب على المستثمرين النظر إلى هذا القطاع مع بعض الحذر. إن الحدود العليا للسعر يمكن أن تخفض الهوامش من 30 في المئة إلى 15 في المئة. ومقارنة

بالشركات الغربية المشابهة لا يزال صانعو الأدوية الصينية ينفقون جزءاً يسيراً فقط من أرباحهم على البحث والتطوير.

وفي الحقيقة تقول إحدى التقديرات: إن 99 في المئة من الأدوية الصينية ذات الطراز الغربي هي نسخة عن أنواع أجنبية. ستكون هناك هزة كبيرة بسبب الرقابة على الجودة في بيع الشركات الحكومية، وإدراج الذين يخرقون براءات الاختراع على القائمة السوداء ضمن هذا النطاق. وسيماط اللثام عن مشكلات الأمان وفضائح معجون الأسنان الملوّث. ولسوء الحظ ربما تؤدي كل هذه الأشياء لشراء الفرص. فهذه الصناعة صغيرة نوعاً ما، وذات تقنية منخفضة مقارنة بغيرها، لكنّ المصنعين المحليين يمتلكون ميزة إعفاء صيدلياتهم والحفاظ على علاقات وطيدة مع المستشفيات. ستشهد كذلك المستحضرات الداعمة للصحة زيادة، فقد بدأ الصينيون يكتشفون الفيتامينات.

وفي سعيهم الحثيث للحصول على الموافقة لبيع منتجاتهم في الخارج بدأ صانعو الأدوية الصينية شراء أسهم شركات ما وراء البحار. أو تحويل المنتجات عبر الهند؛ التي بصفتها عضواً في الكومنولث وتحتفظ بميزات خاصة بتسجيل الأدوية في المملكة المتحدة. وبخطوة صغيرة تصل الأدوية لباقي أوروبة حيث لا تزال العديد من الشركات الأجنبية مترددة في عرض آخر المنتجات في الصين خوفاً من سرقة الملكية الفكرية. وتحاول الحكومة تأكيد على ذلك أيضاً، واتّخذت إجراءات صارمة ضدّ الفساد مع موجة من الاعتقالات شملت أنحاء البلاد كافة عام 2007؛ التي تهدف إلى وقف إصدار شهادات التسويق الجيد المزورة اللازمة

لتصنيع الأدوية. وفي حين أن هذه الأخبار تحذر من سلامة الأدوية بوجه عام، إلا أنها يمكن أن تكون إشارة جيدة عندما تنشر أجهزة الإعلام الحكومية مثل هذه المكافحة.

وبعد أن كانت المراكز تحتوي الأساسيات فإن الطلب يتزايد على المعدات الطبية بنسب عشرية. وبلغ سوق المعدات الطبية الصيني 2.6 بليون دولار أمريكي عام 2005، ويتجه ليحلّ محل اليابان كثاني أكبر بلد في العالم للعيادات، التي تحوي أكثر كثيراً من حبوب الجينسينغ بدءاً بآلات التصوير الضوئي، وانتهاءً بأجهزة مراقبة القلب. ومن الآن ستسيطر العلامات التجارية الأجنبية على الحقل أو ستعقد شركات مع الشركات المحليّة كإستراتيجية مبدئية محتملة لدخول السوق الصينية. هذا، وقد أنشأت شركات دولية كبيرة باضطرادٍ مراكز بحث وتطوير في الصين. وعند هذا الحد دخل المصنعون المحليون في منافسة قوية حتى الرمق الأخير. ولكن من غير المحتمل أن يبقوا في السوق حقبة طويلة.

وهناك حديث يدور في الأشهر الأخيرة عن إنشاء منظمات إدارة المشافي Hospital Management Organizations (HMO'S) على الطابع الأمريكي الذي كان يوماً ما مصطلحاً محرماً في المفردات الصينية. ولكن لا يزال هناك الكثير من المحظورات الصينية التي يجب أن تزال قبل أن يكون هناك دور ذو مغزى للشركات لتحسين رعاية المرضى. لقد أخذ مستشفى الأسرة الموحد في بيكين Beijing United Family Hospital، والمُدار من قبل إدارة أجنبية زمناً قدره خمس سنوات من التطبيقات

العملية قبل أن يفتح أخيراً أبوابه لاستقبال المراجعين. وقالت الشركة المالكة: إنّ فرعها في شنغهاي تطلّب 150 دفعة من (الأختام الرسمية) قبل أخذ الضوء الأخضر للعمل.

ملفات جيم الصينية: وصفات من أجل الربح

تشاينا ميديكال تكنولوجيز إنك «شركة التقانة الطبية للصين»

China Medical Technologies, Inc.

مؤشر ناسداك NASDAQ: CMED, ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 223.3 في المئة. ارتفاع الإيرادات235.7 في المئة

تقوم الشركة بتسويق أجهزة فوق سمعية، وبقيت على الدوام في مقدمة ركب الشركات ذات الأسهم الصينية المدرجة في الولايات المتحدة، حيث ارتفع هامش صافي الأرباح عام 2006 إلى 53.53 في المئة. وصارت من بين المستحوذين على منشآت صناعة الأجهزة المتخصصة.

صن راي هولدينغز ليمتد «شعاع الشمس القابضة المحدودة»

Sunray Holdings Limited

بورصة سنغافورة **SIN: S38, S-shares**

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 24.7 في المئة. ارتفاع الإيرادات 28 في المئة

وهي شركة استثمار قابضة مقرها سنغافورة، تبيع عبر شركاتها التابعة شاشات وأجهزة متعلقة بالولادة وتشخيص السرطانات، وتوظف فقط 154 موظفاً، وتزداد قيمتها بالرغم من ذلك وعلى نحو ثابت.

هاربن فارماشوتيكال غروب لميتد

Harbin Pharmaceutical Group Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600664, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 75.5 في المئة. ارتفاع الإيرادات 28.2 في المئة

أصبحت هاربن أكثر تنافسية بضخ ما يصل إلى 250 مليون دولار أمريكي مشترك بين مستثمرين أجنبيين، هما واربوج بينكوس من نيويورك Warburg Pincus وCITIC Capital من هونغ كونغ.

وسيمكن هذا المال Harbin Pharmaceutical من توسيع جهودها في البحث والتطوير - حيث تنفق الشركة 5 بالمئة من عائداتها على البحث والتطوير، باستثناء منتج الدواء الصيني، وهو بالرغم من ذلك يمثل فقط ثلث ما تنفقه أكثر الشركات المتعددة الجنسيات.

سينوفاك بيو تك لميتد Sinovac Biotech Ltd.

مؤشر أميكس AMEX: SVA, ADR

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الخسائر إلى 700,000 من 4.23 مليون دولار، ارتفاع الإيرادات138.1 في المئة

كان اتجاه سهم Sinovac إلى الأسفل لعدة سنوات مقارنة بالأسهم الصينية الأخرى، ولكنها نشرت لقاح التهاب الكبد المشترك الأول A&B، والمطوّر من قبل الخبراء الصينيين، وهو اللقاح المنافس الوحيد غير المتوفر في الصين، وطوّرت شركة Sinovac أيضاً لقاح SARS.

تونغ رين تانغ تكنولوجيز كو ليتد

Tong Ren Tang Technologies Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H   HKG: 8069, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 3,087.2 في المئة. ارتفاع الإيرادات 75.3 في المئة

Tong Ren Tang الشركة القيادية بين منتجي الدواء الصيني التقليدي. وهي علامة تجارية ذات تاريخ عريق، فقد طوّرت مصانع الأدوية الطبية الخاصة بها.

تشاينا ديكس إنترناشيونال، إنس .Chindex International, Inc

مؤشر ناسداك   NASDAQ: CHDX

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 32.4 في المئة. انخفاض الإيرادات 2.2 في المئة

إن مجموعة مستشفيات الأسرة الواحدة United Family Hospitals Group قسم من Chindex وهي واحدة من أفضل مقدمي خدمات الرعاية الصحية الأجنبية في الصين، وفتحت مراكز طبية في خمس مدن الآن. ووصلت عائداتها عام 2006 إلى أكثر من 90 مليون دولار أمريكي. ومع ذلك بقيت الأرباح وأسعار السهم مستوية من دون تغيير نسبياً، كما تركت الشركة قسم منتجاتها وقامت باستثمارات ضخمة في البنى التحتية؛ التي ربما تكون مقدمة لنمو قوي، حيث بدأت كمزوّد رئيس للمجتمع الدولي، وثلث مرضاها هم صينيون.

شاينافا ميديكال إنسترومنت كو ليتد

Shinva Medical Instrument Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600587, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح إلى 2.67 بعد خسارة 3.48 مليون دولار، ارتفاع الإيرادات 61.4 في المئة

تصنع Shinva معدّات جراحية في شاندونغ Shandong وتبيع لـ 21 بلداً.

جيلن ليدنغ تكنولوجي ديفيلوبمنت كو لميتد

Jilin Leading Technology Development Co., Ltd.

بورصة شينزن: أسهم فئة-A SHE: 000669, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 555.6 في المئة، ارتفاع الإيرادات 6.53 في المئة

توظف Jilin ما يزيد عن الـ 300 موظف فقط لكنها أذاعت عن مكاسب ثابتة في منتجات الرعاية الصحية الخاصة بها.

فقدان الأمان الاجتماعي

لا شيء أكثر أهمية بالحسبان الصيني من طول العمر. فطول العمر يجلب معه الحكمة والاحترام وبركات للأحفاد، فلا حجز للناس الكبار هنا. كن كبيراً بما فيه الكفاية، فربما تنتهي بمنصب في الحكومة الصينية بحسب نكتة قديمة. فالصين هي البلد الوحيد الذي يحتفل بعيد الميلاد بوجبة صحية تسمى معكرونة العمر الطويل، وليس بقالب الحلوى. ولكن إذا حصلت الصين على نظام الرعاية الصحية لعمر طويل، فمن سيدفع ثمنه؟

منذ بداية الألفية الجديدة، ازدادت التكاليف الطبية بمعدل سنوي يصل إلى 24 في المئة. وبإجمالي قدره أكثر من 38.5 بليون دولار أمريكي

عام 2005، يعد هذا المبلغ فاتورة ليست بالقليلة، ويتحمل الأفراد الآن 60 في المئة. ولذلك أصدرت الصين عام 2006 قانون نظام التأمين الصحي لتشجع شركات التأمين على العمل مع مقدمي الخدمات الطبية. وبالعودة إلى عام 1997، حيث وضعت الحكومة خطة الرعاية الصحية الرئيسة للعمال المدنيين، التي أدت إلى تغطية 34.1 في المئة من العمال بالتأمين الصحي من قبل أرباب عملهم. ما زال 10 في المئة من سكان الصين - كالمسؤولين الحكوميين والعاملين في المؤسسات الحكومية وبعض سكان الحضر ذوي الامتيازات -يحصلون، حتى وقت قريب جداً، إلى 98 في المئة من أموال التأمين الصحي العام. وفي الربع الأول من عام 2006، وصلت رسوم التأمين الصحي لأكثر من 3 بلايين دولار أمريكي، وهي أكثر بـ 23.78 في المئة من السنة الماضية.

وبدأت الأُسر التي لا يشملها هذا التأمين وخاصةً في مجتمع يشهد نمواً للسكان مضى عليه أكثر من ستين عاماً (130 مليون أسرة عام 2006) تدرك أهمية التأمين الصحي الخاص، وفي حين أن معظم شركات التأمين على الحياة والأصول، يعرضون نوعاً من التغطية الطبية، صدّق منظمو التأمين أخيراً على خمس شركات ليبدؤوا العمل وكلاء طبيين فقط. وإحدى هذه الشركات بدأت عام 2005، مدعية أنها شركة التأمين الصحية الأولى في الصين، وأطلق عليها اسم ربما يكون مناسباً أو مدعاة للتفاؤل: الصين الشعبية المحدودة للتأمين الصحي China People's Health Insurance Company Limited. وبدرجة أكثر

توقعاً تحتفظ شركة China Life بغالبية الأسهم، فقد كان احتكار الدولة في يوم من الأيام، ولا يزال المصدر المهيمن على التأمين في الصين. فشركات التأمين ذات سياسة الصحة فقط غير مدرجة إلى الآن لكن لدى الشركة الألمانية DKV شركة التأمين الصحي الرائدة في أوروبة حصة تقدر بـ 19 في المئة.

وفي أواخر عام 2006، أعلنت شركة Chindex International (انظر فوق) أول مخطط كامل للتغطية الـ (PPO منظمة التجهيز المفضّلة) من أجل المواطنين الصينيين، حيث ستدفع ثمن الرعاية الصحية في سلسلة مستشفياتها، بالإضافة إلى الرعاية الصحية للأمراض والحوادث المحتملة الوقوع كافة حول العالم.

وستشترك شركة (FESCO IB)، وهي قسم التأمين في مؤسسة دائرة المشروعات الخارجية الصينية FESCO في التسويق والمغانم.

وبالمنطق، ستصبح هذه الناحية بيئة ملائمة للنمو مع صناعة التأمين العامة، التي قوِّمت بأنها الأسرع نمواً على سطح الأرض. (فهل أنت مدهوش؟) بلغ متوسط معدل النمو 30 في المئة من عام 1996 إلى عام 2004؛ واضعاً الصين بذلك في المرتبة الثامنة على مستوى العالم. فالمتوقع أن تتخطى السوق الصينية الـ 100 بليون دولار أمريكي بحلول عام 2008، مع أن بلداً مثل اليابان ما يزال ينفق أكثر بأربع مرات كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي على تكاليف التأمين. وتُفسّر وثائق التأمين على الحياة ثلاثة أرباع المبيعات في الصين (مع أنه 35 دولاراً أمريكياً فقط سنوياً على الشخص

الواحد) وإن مثل هذه الشهادات توفّر دفعات مربحة أكثر من المصارف، وتحقق مكاسب أيضاً بسبب تقلص شعور البلد بالأمن الشخصي.

كانت شركة China Life المكان الوحيد الذي يمارس العمل، حتى سمح للمنافسين المحليين بالظهور في مطلع التسعينيات. وكانت شركات التأمين الأجنبية لحين عقد اتفاقية منظمة التجارة العالمية عام 2001، محدودة المجال، حيث سمح لها بأن تخترق السوق تدريجياً أثناء السنوات الخمس المقبلة. وفي كانون الثّاني/ يناير من عام 2005، كان يوجد 20 شركة أجنبية للتأمين على الحياة في الصين معظمها مشروعات مشتركة. والمزيد منها قادم؛ مما سيرفع حصة السوق الأجنبية من 2.6 في المئة إلى 12.7 في المئة حالياً. ولكن ضمن إطار منظمة التجارة العالمية لم يفتح الباب على مصراعيه لقطاع التأمين الصحي، بعكس قطاع المصارف، وإنما بمقدار النصف. وأمسكت شركة بنغ آن للتأمين على الحياة Ping An وشركة باسيفك لايف Pacific Life بسبعين في المئة من السوق عام 2005، واستمروا بالقيادة لأنهم حصلوا على موافقة مستمرة على رخص التشغيل المطلوبة للمقاطعات المستقلة. ولا تزال الحكومة على رأس مصدّري وثائق التأمين التي وصلت إلى 105 بلايين دولار أمريكي، اقتطعت من إسهامات الأجر التقاعدي والعلاوات الطبية وعلاوات أخرى.

ومع ذلك وعلى مرأى من الجمهور الكبير امتدت الأيدي إلى أموال الضمان الاجتماعي. فقد كشفت فضائح متنوعة عام 2006، 4 بلايين دولار أمريكي من الأموال أسيء استخدامها في استثمارات ما وراء

البحار، وهي أموال لا تخوّل القائم عليها أن يقرض منها. فلا عجب من أن الشعب يريد التأمين.

ملفات جيم الصينية: تأمين مستقبل الصين

بينغ آن إنشورنس (غروب) كومباني أوف تشاينا لميتد

Ping An Insurance (Group) Company of China, Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة -A ؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - H؛ تداول من فوق المنصة

SHA: 601318, A-shares; HKG: 2318, H-shares; OTC: PIAIF

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 154.3 في المئة. ارتفاع الإيرادات 39.2 في المئة

Ping An مقرها في شنزن، تسيطر على 35 في المئة من سوق التأمين، وممتدّة إلى العديد من الشركات التابعة، التي تتعامل بالتأمين المتعلّق بالشركات وإدارة الأصول. أصبحت شركة التأمين الأولى لشراء الحصة المسيطرة في شركة إدارة الأموال، واتفقت مع شركة China Life لشراء 10 في المئة من مصرف منشنغ Minsheng المتوسع مجاراة مع سياسة شركات التأمين بتنويع استثماراتها.

كانت شركة جينيرالي تشاينا لايف إنشورنس كومباني لميتد Generali China Life Insurance Company Limited (جزء من Assicurazioni Generali, BIT Italian Exchange: GASI) أول شركة تأمين مشتركة (شراكة غير عادية بين Italian giant Generali وشركة نفط الصين الوطنية China National Petroleum) التي صدّق عليها بعد دخول

الصين في منظمة التجارة العالمية. وربحت أخيراً عقداً لدعم خطة الأجر التقاعدي الهائلة التي تقدر بـ 2.4 بليون دولار أمريكي.

وفي أثناء كتابة هذا الكتاب قامت شركة China Re؛ وهي شركة من شركات التأمين العديدة، بإعادة هيكلتها في إطار التحضير للاكتتاب المحلي، وستواجه هذه الشركة منافسة كبيرة من قبل المتطفّلين الأجانب مثل Lloyd's، حيث تحتفظ شركة التأمين هذه المعاد هيكلتها والواقعة تحت سيطرة الحكومة بموقع مهيمن جداً ضمن منطقتها المتخصصة.

بي آي سي سي بروبيرتي آند كاجيولتي كو لميتد

PICC Property & Casualty Co., Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-HKG: 2328, H-shares H

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 1,453.7 في المئة، ارتفاع الإيرادات 15.1 في المئة

PICC شركة رائدة في مجال «اللاحياة» بالرغم من عملها في وثائق التأمين ضد الحوادث والتأمين الصحي. وعلى الرغم من الأرباح الأخيرة إلا أن أسعار أسهمها تراجعت.

تأمين مستقبل الصين

كان الصينيون يرغبون ومنذ زمن سحيق في تأمين مستقبل أولادهم عبر التعليم. لم تضع ثقافة ما أي قيمة عظمى فوق الدراسة، فالعلماء والشعراء والكتّاب والمفكرون كانوا الأكثر تقديراً وأصحاب الامتيازات في السلالات كافة لا المحاربون. يوجد القليل من تماثيل الخيّالة في الصين. لكنّ هناك ألواح حجرية شائعة تقديراً لدرجات الامتحانات المتفوقة

في العديد من المواقع الأثرية. وما زال يوجد، ولسوء الحظ، العديد من حالات انتحار بين الطلاب الذين يفشلون في أهم امتحان على الإطلاق، وهو امتحان القبول في الجامعة الوطنية.

وفي حين أن الحكومة لا تزال تأخذ على عاتقها التعليم كمسؤولية كبيرة، وصولاً إلى عشرات الكليّات الرفيعة المستوى، إلا أن الازدهار ما يزال موجوداً في كل أنواع المدارس الخاصة وفي المساعدة التحضيرية. وفي الحقيقة، وكما هو مؤكد بأنه مشروع مربح، بالكاد تستطيع المدارس المفتوحة حديثاً مواكبة الثراء، الذي ينعم به الأهالي المستعدون لإنفاق 3000 دولار أمريكي في السنة على الطفل الوحيد في الأسرة، بحسب السياسة المشبعة لإعطائه أفضل فرصة للوقوف على قدميه. وقدّر هامش أرباح المدارس الخاصة بأعلى من 50 في المئة؛ ويعود السبب في ذلك جزئياً لأجور المدرسين المتدنية.

ويوجد حواجز ومخاوف من الوضع القانوني للتعليم الخاص، فبعض شهادات الدبلوم غير معترف بها من قبل الحكومة، وحق المدارس اللامعة لكسب عائدات معقولة أصدر فقط عام2005، والإسهام الأجنبي ما زال غير مرحب به في المدارس الحكومية، حيث إن كل كتاب مقرر حساس سياسياً. وإن تركيز الحكومة الرئيس هو الارتقاء بالتعليم الريفي إلى المستوى المقبول وإلغاء رسوم التعليم عن 150 مليون أفقر طفل. ومع ذلك تسجل بحلول عام 2005 ,15 مليون صيني في 77 ألف مدرسة خاصة، بعيداً عن الأعين، وقد مثّل هذا الرقم 8 في المئة من الأطفال بين عمر الخامسة والرابعة عشرة، ومن المؤكد أنه سيزداد.

ومثال واحد على هذا الازدهار في منطقة ذات أهمية بالغة بالنسبة للصين -هو غذاؤها، فبالعودة إلى عدة سنوات ليست بالبعيدة كانت الأسرار القديمة لإتقان فن الطبخ حكراً على عدد قليل من المدارس الحكومية المتزمتة، واليوم يوجد عدد غير محدود من مدارس تعليم الطبخ، وكلها ضمن الصين الحضرية، والعديد منها يعمل كملحق لمطاعم صينية، وبعضها يشجع المرأة لتحاول أخذ مكانها في عالم الطبخ الذي يسيطر عليه الرجال.

وهذه البداية فقط. فهناك خدمات الإرشاد واللغة والموسيقى، حتى مدارس الجمباز وبرمجيات الحاسوب، وناشرو الكتب ومواد تربوية أخرى، ومدارس تقنية متخصصة أو تلك التي تخدم أدياناً مختلفة، ومستلزمات الملاعب وألواح وخزائن الطلاب. حتى صانعو الزى الرسمي سيستفيدون. والآلات الموسيقية لفرق المدارس أيضاً بالرغم من استخدامها pipas and erhus بدلاً من الأبواق. حتى إن الصين أظهرت قدرة على جذب الآخرين من آسية لصفوف الدراسة، حيث إن 50 ألف طالب من جنوب كوريا وحدها يدرسون الآن في الصين. فكِّر في مدرستك الثانوية والنشيد وتخيّل جميع الشركات التي وصلت لإدارة الجامعة (وتمكنك من البقاء في المكتبة طوال الليل من أجل الامتحان).

والجدير بالملاحظة أن مشروعاً لمساعدة جيل البلد القادم للحصول على العلامات لا يكاد يظهر حتى الآن في الأسواق أو الأسهم المدرجة. فأبقِ أقلامك الرصاص جاهزة، فالصين نفسها كامتحان واحد كبير متعدد الاختيارات، حيث تتغير الأسئلة والموضوعات كل لحظة.

ملفات جيم الصينية: بعض الواجبات

نيو أورينتال إيديوكيشن آند تيك غروب إنس

New Oriental Education & Tech. Group Inc.

بورصة نيويورك NYSE: EDU, ADR

منحى ثلاث سنوات: انخفاض الأرباح 10.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 58.5 في المئة

تساعد شركة New Oriental الطلاب الصينيين بوجه خاص على اجتياز امتحان القبول للجامعات الأجنبية، والتأكيد على اللغة الإنكليزية، وتطور الشركة أيضاً المواد والبرمجيات، حيث تستهدف مليون مسجّل. ومثل أي منافس صغير تسعى هذه الشركة لملء الفجوات في نظام التعليم الحكومي. ومع 3 في المئة من سوق التجزئة بداية عام 2006، كسبت الشركة الاعتراف بالعلامة التجارية. واشترت شركة سنغابورز رافلز إيديوكيشن غروب Singapore's Raffles Education Corp (SIN: 5ES,S-shares) حصة مقدارها 20 في المئة، وأظهر سعر سهمها ارتفاعاً كبيراً وصل إلى 100 في المئة عام 2005، ويرجع هذا الارتفاع إلى نشاطها الموجه نحو الصين.

أورينتال سينشوري ليمتد Oriental Century Ltd.

بورصة سنغافورة: أسهم فئة-S SIN: 5II, S-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 41.7 في المئة. ارتفاع الإيرادات 61.3 في المئة

وعلى نحو مماثل أسست شركة Oriental Century مدارس خاصة بها ومدراس داخلية وروضات أطفال، بالإضافة إلى كليّة تحت اسم لؤلؤة الشرق Oriental Pearl.

تشاينا إيديوكيشن لميتد «الصين المحدودة للتعليم»

China Education Ltd.

ASX: CEH

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 140,000 ألف دولار بعد خسارة 405,000 ألف دولار. ارتفاع الإيرادات 395.4 في المئة

واسمها سابقاً Easy Call International، تدير شركة China Education كلية الأعمال شمالي تيانجين Tianjin، مع 5,900 طالب، وتعمل مع مؤسسات حليفة وعدد من الشركات التابعة؛ التي تشارك في الدورات التقنية ودورات الحاسوب.

وستعرض شركة القيادة مدى الحياة .Leadership for Life Inc بكلا فرعيها المدارس ودورات الإنترنت في الاكتتاب العام حالاً، مؤسسها ومديرها التنفيذي هو سيندي إكسي Cindy Xi مواليد 1974.

ملجأ من العاصفة

لا يجد أي شخص يرى الصين -كما رأيتها أول مرة- شيئاً أكثر وضوحاً من حقيقة أن الإسكان كان هاجس البلد الأول وحاجته الأولى. ففي المدن الكبيرة يعيش أكثر السكان في المشرعات المتهدمة أو الأزقة العتيقة أو بيوت مستولى عليها ومقسّمة خالية من المرافق. ولكي تكون صينياً كان عليك على ما يبدو أن تفتقر إلى المكان الشخصي. فالناس لا يتقاسمون الشقق فحسب، بل والأسرّة أيضاً، والعشرات يستخدمون صنبور مطبخ واحد، والمئات يعانون مشكلة المراحيض العمومية التي ترسل رائحتها

المميزة عبر البلدات الصينية. لا أحد وجب عليه دفع الإيجار، كان هذا صحيحاً، ولكن من جانب آخر لم يكن هناك شيء يستحق دفع الإيجار (ولا تزداد القيمة أثناء في الأربعين عاماً).

بدأت كل هذه الأمور بالتغير ببطء أواخر الثمانينيات، لكنها لم تصل لهذا التوسع الكبير حتى عام 1998، حين تمت الخصخصة الهائلة للملكيات الحكومية. وفي أثناء التسعينيات ارتفع الإنفاق الأساسي على الإسكان من 1 في المئة إلى 5.6 في المئة. وجاء النزوح الجماعي للشقق المشيدة حديثاً بعد البدء بالتطوير الأكثر امتيازاً، والذي استمر منذ ذلك الوقت. وما زال ازدهار البناء مستمراً، حيث امتلأت المدن الصينية اليوم باللافتات الخيالية حول مواقع البناء الرملية للمالكين الموعودين بشقق خاصة لحياة مرفّهة، وكلها علامات كتب عليها اللوفر وبيكاسو وريفيرا والبيتلز the Louvre, Picasso, the Riviera and the Beatlesthe. وتحققت ثروات ضخمة لأغنى مئة رجل في الصين اليوم نصفهم عبر تجارة العقارات.

فهل يستطيع المستثمرون الأجانب فعل الشيء نفسه؟ فمن جهة تمتلك الصين طلباً ضخماً ومكبوتاً سيأخذ عقوداً وربما قروناً لتلبيته، وأشارت الاستطلاعات أخيراً في عام 2003 إلى أن 70 في المئة من سكان المدن الساحلية المزدهرة في الصين كانوا ما يزالون لا يستطيعون تحمل شراء المنازل. ومن جهة أخرى يعد قطاع تنمية صناعة العقارات من بين قطاعات الاقتصاد الصيني، الذي يتفشى فيه الاحتيال والفضيحة بكثرة، وهو ليس بشيء غريب على المشترين أن يحصلوا على أرض أو مرافق أقل من المعلنة عنها أو حتى التعاقد على منازل بيعت لأكثر من

مشترٍ.. واشتهر المطوّرون أيضاً بخرق وتجاهل القوانين واللوائح التي توجب المساحات الخضراء والمرافق.

على كل حال فإن الأسماء الموثوقة في الحيازة العقارية والبناء وأغلبها من هونكونغ تُحكِم سيطرتها بنحو متزايد على هذا القطاع، وتضفي الطابع المهني عليه، وتوفّر شققاً سكنية جديدة وشققاً خاصة على الطريقة الرأسمالية. لعدة عقود كانت الصين مليئة بالحملات الموجهة ضد أصحاب المُلك وامتيازاتهم الإقطاعية الموروثة، فحق امتلاك العقار والتصرف به أُعيد تأسيسه وتأكيده الآن في قانون الملكية الذي طال انتظاره، والذي سيدخل حيز التنفيذ في تشرين الأول/ أكتوبر عام 2007. ومن المهم الإشارة إلى أن هذا القانون الجديد صدر لطمأنة المزارعين الذين يحاولون الدفاع عن أراضيهم من المضاربين بدلاً من تشجيع بناء المزيد من المساكن.

وأيضاً بسبب ندرة امتلاك الأجانب للعقارات الممتازة، واستخدام العقارات الواسعة للمضاربة في أثناء مدة طويلة، عندما كانت سوق الأسهم نفسها ليست مصدراً للثقة، شهدت الصين سلفاً ارتفاعاً في الأثمان مقارنة بنظيراتها في أنحاء العالم كافة في أثناء المدة الأخيرة للتوسع العالمي والضغط السكاني. والآن بالكاد تجد اختلافاً في سعر القدم المربع بين بيكين وطوكيو، على الرغم من الفجوة الكبيرة في تكاليف المعيشة، وبمعنى آخر لا أحد يستطيع الدخول منذ الآن إلى السوق، سواء أكان مستثمراً أم من شركات الملكية في الصين ذاتها.

وحالياً، ما تزال تجارة العقارات ليست على وجهها الصحيح. فالأجانب مسموح لهم تقنياً شراء عقار واحد فقط (على الرغم من أن بعضهم اشترى سراً عقاراً واحداً في أماكن متعددة). وما «يملكه» أي شخص في الصين هو فقط عقد إيجار يستخدمه 70 سنة. وفي حين أنه من غير المحتمل أن تعود الحكومة إلى امتلاك هذه الملكيات، وهي نظرية لم تخضع للفحص، ولن تكون محل اختبار قبل عام 2065، فلا يزال من غير الواضح فيما إذا كان سيتم تداول ملكية الأراضي بحرّية في السوق المفتوحة.

وعلى أي حال من الأحوال، وضعت الحكومة الصينية كل الأسلحة السياسية تحت تصرفها باتجاه إبطاء سوق العقارات، الذي كان يرتفع 6 في المئة كل سنة في أثناء أربع السنوات الأخيرة، والخوف من التضخم، وظهور الرهون العقارية المتعثرة بالإضافة لاضطرابات اجتماعية ناجمة عن أسعار أكبر من طاقة المشترين أول مرة. (حيث إن متوسط سعر شقة مساحتها 120 متراً مربعاً في بجين 110,000 دولار أمريكي، في حين أن متوسط الأجر السنوي هو فقط نحو 6,000 دولار أمريكي). وفي أثناء عامي 2006 و2007، وُضِعت سلسلة من التدابير والعقوبات على المضاربة والتهرب من الضرائب والتلاعب بالأسعار وغيرها الكثير، فعلى سبيل المثال سيدفع الآن الأجانب الذين يملكون عقاراً منذ أقل من خمس سنوات ضرائب إضافية نسبتها 20 في المئة على جميع الأرباح. وقوانين أخرى على الورق ليست بالضرورة للتنفيذ، تضع كلها حداً على متوسط المساحة لجعل أسعار الشقق معقولة، وضريبة إضافية على ربح المطورين.

فإن كان هناك مجال واحد يبدو أنه يتجه نحو الهبوط الشديد، فسيكون قطاع العقارات. فاستثمارات المطورين مستمرة بالازدياد ووصلت إلى 21 في المئة عام 2006، والأسعار في أماكن مثل بيكين وشنغهاي ارتفعت بالمستوى نفسه، حتى الأماكن غير المبيعة والشاغرة ارتفعت لأكثر من ذلك. وفي حين ستأخذ الصين وقتاً طويلاً لتصبح مكتظة بالأبنية، لا يزال العقار مرتفع السعر بوضوح، وربما تنخفض القيمة فجأة، عندها ستتهلل الحكومة الصينية. وبالكاد سيلاحظ عمال مناجم الفحم الحجري في أقصى الغرب ما يحدث لسكان الشقق الخاصة في شنغهاي. والاقتصاد كلّه ربما لن يستيقظ.

وما زال العديد من الأجانب والمغتربين الصينيين يرغبون في امتلاك أماكنهم الخاصة أو حصة في قطاع العقار الصيني. فإذا كنت واحداً من أولئك الأجانب أو المغتربين الذين يعتقدون جازمين حيازة حصتهم الخاصة ضمن السباق الصيني، فإنه من الذكاء بمكان النظر وراء المدن الكبيرة، حيث شكّل المغتربون مستعمراتهم المسعّرة بالدولار. فلدى الصين 128 مدينة بعدد سكان تَجاوزَ المليون، مدن لم يسمع عنها من قبل، حيث الوظائف والمصانع كلها تتجه نحو الغرب، ويوجد العديد من المواقع الداخلية أقل تطوّراً وبسعر أخفض وقابلة للتوسع. وعلى طول الساحل يوجد مناطق مثل كينغداو Qingdao مدينة الميناء المزدهرة والنظيفة التي ما زالت تحتفظ بتأثير ماضيها كونها كانت محمية ألمانية سابقة، أو أي من مدن فيوجيان Fujian الموشكة على الارتباط الودي مع تايوان – يوجد فيها من الأراضي الصالحة للبناء أكثر من تلك التي لها إطلالة على البحر.

وتستمر الصين بإعادة بناء مشروع الإسكان الداخلي الضخم، حيث الحاجة إليه من الأساسيات. ومن بين معالم الحداثة وغيرها من المعالم الأثرية الجديرة بالاستثمار، ستقوم الصين برفع مستوى وحجم المفهوم الأمريكي لمراكز التسوق في السنوات المقبلة. فقد ارتفع من عام 2002 إلى عام 2003 عدد مراكز التسوق الكبيرة من 300 إلى 400 مركز، وربما هي الآن أكثر من 500 مركز، حتى مدن المحافظات الصغيرة أصابها «هوس مراكز التسوق». وكما تنطوي الأصناف الغالية الثمن المعروضة في مراكز التسوق الكبيرة على المخاطر أحياناً، فالشيء ذاته ينطبق على المسؤولين الضالعين في تجارة العقارات، ويمارسون الضغط على المصارف المحلية للتمويل، في الوقت الذي لا تتوافر فيه تلك القوة الشرائية. وقدّرت بحلول نهاية عام 2003 نفقات بناء مراكز التسوق في الصين بأكثر من 24 بليون دولار أمريكي.

عنوان كل هذا هو مركز التسوق الشهير في بيكين المسمى بالموارد الذهبية، التي قدّرت مساحتها تقريباً بـ 6 ملايين قدم مربع و230 مصعداً. وتبلغ مساحة مركز التسوق الشهير في مينيسوتا Minnesota الأمريكية بالمقارنة مع مركز بيكين 4.2 مليون قدم مربع فقط. وقال متحدث باسم مطوّر الموارد الذهبية من مجموعة New Yansha Group غير المدرجة عند افتتاحها في تشرين الأول/ أكتوبر عام 2004: «نحن أكبر أمة في العالم، ويُظهر أكبر مركز تسوق في العالم تقدمنا كمجتمع».

بيد أنه يبدو وكأن الأمور انقلبت رأساً على عقب: فمركز دونغوان للتسوق جنوب الصين Dongguan,s South China Mall، وهو نصف

مليون قدم مربع، يعرض سبع مناطق منفصلة على شكل مدن صغيرة على غرار روما وفينسيا والكاريبي.

ملفات جيم الصينية: النقد البنّاء

كيري بروبرتيز لميتد Kerry Properties Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H HKG: 0683, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 103.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 99.8 في المئة

إن الأسواق الصينية متخمة بالمطوّرين، وقد يكون اختيار أحدها أصعب من اختيار شقة. وبالكاد تبدو شركة Kerry كشركة صينية، لكنها انخرطت في بعض المشروعات التقليدية في هونغ كونغ وعلى أرض البر الصيني.

تشاينا أوفرسيز لاند آند إنفيستمنت

China Overseas Land & Investment

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة -H HKG: 0688, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 100.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 26.5 في المئة

أسس المواطنون الصينيون هذه الشركة عن طريق الاستثمار في هونغ كونغ أولاً، ومن ثَمّ حصلوا على تراخيص لإقامة مشروعات في البلد الأم.

شوي أون لاند لميتد Shui On Land Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة -H HKG: 272, H-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 47.8 في المئة. ارتفاع الإيرادات 355.6 في المئة

وهي القوة الهائلة في هونغ كونغ حيث طوّرت هذه الشركة الـ New World Shanghai الشهيرة باستخدامها المتعدد إحدى مواقف المدينة الحديثة الواجب مشاهدتها.

تشاينا فانك كو لميتد China Vanke Co., Ltd.

بورصة شينزن: أسهم فئة-A، فئة-B

SHE: 000002, A-shares; 20002, B-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 145.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 132.8 في المئة

تأسست هذه الشركة عام 1988، وChina Vanke اسم غير ذي شهرة كبيرة. ارتكزت عملياته الواسعة النطاق على المساكن والإدارة في بعض أكثر المناطق ازدهاراً في الصين مثل نهر دلتا اللؤلؤي Pearl River Delta

ساينو لاند كومباني لميتد Sino Land Company Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H، تداول من فوق المنصة

HKG: 0083, H-shares; OTC: SNLAY, ADR

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 327.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 96.9 في المئة

وهي مطوّر كبير آخر للمساكن والملكيات الصناعية، بالإضافة إلى كونها مستثمراً في الفنادق والنوادي الليلية.

تشاينا فيبر غلاس كو لميتد hina Fiberglass Co., Ltd.

بورصة شنغهاي: أسهم فئة-A SHA: 600176, A-shares

منحى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 48.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 76 في المئة

يخبر اسم هذه الشركة عنها، حيث تعد أكبر مُصنع صيني لمواد الألياف الزجاجية التي تستخدم في العزل. إن أقل من عشرين بالمئة من المنازل الصينية لديها عزل سليم.

كابيتالاند ريتيل ليمتد .CapitaLand Retail Ltd

بورصة سنغافورة SIN: C31; OTC: CLLDY, CLLDF, ADR

منحنى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 177.1 في المئة. انخفاض الإيرادات 1 في المئة

فتحت شركة CapitaLand مركز تسوق رئيساً خاصاً بها وهو Raffles City Shanghai mall بجانب ساحة الشعب People's Square في قلب العاصمة التجارية. وتعمل الشركة في عشرين بلداً بما فيها بلدان الشرق الأوسط، وعبر الشركات التابعة، أصبح لديها الآن 25 مركز تسوق في الصين. وهي واحدة من اللاعبين الرئيسين غير الظاهرين في تطوير العقارات.

هوب ويل هولدينغز ليمتد Hopewell Holdings Ltd.

بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة- HKG: 0054, H-shares H

منحنى ثلاث سنوات: ارتفاع الأرباح 47.5 في المئة. ارتفاع الإيرادات 42.6 في المئة

حققت شركة Hopewell التي مقرها في هونغ كونغ ارتفاعاً في الأرباح وصل إلى 20 في المئة، وذلك عن طريق إبقاء يدها على كل ما يحيط بمنطقة نهر دلتا اللؤلؤي Pearl River Delta المزدهرة مثل: العقارات والفنادق ومراكز المؤتمرات والبيع بالتجزئة.

ولأن معظم المستثمرين لا يريدون فوضى مع المستأجرين أو الضرائب أو عناوين مشكوك بها، ربما يكون أفضل طريق لهم هو النظر إلى أكثر المطورين الحاذقين، مثل طبقة الصين المتوسطة والمزدهرة، التي تستمر في البحث عن ملجأ أفضل لها وعن حظها من الحلم الصيني.



9

بزوغ الصين: جمهورية شعب الغد

لقد جالت جولتنا حول الصين التي تستعر نشاطاً عبر بعض أكثر الزوايا الأخَّاذة في هذه المنشأة الضخمة. وإنني لآمل أن تكون رحلتنا حتى الآن أثناء إحدى أكثر المناطق المستقطبة المشروعات وما تتمتع به من نشاط كبير قد ألهمتك للخروج من مخططاتك وساعدتك على البدء باكتشاف مناطق أخرى في هذا البلد الضخم ذي النمو الهائل. وبرغم ذلك فالأفضل إمعان النظر حول بيتك أو جيرانك أو اكتشاف نشاطات مألوفة لمنتج ما أو خدمات ما قد تكون الصين بحاجة إليها. ولا يستطيع أي كتاب، ولا حتى الكتب الحديثة منها، ككتاب التغيير أو كتاب يي ينغ Yi Jing أو تايوست الكلاسيكي الصيني، أنْ يلمّ بكل نواحي التغيير والتحولات القادمة. حتى النموذج الصيني للعبة الاحتكار (Monopoly) والبارك بليس Park Place وحدائق مارفن Marvin Gardens* لا تزال أمكنة متغيرة. فهي ليست رمية نرد بل حجر أساس لأفضل المعلومات التي تساعدك في المضي قدماً. وهنا مسح سريع أعددته لبعض القطاعات المشجعة على الدخول فيها، التي من المحتمل أن تستثمر فيها يوماً ما، وضمنته رأيي بالعملة أيضاً كإحدى الوسائل الرئيسة للاستثمار في بورصة الصين. وفي

هذا المسح أيضاً عرض سريع للمشروعات الاستثمارية الجديدة نسبياً، مقارنة بقِدَم الصين، التي تساعد في تحديد تحرك الصين الحديثة وراء أحلامها المزدهرة والتي لدى كلٍّ منها فرصة تحقيق أرباح مجزية.

التقانة المتقدمة:

كما سبق وذكرت، لفت انتباهي على نحو كبير عنوانان بارزان في صحيفة يومية مثقلة بملخصات عن الأعمال. أظهر التقريران كيف أن قطاع التقانة في الصين يتطوّر تطوراً سريعاً، ومدى الاندماج الكبير الحاصل بين اقتصاد أمريكا والصين. حيث قال الخبر الأول: إن مجلس البيت الأبيض لشؤون البيئة يعطي جائزة لمجموعة لينوفو الصينية الصانعة للحواسيب الشخصية، وذلك لقاء تمويلها وكالات اتحادية أمريكية للحواسيب الموفرة للطاقة والمبتكرة وإعادة استعمال مواد التغليف. وقال الخبر الثاني: إن الحكومة الصينية قد عرضت بليون دولار أمريكي كحوافز لشركة إنتل، لتنشئ معمل أقراص جديداً وكبيراً في المدينة الشمالية داليان. ويبدو أنها أيام الصين المشمسة في عالم الديجتال، حيث تم تصنيع الحواسيب المحمولة بمكونات صينية كلياً بأسعار عالمية منافسة، ووفق أفضل المواصفات العالمية. ووصلت مبيعات الحواسيب المحلية بفضل التحديث الحاصل من قبل المشروعات الصغيرة والمتوسطة إلى 15 بليون دولار أمريكي عام 2005. وبهذا تكون الصين قد

* أسماء أراضٍ عقارية مكتوبة ضمن خانات رقعة هذه اللعبة الشهيرة ذات الأربعين خانة (م).

تجاوزت الولايات المتحدة التي تعد أول مورد لمنتجات تقانة المعلومات الكبيرة منها والصغيرة.

ولم تقم الصين بإنجاز هذا العمل بمفردها، فما بين عامي 1999 و2005، أنشأت 100 شركة من أصل 500 شركة عالمية مثل هيوليت باكارد Hewlett Packard وتوشيبا وسامسونج مراكز بحث في الصين موزعة على 750 مختبراً استشارياً أجنبياً في البلد، وجلبت عضوية منظمة التجارة العالمية، والتخفيف من بعض الحواجز خبرة ورأسمال تايواني إلى هذه المنطقة الحيوية. وبغرض التعليم السريع صرفت مجموعة لينوفو 300 مليون دولار أمريكي في السنة على الإبداع التقني. وألح رئيس وزراء الصين وين جيابو على محاربة سرقة الملكية الفكرية بأفضل الوسائل المكنة؛ وذلك بإيجاد براءات اختراع وملكية فكرية ذات منشأ محلي. وبناءً على بعض الوعود الصينية للعمل على المطابقة الجينية وتصميم الرجل الآلي ومقل العيون الاصطناعية والحواسيب الرئيسة، تقول التصريحات الرسمية: إنّ السنوات الخمس القادمة ستكون حاسمة لتقدم الصين في المجال التقْنيّ والهندسة البيولوجية وصناعة التقانة.

الشركات: إن ما يدعو إلى الدَّهَشِ، أن أكبر لاعب في الصين هي هواوي Huawei* ومركزها مدينة شينزن، بالإضافة إلى مراكز أخرى كوادي السليكون Silicon valley وموسكو... إلخ، حيث وصلت مبيعاتها إلى 8.2 بليون دولار أمريكي عام 2005. وشركة آليد Allied مع ثري كوم 3 com وهواوي Huawei للتقنيات، التي تزود 90 دولة بالمنتجات اللاسلكية والبرمجيات والتقانة، وصلت مبيعاتها للحواسيب الدفترية عام 2006 إلى 1.5 مليون حاسوب دفتري. ومما يدعو للغرابة إن هذه الشركة **يجب أن تعرض أسهمها،**

وربما تعمل على نحو جيد من دونها.

وطبعاً مجموعة لينوفو المحدودة **.Lenovo Group Ltd** **(بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة-H (HKG: 0992, H-shares) تداول من فوق المنصة: LNVGY؛ انخفاض الأرباح 78.7 في المئة، ارتفاع الإيرادات 346.8 في المئة)** ليست IBM صينية فقط، بل إنها IBM وممونة لـ 160 دولة، حيث وصلت عائدات سنة 2006 إلى 1.3 بليون دولار أمريكي؛ جاعلة مجموعة لينوفو كبيرة وذات ثقة، ولكن بتكاليف كبيرة أيضاً، وبهوامش أرباح منخفضة أو بتقلبات مفاجئة لسعر السهم. شركة ديجيتال تشاينا هولدينغز المحدودة **.Digital China Holdings Ltd** **(بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - H (HKG: 0861, H - shares) تداول من فوق المنصة:** DCHIF**؛ ارتفاع الأرباح 836.9 في المئة، ارتفاع الإيرادات 39.1 في المئة)** شريكة مع سيسكو Cisco، وهي أكبر موزع للمنتجات التقنية في الصين. شركة بيكين تيم صن تكنولوجي كو ليمتد **.Beijing Teamsun Technology Co., Ltd (بورصة شنغهاي: أسهم فئة - A (SHA: 600410, A - shares) ارتفاع الأرباح 70.7 في المئة، ارتفاع الإيرادات 88.1 في المئة)** تتفاخر بالنتائج نفسها ولكنها أصغر جداً، وكما أن الكثيرين، بَنَتْ إستراتيجيتها على الروابط المتزايدة بين الاتصالات وتخزين البيانات ومحاكاة الحاسوب.

---

* Huawei: من الشركات المشهورة بتصنيع أدوات الاتصال عبر الشبكة العالمية المحولة «الإنترنت». (م).

وكما هو الحال في بقية العالم، يَصْنَع الذين لديهم تصور واضح عن المناطق التي تأتي في المقدمة من هذا المجال السريع التغيير ثرواتٍ طائلةً. وتكون فلسفتي عند متابعة المصانع التقْنية عمل الواجب أكثر من المعتاد.

الفضاء: لا تُلق بالاً للسنة القمرية التي هي أساس التقويم الصيني، ففي إحدى الأيام في المستقبل غير البعيد جداً ربما لن نجد على سطح الأرض سوى وجوه صينية تلوّح عائدة من سطح القمر. فالبرنامج الصاروخي السري للغاية في هذا البلد بدأ عام 1956، (لمواكبة الروس). ويسيطر معهد أورلين - ساوندج للأبحاث التابع لمجموعة تقانة الفضاء الصينية على أبحاث القمر الصناعي، وبحسب برنامج تشنغ الصيني المسمى بـ «الروح الأسطورية» يجب السفر إلى القمر بوساطة شرب جرعة أسطورية، تهدف لتكون هناك قبل عام 2017، بوساطة وسائل تقليدية. أولاً، كرابع بلد على مستوى العالم ترسل مجساً إلى المدار القمري، ولاحقاً ترسل متجولين آليين، ومن ثَمّ من يعلم؟

يأمل الصينيون، وعلى الرغم من أن البحث لا يؤكد هذا الشيء، إلا أنهم يأملون أن تساعد المعادن المشحونة بواسطة الوابل الشمسي المستمر الطاقةَ البشريةَ يوماً ما (التي ربعها في الصين). وعلى أرضية أكثر صلابة، تعهدت الحكومة الحالية في خطتها الخمسية بتمويل 5 إلى 8 مرات عدد الأقمار الصناعية للعقود السابقة.

الشركات: تقوم شركة شنغهاي إيروسبيس أوتو موبايل إلكتروميكانيكال كو ليمتد **Shanghai Aerospace Automobile Electromechanical Co., Ltd.**

(بورصة شنغهاي: أسهم فئة - A): (SHA: 600151, A - shares). **(ارتفاع الأرباح 7.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 70.6 في المئة)** بتسخير الجيش للعمل المدني، وتصنع كل شيء بدءاً من معدّات استلام بيانات القمر الصناعي والقطع الآلية وأجهزة البطارية الشمسية (وسيطرت شركتها التابعة شنغهاي سولير بور تيك ليمتد على وضع السوق). تنامت شركة تشاينا سبيس سات كو ليمتد **China Spacesat Co., Ltd.** (بورصة شنغهاي: أسهم فئة - A) (SHA: 600118, A - share) **(ارتفاع الأرباح 1,541.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 160.6 في المئة)** على نحو يفوق الوصف بسبب الطلبات المتزايدة على الأقمار الصناعية. تبدو شركة لونغ مارش لنش فيهايكل تكنولوجي كو ليمتد **Long March Launch Vehicle Technology Co., Ltd.** (بورصة شنغهاي: أسهم فئة - A) (SHA: 600879, A - shares) **(ارتفاع الأرباح 53.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 70.6 في المئة)** مُخيفة بالتأكيد، فربما تتحرك لتطوّر أسلحة بتوجيه صاروخي وحساسات قمر اصطناعي.

الإنترنت: هل ستغير الصين من شبكة الإنترنت حول العالم؟ أم إن الشبكة هي التي ستغير الصين؟ لا شيء يتفجر بسرعة في بلد مُتفجر سلفاً، فقد كان يوجد في الصين نهاية عام 2006، كما سبق وذكرت، 137 مليون مستخدم لشبكة الإنترنت بزيادة 23.4 في المئة لكنها لا تزال تمثل 10 في المئة من الصين فقط. لذلك ما يزال هنالك مجال لتوسّع أكبر ومتعدد النطاق.

ومما يدعو إلى الدهش أن 76 في المئة من مستخدمي شبكة الإنترنت لديهم اتصالات ذات سرعة كبيرة لأكثر من 843,000 صفحة إنترنت صينية بزيادة 150,000 صفحة في السنة الواحدة. وازدادت وسائل الإعلانات والألعاب والتحميل على شبكة الإنترنت بنسبة 48 في المئة عام 2005، و41.3 بالمئة عام 2006. ويوسع أكثر من مليون صيني من رواد الإنترنت مؤشرات النقاش الحر. تشير بعض الاقتراحات إلى أن سياسة إنجاب الطفل الواحد جعلت الأطفال يبحثون بعزم وإصرار عن شركاء. وتساعد أخبار شائبة ومعلومات وخيارات واسعة للتسلية تفوق التلفاز الحكومي الجامد على عزل جيل كامل. فهل ستحجزهم أيضاً؟

الشركات: مع الأرباح الكبيرة والمحتملة ربما تصبح أسهم الإنترنت الصينية أرخص من مثيلاتها في الولايات المتحدة بوجه عام. وعلى الرغم من الشركات الحكومية التي تعمل على منع إدمان المراهقين على التحادث عبر الإنترنت ونمو المشكلات الاجتماعية، ادّعت شركة شنغهاي إنتر أكتيف إنترتينمنت ليتد **Shanda Interactive Entertainment Ltd. (NASDAQ: SNDA, ADR)** (**ناسداك: انخفاض الأرباح 13.1 في المئة، ارتفاع الإيرادات 27.4 في المئة**) أن لديها 2.29 مليون مشترك. (هذه ليست إجازة لأسهم المقامرة بل مجرد معلومات لمن يرغب في المتابعة). وادعت مجموعة كيو كيو QQ على الإنترنت المولة من قبل شركة تنسنت هولدينغز ليتد **Tencent Holdings Ltd.** **(HKG: 700, H - shares) (بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - H)** (**ارتفاع الأرباح** 141 **في المئة، ارتفاع الإيرادات 144 في المئة**) أن لديها 580

مليون مُستخدم في نهاية عام 2006، و84.4 من سوق الرسائل الفورية الصينية. أدارت شركة نيت إيسا كوم إنس .NetEase.com, Inc

(مؤشر ناسداك؛ ارتفاع الأرباح 181.6 في المئة، ارتفاع الإيرادات 139.6 في المئة). بوابة شبكة إلكترونية ومزوّد تكتل على الإنترنت الذي رأى الأرباح الصافية تقفز إلى 60 في المئة سنوياً.

الأفلام: قريباً جداً في دار العرض القريبة منك، الحائزون على جائزة الأوسكار هم من الصين، فلدى الصين تقليد ضارب في القدم في صناعة الأفلام يعود إلى فلم جبل جن الساحرCapturing Jun Mountain في القرن العشرين في أثناء العصر الذهبي **لنجوم السينما من الممثلات الفاتنات** في ثلاثينيات القرن العشرين، وصولاً إلى ما يسمى الجيل الخامس من أفلام خريجي المدارس مثل زانغ ييمو Zhang Yimou وتشن كايج Chen Kaige الذين كسروا حاجز الدعاية الكئيبة بجرعة من الواقعية والأسلوب الشخصي.

ولكن التحّول البطيء لاستوديوهات الأفلام الخمسة عشر التي تشرف عليها الدولة وغزو المنتجات الأمريكية وأقراص الدي في دي DVD المزوّرة خلّف اضطراباً في هذه الصناعة. وأخيراً في عام 2003، كانت إيرادات شباك التذاكر في كوريا الجنوبية، الأصغر عشرين مرة من الصين، أعلى بـ 5 مرات. وبحسب الإحصاء الأخير، كانت هناك دار سينما واحدة لكل 125,000 مشاهد صيني، مقارنة بواحدة لما يزيد قليلاً عن 8 آلاف مشاهد في أمريكة. وبينما يشاهد معظم الصينيين

الـDVD في بيوت مكتظة، فإنه يجب على دور السينما الحديثة أن تتمتع بالجاذبية. حتى الصينيون يحبون حبات الذرة المحمَّصة (الفوشار).

واليوم يعود الفيلم الصيني إلى سابق عهده بإستراتيجية تأخذ بالألباب: في عام 2006، كلفت ثمانية أفلام باهظة التكلفة ومليئة بالتشويق والإثارة 70 في المئة من ميزانية الأفلام. وما زالت الأفلام التي دون ذلك تستفيد من نظام الحصص وتعليمات الحكومة بأن يُخَصص ثلثا وقت الشاشة للمنتجات الصينية. وإن التحسن الكبير عام 2003 كان بفضل فيلم «البطل» Hero أول أفلام ملاحم فنون الدفاع الذاتي العديدة التي حطمت الأرقام القياسية لشباك التذاكر، وصححت سوء فهم انخفاض قيم الإنتاج في الصين.

ومنذ ذلك الحين قفزت العائدات إلى 25 بالمئة في السنة، ونُفِّذت عقود جديدة مع الشركات الأمريكية والفرنسية حتى التايوانية من أجل الإنتاج المشترك. بينما بقيت الأعمال المستقلة تحت الرقابة الشديدة من قبل قراء النصوص المعيَّنين من قبل الحكومة، حصلت المنتجات الكبيرة على الضوء الأخضربسهولة أكبر. وبتخفيف الرقابة السياسية ستصبح الصين أكثر جذباً كموقع أقل كلفة للإنتاج الأجنبي. وتتوقع شركة برايس ووتر هاوس كوبرز Price water house coopers نمو صناعة الترفيه العالمية 10 في المئة في السنة حتى عام 2010. وسيكون للصين حصة الأسد في هذه الزيادة. وسنشاهد المزيد من الأفلام كفيلم البطل مع إضافات أكثر وبأقل كلفة مما تتصوره شركة الإعلام الأمريكية MGM.

الشركات: تشاركت ورنر بروس Warner Bros ومجموعة الأفلام الصينية المملوكة حكومياً مع مجموعة هينغ ديان الخاصة Hengdian Group لإنشاء Warner China Films، وكلتاهما غير مدرجتين لإنتاج أفلام باللغة الصينية، التي سيكون لها تأثير فاعل في أسهم تايم ورنر **NYSE: TWX (بورصة نيويورك؛ ارتفاع الأرباح 94.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 5.1 في المئة)**. تعد شركة تشاينا ستار إنترتينمنت ليمتد **China Star Entertainment Limited (بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - HKG: 0326, H - shares) (H)** (**ارتفاع الأرباح 4.7 مليون دولار أمريكي من خسارة 38.9 مليون دولار أمريكي، انخفاض الإيرادات 7.6 في المئة**) قوّة بارزة في إنتاج الأفلام باللغة الصينية ودراما التلفاز وتدريب الفنانين. وأنشأ الإخوة هواي شركة إنتاج خاصة حققت نجاحات حديثة، 35 في المئة منها مملوكة لـ ليكا شنغ Lika-shing صاحب الثراء الضخم من هونغ كونغ مع الأقل نجاحاً بعض الشيء، وهي مجموعة توم المحدودة .TOM Group Ltd **(بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - HKG: 2383, H - shares) (H)**. (**انخفاض الأرباح 86.2 في المئة، ارتفاع الإيرادات 12.1 في المئة**). وتعد مجموعة جولدن هارفيست إنترتينمنت هولدينغ ليتد **Golden Harvest Entertainment Holding Ltd.** (**بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة- H؛ ارتفاع الأرباح 150 في المئة**) الأولى التي حازت على قصب السبق في كل فيلم في آسية، على الأقل في كل فيلم يرتدي فيه البطل ضفائر ويشق الحشود بواسطة الكونغ فو kung fu.

الرياضة: العب الكرة ! هل تعرف أن لدى الصين حالياً رابطة لفرق البيسبول الخاصة بها (CBL) لتتنافس مع أنجح الاتحادات لأكثر رياضتين شعبيتين في الصين، وهما كرة السلة (CBA) وكرة القدم، وبينما تأسس اتحاد

كرة القدم (CPSL) عام 1994، جاء دور رابطة كرة القدم الممتازة (CSL) متأخراً عشر سنوات، ولكن شهرته تدنت بسبب انكشاف فضائح الاتفاقات السابقة على نتائج المباريات. ربما لا توجد طرق كثيرة للاستثمار المباشر في هذا المجال باستثناء الاستثمار في رياضات آسية الواسعة الانتشار، **وأقسام** مجموعة ميردوخ نيوز كورب (بورصة نيورك) (.Murdoch's News Corp) (NYSE: NWS)) ومنشآت غربية أخرى تجني أرباحاً طائلة من المشاهدين الصينيين **والمتاجرة مع الشركة الوسيطة**، لكن الصينيين الذين كرّسوا أنفسهم يوماً ما للثقافة فقط أصبحوا من أكثر الدول المهتمة بالرياضة. فأثناء زياراتي الأولى كنت أجد نفسي الراكض الوحيد في الصباح الذي تزعجه آثار العرق، وغالباً أركض عدة دورات حول الصينيين المنشغلين بممارسة رياضة الـ تاي شي tai chi. وكانت الرياضات التي تمارس وقت الراحة مثل التزلج أو التنس: إما غير معروفة أو يتم تجاهلها، فرياضة البليارد والريشة تحتاج إلى القليل من الجهد والمساحة.

سيسرّع أولمبياد 2008 تجارة وتسويق الرياضة بوجه عام بما يجاري البنية التحتية للترفيه، التي اعتمدت بحسب المعايير الغربية. وافتتحت شنغهاي أخيراً أكبر مركز للتنس في العالم والأكثر تقدماً لتدريب أبطال المستقبل، فضلاً عن استضافة بطولة اتحاد لاعبي التنس المحترفين. ودعونا لا ننسى التسلية الوطنية في الصين الـ بينغ بونغ Ping-pong. ولن يكون ياو مينغ نجم فريق كرة السلة الذي يلعب لنادي هيوستن روكيتس Houston Rockets* (فريق مدينة هيوستن المحترف) آخر الرياضيين الصينيين البارزين الذين يكسبون من التسويق العالمي. وسيسهم النمو المدهش لرياضة الغولف في الصين، كما سبق وذكرت، في التوسع السريع

للقاعات الرياضية الشخصية والمنتجات الرياضية والملابس، سواء التصنيع أو البيع بالتجزئة. فالصينيون لا يُخيطون أربطة أحذية نايك وأديداس فحسب، بل يلبسونها أيضاً.

الشركات: قام الرياضي الطموح لي ننغ Li Ning، وهو من أوائل الرياضيين المشهورين في الصين الذين حازوا على الميداليات الذهبية في الألعاب الأولمبية، بوضع اسمه على الأدوات والأحذية الرياضية المحلية الأكثر شهرة. شهدت شركة لي ننغ كو لميتد **Li Ning Co. Ltd.** **(بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - HKG: 2331, H - Shares) (H** **(ارتفاع الأرباح 139.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 69.3 في المئة)** زيادة أكثر من 20 في المئة سنوياً لأسعار سهمها، وأرست لمنتجاتها حصة في السوق الصيني أقل قليلاً من نايكي Nike (وتُصدر الشركة حالياً إلى الشرق الأوسط). ولما خسرت أمام أديداس في منافسة رعاية الألعاب الأولمبية في بيكين، وهي التي كانت راعية ومزودة لفرق الصين الأولمبية في الماضي، قامت لي ننغ بتقديم بزات الركض الموسومة باسمها لمذيعي الأولمبياد في الصين لتعوض ما فاتها. ويبقى أن نذكر شركة آنتا (الصين) كو لميتد .Anta (China) Co., Ltd، وهي منافس محلي، غير مدرجة حتى الآن، تأسست في محافظة فوجيان Fujian عام 1991، وافتتحت عام 2006 أربعة آلاف منفذ بيع في كل أنحاء الصين.

---

* «صواريخ هيوستن» وذلك لأن مدينة هيوتسن هي مركز وكالة الفضاء الأمريكية ناسا. ومن هنا جاءت كلمة صواريخ هيوستن (م).

النقود البلاستيكية: بعد سنوات من القبول البطيء والإغراق المربك في عدد مصدري بطاقة الائتمان بدأت الصين بالترحيب ببطاقة الائتمان -مع أنها دولة ليست مقترضة- حيث إن حملات الهدايا الترويجية وخيارات التسديد من دون فوائد جلبت عدداً من بطاقات الائتمان في الصين وصل إلى 60 مليون بطاقة عام 2006. وهي ليست بنتيجة سيئة لبلد لا يوجد فيه سوى القليل من الأشخاص المهمين، الذين كانوا يحصلون على بطاقة الائتمان هذه قبل عام 2004 من أجل الاستعمال الدولي فقط. وفيما أذكر كان استعمال بطاقة ائتمان قبل هذا التاريخ يعد ضرباً من العبث.

حتى عام 2002 قبل 2.7 في المئة فقط من التجار ببطاقات الائتمان، ولما كان 3 في المئة من الإنفاق فقط يتم ببطاقات الائتمان، وما زالت أكثر الصفقات تدفع نقداً، فإنك تستطيع بالتأكيد مغادرة البيت دون حمل البطاقة. ولا توجد حتى الآن شبكة موثوقة تستطيع عبرها الاطلاع على التاريخ الائتماني لمنع البطاقات المزيفة أو منع الاستخدام الاحتيالي لها. ولن تسمع هنا قصصاً كثيرة عن بطاقات الائتمان التي تصدر للكلاب والقطط الأليفة، كما هو الحال في أمريكا، فمؤهلات الحصول على البطاقة بالنسبة للصينيين تخضع لضوابط أكثر صرامة، سواءً كانوا مؤهلين أو لا، ولايهمهم كثيراً الشراء في الوقت المحدد. **فثقافة البلد في الادخار الحذر تطغى على سحر جاذب التسوق والمكانة الاجتماعية الرفيعة.**

وهناك نسبة عالية من البطاقات التي بالكاد تستخدم، وغالباً ما يتم سداد مشترياتها قبل إرسال كشوفات المطالبة إلى حامليها. لهذا السبب

تنبأت شركة مكنسي McKinsey بأن جني أرباح بطاقات الائتمان من قبل المصارف الصينية لن يكون قبل عام 2009. لكن الاستطلاع نفسه تنبأ لهذه المصارف بأنها ستربح نحو 1.6 مليار دولار أمريكي بحلول عام 2013. ومع ضعف الأداء المصرفي فُتِحَ الباب على مصراعيه للمنشآت الأجنبية المخادعة التي ستتسابق من أجل كسب الزبائن، وستكون البطاقات بالقطع جزءاً من مجموعة الخدمات المُزمع عرضها.

الشركات: توفر مجموعة إكسبرس المعروفة سابقاً بـ تشاينا كريدت هولدينغز المحدودة Xpress Group Ltd. (بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة – H) (HKG: 0185 H - shares) (ارتفاع الأرباح 13.1 **مليون دولار أمريكي من خسارة** 14.1 **مليون دولار أمريكي، انخفاض الإيرادات 20.7 في المئة)** تشكيلة واسعة من منتجات بطاقة الائتمان بالرغم من أن أسعار سهمها ظلت على حالها. وتدير شركة تشاينا يونيون باي China Unionpay التي تأسست عام 2002 ومركزها شنغهاي، ولا تزال غير مدرجة لهذا التاريخ، لوحة تشغيل شبكة معلومات بطاقة المصارف الوطنية المكفولة والموقع الإلكتروني الذي ترعاه الحكومة الصينية، وهي شركة غير مدرجة حتى الآن. يعد مصرف تجار الصين تشاينا ميرشانتس بنك كو لميتد **China Merchants Bank Co., (بورصة شنغهاي: أسهم فئة – A؛ بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - H): (SHA: 600036, A - shares; HKG: 3968, H - shares) (تداول من فوق المنصة؛ ارتفاع الأرباح 107.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 58.6 في المئة)** الذي تأسس عام 1987 ومقره شنزن، أفضل مصرف تجاري في

الصين، حيث كان لديه 10 ملايين شخص يستخدمون بطاقته الائتمانية أوائل عام 2007. وفي الحقيقة، مع مضاعفة الإقراض ببطاقة الائتمان عام 2006، وصلت الأرباح إلى 81 بالمئة. إن أحدث ترويج لبطاقة الائتمان هي هالو كيتي (مرحباً كيتي) من نادي مشجعي البطاقة.

الهواتف الجوّالة: لا أحد يتردد في امتلاك قطعةٍ تقْنيّةٍ أخرى تتناسب وحجم اليد. يُعتقد أن أعداد المشتركين في خدمة الهاتف الجوّال وصل إلى 440 مليون مشترك أو ثلث السكان عام 2006، بينما تشير التوقعات إلى أن 48 مليون مشترك آخر سينضمون إلى هذه الخدمة عام 2007. وهذا سيجعل الصين على رأس من يستخدم هذا النوع من الاتصالات. ربما يكون هذا هو المنتج المثالي فقط لجماعة تكيَّفت مع مجتمع هو دائماً في حالة نشاط.

ولا يستخدم الصينيون الهاتف الجوّال للتحدث فيه أو لإرسال الرسائل القصيرة فحسب، بل يمارسون التسلية بالألعاب الموجودة فيه، ويقرؤون الإعلانات ويدخلون إلى صفحات الإنترنت، وكل ذلك بتكاليف أقل من الحواسيب. وقد اطلع المصنعون ومزوّدو الخدمات في الصين على العلامات التجارية الأجنبية والمنافسة منذ البداية، ولا تنوي منظمة التجارة العالمية استبعادهم.

الشركات: أُنشئت شركة تشاينا موبايل .China Mobile Ltd **(بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - H): (HKG: 0941, H - shares; NYSE: CHL, ADR) ارتفاع الأرباح 58.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 53.6 في المئة)** باستقلالية عن الدولة عام 2000 ومن غير المحتمل أن تفقد هذه الشركة بصمتها، لأنها

ببساطة أكبر مشغل هاتف خليوي في العالم، حيث وصل عدد مشتركيها إلى 300 مليون مشترك عام 2006، ومن بين كل الأسهم في بورصة الصين يمتلك سهمها القيمة الأكبر والأعلى بين شركات الاتصالات في آسية. وتمتلك هذه الشركة 31 شركة تابعة بقيمة أصول تصل إلى أكثر من 5 بلايين دولار أمريكي. تأتي شركة تشاينا يوني كوم المحدودة **.China Unicom Ltd** **(بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - HKG 0762, H - Shares) (H)** **(NYSE: CHU, ADR) (ارتفاع الأرباح 137,000 دولار أمريكي من 0 دولار أمريكي، ارتفاع الإيرادات 19.2 في المئة -H)** في المرتبة الثانية تحمَّلت هذه الشركة خسائر كبيرة عام 2006 بسبب سداد سندات الدين، لكن مؤشرات أعمالها بقيت قوية.

التلفاز السلكي: في كل مرة أدخل فيها إلى فندق صيني يدهشني مشهد كيف أن القنوات على التلفاز السلكي مُتاحة في عالم من المفترض أن تكون فيه القنوات مقموعة وخاضعة لرقابة صارمة، وربما تختفي قناة الـ BBC عندما يسرد تقرير لا يبعث على السرورعن التبت. ولكن البرامج البرتغالية والفرنسية والعربية والسويدية تعرض بطريقة غير مقيدة معظم الوقت. وكان يوجد في نهاية عام 2006 .139 مليون مستخدم للكابل من أصل 368 مليون تمتلك أجهزة تلفاز، ويبيع لاعبون عالميون كبار مثل STAR وHBO، ما في جعبتهم من البرامج ويراهنون على امتلاك أكبر عدد من المشاهدين في وقت قريب. لكن أقل من 2 في المئة كانوا يملكون كابلاً إلكترونياً، والتزمت سارفت SARFT، منظم شبكات الكابل الرئيسة الخاضع لإشراف الحكومة، التغيير الكلي - ومن المتوقع

أن تصل قيمة السوق الرقمية إلى 64 مليار دولار أمريكي على الأقل بحلول عام 2015، في حين أنها كانت 5.13 مليار دولار عام 2005.

الشركات: تمتلك شركة شنغهاي أورينتال بيرل جروب كو لميتد
Shanghai Oriental Pearl (Group) Co., Ltd.
(بورصة شنغهاي: أسهم فئة A- **(SHA: 600832, A - Shares)**
(ارتفاع الأرباح 12.6 في المئة، ارتفاع الإيرادات 40.1 **في المئة)** 29 في المئة من مزود كابلات شنغهاي، ويبلغ عدد زبائنها 4 ملايين، ولها برج للتلفاز وقاعة للمؤتمرات. تخطط شركة بيكين جهوا سي إي تي في نيت ورك كو لميتد **Beijing Gehua CATV Network Co.,**. **(بورصة شنغهاي: أسهم فئة A - (SHA: 600037, A - shares) (ارتفاع الأرباح 112.2 في المئة، ارتفاع الإيرادات 41.7 في المئة)**، لرقمنة كل الكابلات في بيكين بحلول عام 2008، إلا أن بعض المحللين يرون أن هذا الأمر غير واقعي. على كل حال، ارتفعت الأرباح الصافية إلى 62.18 في المئة في الربع الرابع من عام 2006. وتعدّ شركة الاتصالات والكابلات الصينية China Cable and Communication, Inc. (تداول من فوق المنصة OTC: CCCI) شركة التلفاز السلكي الأسرع نمواً والمشغل الأجنبي الأول في هذا المجال. وكانت شركة شنزن توب ويه فيديو كوميونيكيشن كو لميتد Shenzhen Topway Video Communication Co., Ltd. شركة الكابلات الأولى في الصين، حيث تحقق أرباحاً من خدمة الإنترنت العالية وخدمات طلب الفيديو. وهي شركة غير مدرجة أيضاً.

النشر: تلفت انتباهك وسائل إعلام مذهلة في كل مرة تقوم بجولة في أنحاء الصين مثل أكشاك بيع الصحف أو طاولات مثقلة بالصحف والمجلات نُصِبت في زوايا شعبية، ويوجد العديد من المكتبات أيضاً.

وبينما بالكاد وُصف قطاع النشر والصحافة الصينيّين بالحر بالمعنى الصحفي، إلا أنه بالطبع غير مقيد برمّته. فبلا شك يوجد الكثير من الرقابة الذاتية في الإعلام الصيني، حتى من قبل مؤسسات جمع الأخبار الأجنبية، التي دخلت في شركات لإنشاء صفحات صينية على الإنترنت مثل (Reuters, Financial Times)

وببساطة هناك القليل من المواضيع غير المسموح بها في الصين، حيث تُحْجِم معظم الشركات عن نشرها، لكن في ذات الوقت، ما زالت تلقى الكثير من الرواج في بعض الصفحات الغربية وتترجم وتوزع سراً من دون إذن. تضاعفت عوائد نشر الكتب بين عامي 1993 و2005 أربع مرات، ففي عام 2005، وُجد 572 ناشراً رسمياً قاموا بنشر نحو 220 ألف عنوان في السنة. وبينما تقوم الإدارة العامة للطباعة والنشر GAPP بمساعدة الحكومة على الإمساك بزمام الأمور في المطبوعات قدر المستطاع، فإن تسرب المطبوعات الرمادية والسوداء مستمر بالزيادة -بدءاً من المجلات إلى الصحف التي تتحكم بها الحكومة، حتى الكتب الأكثر مبيعاً في أمريكة وآلاف النسخ المحلية على شاكلة نصيحة (كيف تصبح غنياً بسرعة).

حتى إن الناشرين الحكوميين يبيعون علناً رخصاً لتسجيل الكتب الجديدة والنشرات الدورية، التي يبلغ ثمنها 6500 دولار أمريكي للكتاب

الواحد، وضعف هذا الرقم للنشرات الدورية. ولم تبطئ أو تمنع الرقابة الحكومية مئات المجلات التي تتناول بدايات حياة الصينيين من زيادة أعدادها أو نمو إيرادات إعلانات الصحف. وإذا أُطلقت الحرية السياسية أو نال الإنهاك من الرقباء الحكوميين عندها ابحث عن المجلة الصينية المغولية هيرتس ولوسس Hearsts and Luces، التي بالتأكيد ستجعل الصيني يقرأ أكثر من أوراق الشاي.

الشركات: يمكن أن تكون أسهم شركات النشر مختبئة كسياسات أصحابها. تعد شركة زنهوا ميديا Xinhua Media (بورصة شنغهاي: أسهم فئة – A) (SHA: 600825, A - shares) شركة قيادية في مجال نشر الصحف في شنغهاي وتعود معظم ملكيتها لمجموعة جيان فانغ ديلي جروب: **Jianfang Daily Group** (شركتها الأم كانت هواليان سوبر ماركت كو ليمتد **Hualian Supermarket Co., Ltd.** (انخفاض الأرباح 54.9 في المئة، انخفاض الإيرادات 38.9 في المئة) خرجت شركة زنهوا فايننس ميديا ليمتد «الاسم ذاته المشابه» (Xinhua Finance Media Ltd. (NASDAQ: XFML, ADR (مؤشر ناسداك: ارتفاع الأرباح إلى 3.34 ملايين دولار أمريكي من خسارة 1.25 مليون دولار أمريكي، ارتفاع الإيرادات 14,642.5 في المئة) ببداية مهزوزة في آذار 2007، لدى الاكتتاب الأولي على أسهمها في أمريكا. أَسَّست الشركةَ فريدي بوش Fredy Bush، وهي سيدة مطلّقة تتبع لطائفة المورمون، حيث ذهبت إلى آسية منذ أكثر من عشرين سنة. وبنحو مشابه، أصبحت الصحيفة الصينية القيادية (صحيفة الشعب اليومية the People's Daily) والناشرة للعديد من العناوين ذات الصلة في جميع أنحاء البلاد. شركة

هوين ميديا إنفيستمنت كورب Huawen Media Investment Corp (بورصة شنزن: أسهم فئة - A) (SHE: 000793, A - shares) (انخفاض الأرباح 22.4 في المئة، ارتفاع الإيرادات 71.2 في المئة) التي اندمج نشاطها الرئيس في مجموعة هاينان مينشينغ للغاز Hainan Minsheng Gas Corp. تعد مجموعة M Media Group جزءاً من مجموعة مورننغ سايد Morningside Group غير المدرجة، تأسست عام 1986 من قبل أسرة تشان في هونغ كونغ، والمالكة لرخصة الطبعة الصينية من أعمال فوربز وهارفارد بيزنس ريفيو Harvard Business Review, Forbes Harvard وغيرهم.

البيع بالتجزئة والموضة: لقد أنهينا استطلاعنا في المكان الذي بدأنا منه مع أكثر الرغبات الاستهلاكية المعاصرة: ألا وهي التسوق. فقد نما عالم الصين الرائع للبيع بالتجزئة من 12 في المئة إلى 13 في المئة من القيمة الإجمالية عام 2006. ومن المتوقع أن ينمو إلى 14 في المئة عام 2007، وأن تصل المبيعات في جميع الجهات إلى 963 مليار دولار أمريكي. إن هذا الرقم ليس خطأً مطبعياً بل هو حقيقي. وسبق أني أوردت ذكر مراكز التسوق الضخمة والمفضلة، والعلامات التجارية العالمية. لقد قُطع شوط طويل منذ الأيام التي كانت فيها الخيارات الوحيدة هي معاطف النسيج القطني الأسود أو الأزرق. فالبلد الذي اشتهر بإنتاج معظم قماش الجينز عالمياً بالإضافة إلى تصنيع العديد من الأنسجة يقوم حالياً ببناء علامات تجارية للألبسة غير الرسمية غاية للمنافسة العالمية. وبازدياد ستعرض أسماء صينية من مصممي الأزياء في العالم -أبحث عن مصممي الأزياء المحليين الذين ينشرون طراز اللباس التقليدي لزي

الماندرين على خُطا مصممي الأزياء الصينيين العالميين مثل فيفيان تام Vivienne Tam وفيرا وانغ Vera Wang وفي شنغهاي تانغز دافيد تانغ. Shanghai Tang's David Tang

وعند ذكر تجارة الأغذئية فإن نمو الصين أضاف سلعاً كمالية ودفع بها الى سوق البيع الرائج. فهذه مجموعة من الأرقام الجديرة بالتوقف عندها للحظات: ففي بداية التسعينيات كان يوجد مركز واحد للبيع بالتجزئة في الصين يمكن عدّه سوقاً مركزياً كاملاً. بحلول عام 2003 وصل عدد المتاجر إلى ستين ألف مركز بلغت مبيعاتها 71 مليار دولار أمريكي.زيادة ضئيلة فقط. أذكر كم اعتاد الناس المتحمسون عام 1984 دعوتي إلى منازلهم ليتباهوا بتلهف وبلا خجل ببعض الأجهزة المنزلية التي حصلوا عليها. يمتلك الآن 90 بالمئة من الصينيين بعض وسائل التبريد التي مكنتهم من التخلص من عادة قديمة وهي الحاجة الى شراء الأغذية الطازجة كل يوم.

قفز اللاعبون الأجانب العمالقة بالقدر الذي تسمح به القوانين بخبرتهم التي يمتلكونها في تنظيم سلسلة التوريد حيث تستطيع القليل فقط من الشركات المحلية مُحاكاتها، كافتتاح كارفور الفرنسية لأكثر من 130 مخزناً لكل الأغراض. وانطلق الوول مارت Wall Mart سيد السوق الأمريكي ببداية مهزوزة، ولكنه لحق الآن بالركب عبر خطوتين بارعتين: أولاً: نيل ثقة الجهات الرسمية بإسقاط موقفها الذي هو ضد توظيف العمال غير المنتسبين للنقابات المقبولة من الحكومة. ثانياً: كسر القيود الموجودة سلفاً ابتغاءً للنمو السريع كمّاً وكيفاً وتحقيق الكفاية الإنتاجية وتخفيض

التكاليف دون الاحتكاك مع الخطوط الحمر. تجاوزت الوول مارت أوائل 2007 الكارفور Carrefour بالحجم، وأضافت إلى سلسلة متاجرها أكثر من 100 مخزن جديد ومراهنة وصلت إلى مليار دولار أمريكي لشراء Taiwanese Trust-Mart. واشترت التيسكو البريطانية British Tesco 50 في المئة من هاي مول Hymall وهي شركة تايوانية أخرى أصغر قليلاً. لكن بائعي التجزئة المحليين في الصين مثل ليانهو Lianhua الذين أتى ذكرهم في بداية استطلاعنا سيستمرون بتحقيق المكاسب وبكل الوسائل، وسيستمرون بتحسين البنية التحتية لتمهيد الطريق أمام شبكات التوزيع وسلسلة المخازن، لتصل إلى أبعد المناطق النائية.

تخيل أرقام المبيعات عندما تصبح لدى كل قرية في المناطق الداخلية للصين مخازن ليانهو السريعة والملائمة. وباتخاذ 80 بالمئة من الأسواق المركزية حديثة الشكل المدنَ الساحلية الشرقية موضعاً لها. وضعت وزارة التجارة خططاً لبناء المزيد من الأسواق الصغيرة والكبيرة في المناطق البعيدة.

الشركات: تملك مجموعة باركسون للبيع بالتجزئة باركسون ريتيل جروب لميتد .**Parkson Retail Group Ltd** (**بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة H - (HKG: 3368, H-shares; OTC: PKSGF) (تداول من فوق المنصة؛ ارتفاع الأرباح 216.9 في المئة، ارتفاع الإيرادات 158.9 في المئة**). ومقرها بيكين، 37 متجراً خاصاً بها بحسب آخر إحصاء، بينما تُدير مخازن أخرى عبر الصين - جلبت لها ارتفاعاً في الأرباح قدره 93 في المئة عام 2006. وهي تتبع شركة في ماليزيا هي ليون دايفير سيفيد هولدينغز

بيرهاد Lion Diversified Holdings Berhad (KUL: 2887). (**بورصة كوالا لامبور: ارتفاع الأرباح 26.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 347.1 في المئة**) التي استثمرت علاقاتها بالصين لتجني مكاسب جيدة. وصُنعت أكبر سلسلة إلكترونيات صينية في الصين من قِبَل وانغ كوانغ يو Wong Kwong Yu، وهو أغنى رجل في الصين الحديثة، في السابعة والثلاثين من عمره؛ تقدّر ثروته بـ 2.3 بليون دولار أمريكي. وقد أعلن عام 2007 أنه كان يستخدم النصير الأمريكي بير ستيرنز Bear Stearns لإنشاء صندوق بـ 500 مليون دولار أمريكي بغرض الاستثمار بشركات البيع بالتجزئة ذات المرتبة المتوسطة عبر الصين، التي تحتاج إلى رأس مال وإدارة جيدة.

تكمن الظاهرة المحلية الحقيقية في الصين في الموضة، فمجموعة ميترز بون وي Metersbonwe Group غير المدرجة حتى الآن، تعدّ واحدة من العلامات التجارية القيادية الصينية للملابس، حيث تملك 1,800 فرع في جميع أنحاء الصين، فالتصنيع والتصميم والتسويق من عملها الخاص. ويركز بعض موزعي التجزئة الكبار على الملابس العادية ومن ضمنها شركة جيور دانو إنترناشيونال ليتد **Giordano International Holdings Ltd.** **(بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - H (HKG: 0709, H - shares) انخفاض الأرباح 47.8 بالمئة، ارتفاع الإيرادات 9.2 في المئة)**. مقرها هونغ كونغ. وصل عدد محالها إلى 1700 محل في 30 بلداً من ضمنها 728 محلاً في الصين بحسب آخر إحصاء. وتقوم شركة بوسيني إنترناشيونال هولدينغز ليتد **Bossini International Holdings Ltd.**

(بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - **(HKG: 0592, H - shares) (H**
(انخفاض الأرباح 11 في المئة، ارتفاع الإيرادات 21.3 في المئة) على الرغم من اسمها الإيطالي بتموين هونغ كونغ والجزيرة. ومن غير المدهش أن سوق البَدْلات في الصين قد نما 8 في المئة في السنة. تقوم شركة يانغر جروب كو ليمتد **Younger Group Co., Ltd.** (بورصة شنغهاي: أسهم فئة - **(SHA: 600177, A - shares) (A** (ارتفاع الأرباح 35.3 في المئة، ارتفاع الإيرادات 41.4 في المئة) المؤسسة في ننغ بو Ningbo بتزويد السوق بالقمصان.

أكبر اسمين محليين ظهرا على عربات التسوق هما: بجين هواليان هايبرماركت كو ليمتد **Beijing Hualian Hypermarket Co., Ltd.** (بورصة شنغهاي: أسهم فئة - **(SHA: 600361, A - shares) (A** (ارتفاع الأرباح 28.8 في المئة، ارتفاع الإيرادات 26.1 في المئة) وشركة ليانهوا سوبر ماركت هولدينغز كو ليمتد **Lianhua Supermarket Holdings Co., Ltd.** (بورصة هونغ كونغ: أسهم فئة - **(HKG: 0980, H-shares) (H** (ارتفاع الأرباح 9.7 في المئة، ارتفاع الإيرادات 51.5 في المئة) وقد ذُكر توسعهما السريع سابقاً. ملكت شركة ليانهوا بحلول نهاية عام 2006 أربعة وستين ألف موظف. ومجموعة شنغهاي للصداقة شنغهاي فريند شيب جروب إنك كو **The Shanghai Friendship Group Inc. Co.,**
(بورصة شنغهاي: أسهم فئة - A، أسهم فئة – B):
(SHA: 600827, A- shares; 900923, B-shares) (ارتفاع الأرباح 69.2 في المئة، ارتفاع الإيرادات 51.8 في المئة) وصلت بهدوء إلى 3000 متجر شرق

الصين وملأتها بمنتجاتها. وتستعدّ مجموعة المخازن الكبرى إن تايم Intime والنيو وورلد New World لعرض اكتتاب أولي على الأسهم في هونغ كونغ.

فهل يريد الصينيون بيئة مستقرة لقطاع مالي؟ أم إصلاح اختلال توازن التجارة العالمية ووفرة رؤوس أموالهم الأجنبية المضاربة؟ هل يريدون أن يدعوا احتياطيَّهم من العملة الصعبة وقطاعهم المصرفي معرضين لضربة قوية؟ أم أنهم استسلموا للضغط المالي والسياسي من شركائهم ومن شعب الصين - ويستمروا في البناء لتعزيز التصدير وزيادة القوة الشرائية العالمية للأفراد؟ إن معرفتي بالصينيين تدعوني للقول أنهم سيبذلون قصارى جهدهم للإبحار باتجاه «الطريق المتوسط». ومن المشكوك فيه أن الحكومة الصينية تريد أن ترى ارتفاعات أو انحدارات حادة ثم تقف مكتوفة اليدين دون اتخاذ أي إجراء. لكن الضوء المركَّز على أولمبياد بيكين سيدفعهم بالتأكيد إلى جعل عملتهم قابلة للتحويل قدر الإمكان. ومن المحتمل يوماً ما أيضاً أن يتم سحب كل مئات المليارات من الدولارات التي ضُخت في الصين، فيبيع الناس ما لديهم من أصول سعياً وراء جني الأرباح بمجرد رفع القيود عن تحويل العملة المحلية. قد يؤذي هذا العمل قيمة العملة مؤقتاً. وما زال الناس الذين استثمروا في الين الياباني عندما كانت اليابان تؤسس فقط لصناعتها يستمتعون بقوة الين الياباني مقابل الدولار الأمريكي لبضعة عقود، ولا يستطيع حتى أي شخص أن يتذكر متى لم يكن الين يُعدّ عملة أساسية وقوية آنذاك.

أنا واثق جداً بأن الشيء نفسه سيحصل مع اليوان الصيني، وسيكون كبيراً وقوياً بقوة الصين نفسها، وربما سيصبح المُحدد المعياري العالمي يوماً ما.

الشركات: إن الودائع المخصصة بالرينمينبي أو السندات متوافرة في المؤسسات مثل Everbank.com، بالإضافة إلى العديد من المصارف الدولية.

السلع: انظر كتابي «السلع الأكثر تداولاً» أو مؤشر السلعة الدولية لروجرز، وشاهد الرسم البياني لأرقام ارتفاع الطلب على المعادن ومصادر الطاقة والحبوب في الصين.

وبهذا أكون قد أنهيت آخر نزهة لي في الصين، حيث حاولت فيها عرض التضاريس بأفضل طريقة ممكنة، وأكون المرشد الأول لأنواع النكهات مع إبقاء القليل منها في الجعبة.. إن تأليف كتاب عن الصين هذه الأيام لا يساعد على جعل شخص ما يشعر كأنه «سيسفوز» Sisphus، كما في بعض الروايات المعاصرة (وهي شخصية أسطورية يونانية لشخص يقوم بدحرجة صخرته من أعلى التلّ مراراً وتكراراً). فكل أنواع الإدارة وكل العالم المتعلق بالشركات وكل الأخلاقيات الوطنية والبنية التحتية التأمت بعضها مع بعض، لتتقدم بسرعة إلى الأمام. وعندما تصل يوماً ما إلى النهاية يجب عليك عندئذ أن تبدأ مرة أخرى من البداية، وتنقح كل المعلومات التي لا تستطيع مجاراة الصفقات اليومية المستمرة والإدراج والنتائج والابتكارات والإصلاح السياسي وإعلانات الأرباح. إن التزود بالمعلومات بسرعة وبطريقة مختلفة هي فقط ثقة أكيدة بأن القصة ما زالت في بدايتها وما زالت تتقدم بسرعة. أنا مقتنع بأن الصين لن تخفق أو تتلاشى. جاء الآن دورك لتكتشف أفضل الطرق لرحلتك الصينية لتبقى مدة طويلة. أنا واثق بأني كنت قادراً على رسم معالم الطريق أمامك وكل الإمكانيات الموجودة في هذا البلد.

أفعل فقط كما فعلت أول مرة عندما لمحت الوجهة المائية النشيطة لشنغهاي أو عندما رأيت الأبراج المثيرة لغريت وول Great Wall، عندها ربما تسأل نفسك: «ما الذي جاء بي بعيداً إلى هنا؟».




@Ahmedyassin90

الملحق

أُخبر أجدادنا المهاجرون مرة بأن شوارع أمريكة قد رصفت بالمجوهرات، وللسخرية كان الصينيون هم الذين لقبوا سان فرانسيسكو بـ «الجبل الذهبي القديم». حسناً، على الرغم من كل الفرص والإمكانيات التي لخصتها في هذا الكتاب فإن شوارع الصين غير مثقلة بالكنوز، حتى إن بعضها غير معبّدة مطلقاً أو ما زالت تظهر النفايات فيها أكثر من النظافة.

ولا يهم إذا كنت في شنغهاي أو شيبوغان Sheboygan أو ويسكونسن Wisconsin أو سيليكون فاليه Silicon Valley أو في ممر الحرير في بيكين Beijing's Silk Alley فإن جني المال عمل صعب وهذا صحيح، ولو كنت تحاول أن تجني المال من العمل اليدوي فهذا أصعب. ومرة أخرى أُذكّر بأن الشركات التي ورد ذكرها في هذا الكتاب ليست بتوصيات، بل مجرد نقاط بدء ممكنة. وإذا أخبرتك عن الاتجاهات الصاعدة وأسعار الأسهم التي تجعلك أكثر حذراً حول شراء شيء ما مرتفع سابقاً، فإن اليقظة الحقيقة مطلوبة أيضاً، وكما لاحظت والمثقفون الآخرون أن الحظ يفضل العقل المستعد.

وسواء أصبحت الأسهم الصينية شيئاً مركزياً أو جزءاً هامشياً من محفظتك الاستثمارية أو إستراتيجية ادخارك فإنها تعتمد على تمويلك الخاص وطبيعة الحياة. ربما ترغب عندئذ في التعامل بالسلع ذات الطلب العالي عن طريق الصين أو الشركات العالمية التي تعمل هناك كنوع من أنواع الاستثمار غير المباشر.

ولمساعدتك على اختصار الطريق قمت بجمع أفضل صفحات الإنترنت للقوائم الصينية والوسطاء والموارد المالية الصينية ذات الصلة في مكان واحد.

و ستعرض لك مصادر الإنترنت هذه أكثر البيانات الحديثة ذات الثقة. وعندما يتعلق الأمر بقطاعات أو شركات وضعها الحالي جيد سيكون فهمك الشخصي وتحليلك وتجربتك لها الكلمة الفصل في بقية الطريق.

وكما سبق وذكرت: قم بالبحث واختر الشركات التي تعجبك واشترِ أسهمها، أو اجلس في البيت وشاهد الأفلام. فبعد هذا كله الصين لن تنتظر.

All China Shares

China Stock Directory (gives all share classes): www.chinaeconomicreview.com

www.hkex.com.hk/csm/search.asp?LangCode=en&location=CompanySearch

Shanghai A-Shares

www.chinaknowledge.com/financial/shanghai-A-shares.aspx (by subscription) or www.sse.com/cn (click link)

Shanghai B-Shares (open to foreign investors)

For current listings: www.sse.com.cn/sseportal/en_us/ps/bshare/lccl.shtml

Hong Kong H-Shares

Main Board: www.hkex.com.hk/tradinfo/stockcode/eisdeqty.htm

GEM (Growth Enterprise Market): gem.ednews.hk/company/e_default.htm

SOE Index (Hang Seng China Enterprise Index): www.hsi.com.hk/family/hscei_e.html

Red Chips (Hang Seng China-Affiliated Corp. Index):
www.hsi.com.hk/family/hscci_e.html

NYSE, NASDAQ, and OTC

Chinese stocks traded in U.S. and Canada:
www.ChineseWorldNet.com

Chinese companies:
www.wstock.net/wstock/us_cn.htm

Singapore Exchange Limited (SGX) S-Shares

Main Board: www.sgx.com

Chinese companies on Singapore stock exchange (in Chinese and English):
www.sgx.com/chinese/listed_companies/Listed_Market_Summary.shtml

London Stock Exchange L-Shares

London Stock Exchange: www.londonstockexchange.com/en-gb/

China-Based Mutual Funds and ETF's in the United States

Bloomberg Mutual Fund Center—China:
www.bloomberg.com

www.bloomberg.com/apps/data?Sector=779&pid=invest_mutualfunds&ListBy=YTD&Term=1&x=18&y=6

Bloomberg ETF Center (China-related under Asia/Pacific):
www.bloomberg.com/markets/etfs/index.html

JV (Joint-Venture) Fund Management Companies

Complete list provided by China Securities Regulatory Commission:
www.csrc.gov.cn (click on link)


@Ahmedyassin90

لمحة عن المؤلف

جيم روجرز. ولد في التاسع عشر من شهر تشرين الأول عام 1942، وحصل على أول عمل له وهو في الخامسة من عمره، وكان جمع الزجاجات الفارغة من ملاعب البيسبول. بعد نشأته في ديمبوليش ولاية آلاباما، حصل على منحة دراسية في جامعة يال. وبعد تخرجه في الجامعة، ذهب إلى كلية باليول في أوكسفورد حيث دخل أول مرة موسوعة جينيس عن طريق مهمته في إدارة دفة المركب المائي لفريقه الرياضي. وبعد أن أمضى مدة زمنية محدودة في الجيش، بدأ العمل في وول ستريت. وكان ثاني اثنين في تأسيس صندوق كوانتام، وهو شراكة استثمارية في أنحاء العالم. وفي سبعينيات القرن العشرين كسبت المحفظة الاستثمارية للصندوق 4200 في المئة مقارنة بمؤشر ستاندرد آند بورز، الذي ارتفع أثناء المدة ذاتها بأقل من 47 في المئة. قرر روجرز بعدئذ التقاعد- وهو في السابعة والثلاثين – لكنه لم يرض لنفسه أن يبقى دون ممارسة نشاط ما.

بمواظبته على العناية بمحفظته الاستثمارية الشخصية، انخرط روجرز في العمل الأكاديمي بروفسوراً في علم التمويل في كلية الدراسات العليا في جامعة كولومبيا، ومنسّقاً لمناقشات الطاولة المستديرة لمنتدى دريفوس الاقتصادي وملتقى الدافع للربح. في الوقت نفسه أرسى قواعد العمل لحلم حياته الذي طالما تمنى تحقيقه، وهو القيام برحلة حول العالم على دراجة نارية، حيث قطع فيها مسافة تربو على مئة ألف الميل

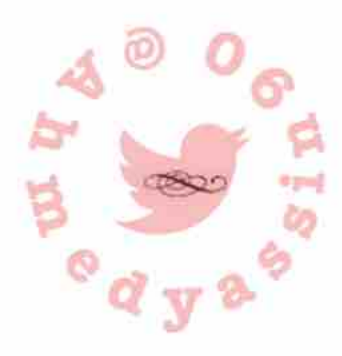
عبر قارات العالم الست، وهو ثاني سجل له في موسوعة جينيس للأرقام العالمية. وأضحت هذه الرحلة موضوعاً لكتاب روجرز الأول «راكب الدراجة المستثمر» (1994).

اصطحب روجرز زوجته في مغامرته التي قام بها في نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الميلادية الثالثة ما بين عامي 1999 و2001، والتي زارا في أثنائها 116 بلداً، وجال في نصف البلدان التي تدور فيها حروب أهلية، وقطع مسافة تزيد عن 152000 ميل، محققاً رقمه القياسي الثالث ضمن موسوعة جينيس. وأرّخ في كتابه الثاني «المغامر الرأسمالي» هذه الرحلة العجيبة.

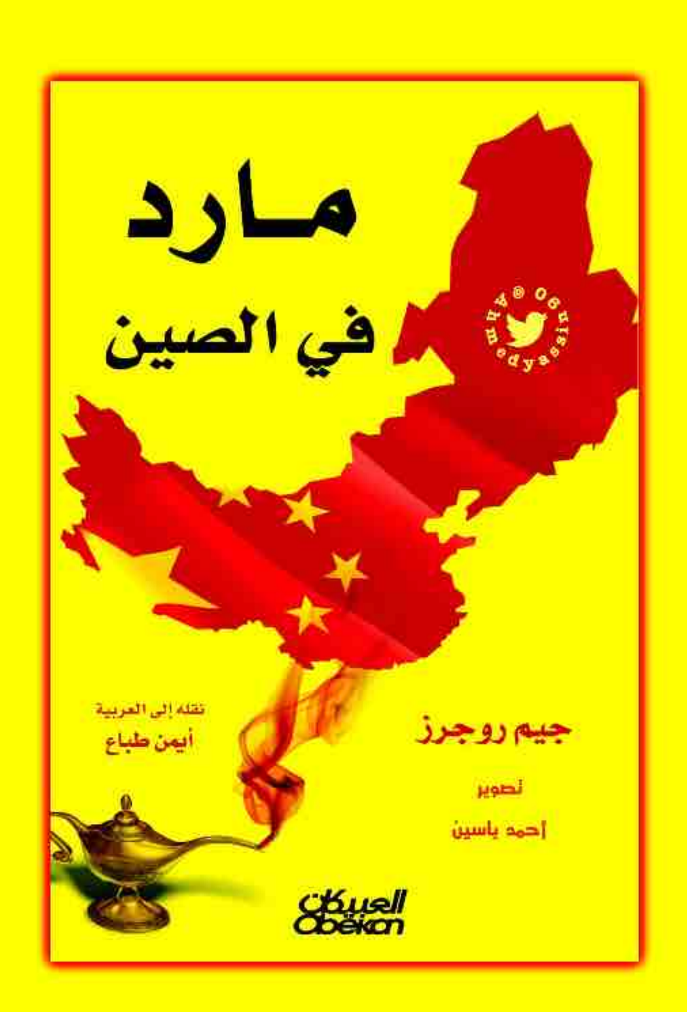
في الوقت الحاضر، له إسهامات لمحطة أخبار فوكس نيوز ومحطات أخرى ودور للطباعة، وذلك بعد انتقاله للعيش في آسية مع زوجته وابنته.

للتواصل معه عبر البريد الإلكتروني على العنوان:

www.jimrogers.com.




@Ahmedyassin90


مـارد
في الصين
جيم روجرز
نقله إلى العربية
أيمن طباع
تصوير
احمد ياسين
العبيكان
Obeikan

